ظنت المضيفة أول الأمر؟

عبد الحميد عنبر

جمع وإعداد

حياة عبد الحميد عنبر

الطبعة الثانية

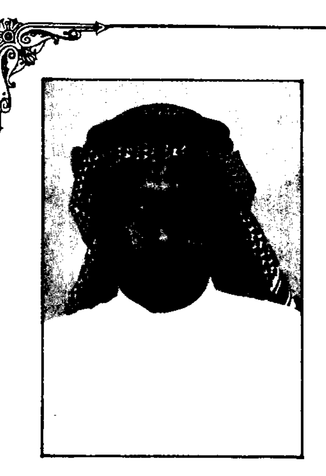
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في سورة يوسف :

﴿ وَقَالَ يابَنِيَّ لا تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ واحِدٍ وادْخُلُواْ مِنْ أبْوَابٍ مُتَفَرقةٍ ومَا أُغْنِي عَنكُم منَ الله من شَيْءٍ إنِ الْحُكْمُ إلّا لله عليه تَوَكّلتُ وعليه فَلْيتوكّلِ المُتَوَكِّلُونَ ﴾

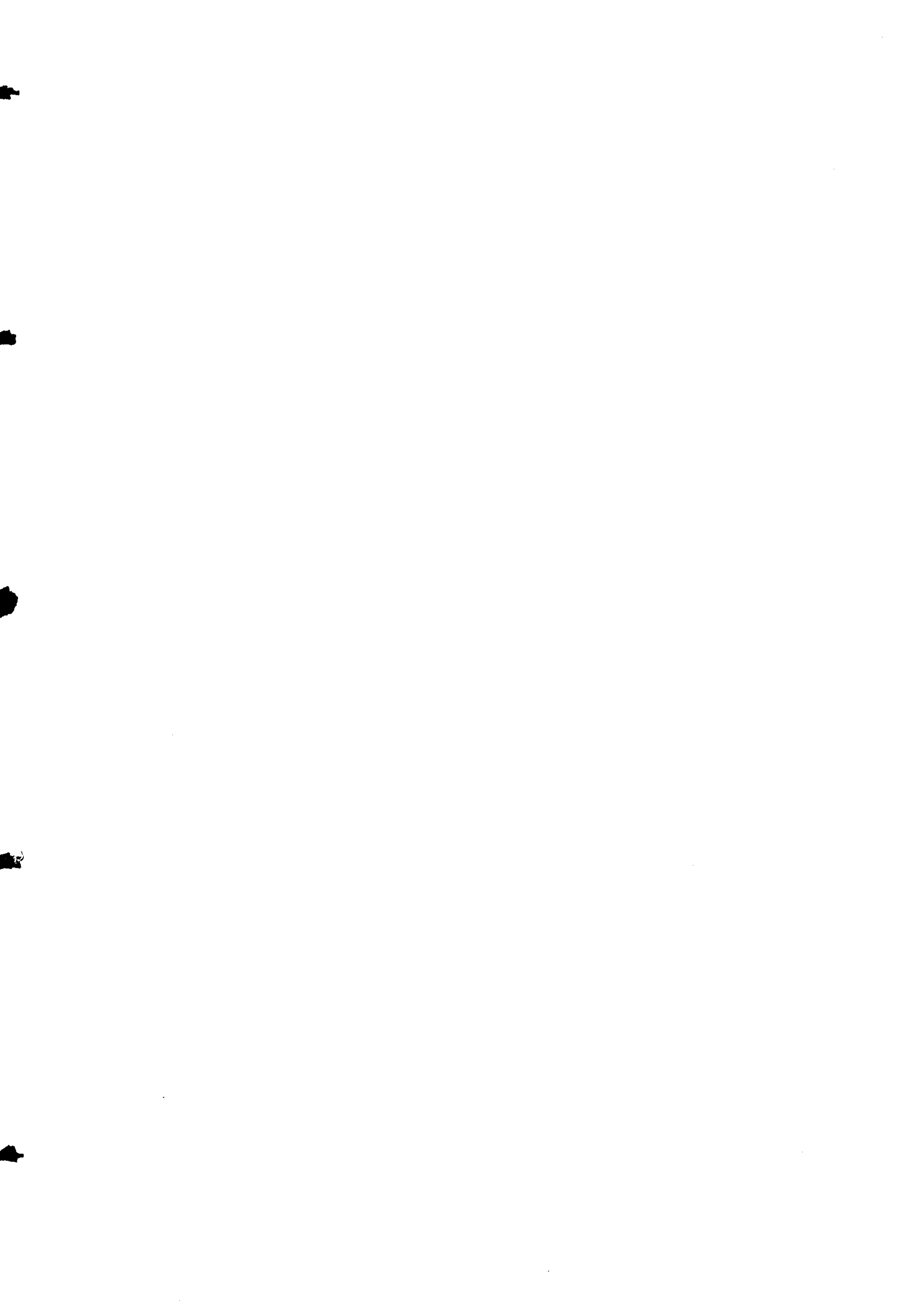
صدق الله العظيم (آية ٦٧)



الاهـــداء

إلى الاحفاد عامة ، والى الحفيد عبدالحميد سامي عبدالحميد عنبر خاصة ؛ أهدي هذا الكتاب .

حيـــاة



توطئة

هذا الكتاب ليس تأليفا ، وليس فيه اضافات او حذف الا ما قد ندر ، وقد جمعت مادته من منابر الصحافة ـ وبالذات من جريدتي المدينة والمنهل . وسوف يلاحظ القارىء الكريم ان موضوعاته تعالج ـ تقريبا ـ نفس الموضوعات التي تعالجها الساحة الاعلامية في يومنا هذا ، فمثلا قضية فلسطين مازالت هي الجرح الاعمق في صدر الامة العربية على الرغم من أن هناك الف جرح وجرح تَلاحق في حميمها ، ولكن جرح فلسطين تقيح ولا ينفع فيه علاج . ايضا الضرب في المدارس . والخطوط السعودية وخدماتها وغيرها من الموضوعات التي كتبت منذ بداية العام ١٣٥٢ الى ١٣٨٤ وبعض المترجمات عن اللغة الانكليزية .

ان الكاتب من الرعيل الاول الذي وضع لبنة الثقافة وفتح على نافذة الوطن حدائق الفكر العميق والكلمة الصادقة ، وكان كأبناء جيله ـ ان لم يكن اجرأهم ـ في مقارعة الحق وصدق المعالجة لما يكتب . هناك العديد من ابناء جيله لا يزالون يتمتعون بالصحة امد الله في اعمارهم وبارك فيهم . وقد وضع مقدمة الكتاب العم الشاعر الاديب الشيخ محمود عارف عافاه الله ، فقد كان الصديق الصدوق للكاتب .

كيف خرجت فكرة هذا الكتاب .

كان رحمه الله يتمنى أن يجمع كتاباته الصحفية كما انه قام بكتابة بعض الموضوعات التاريخية والتي لم تنشر وكذا بعض النفحات الرومنسية ولكنه كان رجلا مسؤولا لا يستقر حتى يرحل الى أن عين عضوا لمجلس الشورى . ولكن القدر كان فاتحا له ذراعيه ولم يمهله ليحقق ولو بعضا من أمانيه .

وحين مارست الكتابة حاولت ان احتذي حذوه . واجعل نبراسي صدق الكلمة ، فلم استطع ان اكون ولو القليل القليل مما كان .

صدقه أكبر من ممارساتي وزمنه أصدق من زمني وسماحته وقلبه الكبير ومرونته في معالجة الامور كانت هي مفتاح ايامه . لذا لم احتمل العاصفة فوقعت من جهلي في مجراها فنالت مني ، لكن لا انكر انني خرجت بحب الكلمة واقتناعي بانها ان لم تخدم الهدف العام فلا كانت .

وفي مراجعتي لشريط الذكرى أجد كأي انسان ان هناك في الضبابيات بعضا من نور الفجر الوهاج وكان هذا الفجر هو تلك الكتابات التي اعتز بها واتمنى أن أخرجها في كتاب لتُحفظ من الضياع ومن هذه الأمنية طَفَتْ الى سطح المحبة أمنية والدي رحمه الله في جمع كتاباته ، فرأيت وفاءا له ان ابادر الى هذا العمل . وقلت إن كانت الامنية رحلت مع صاحبها فإن هناك الاحفاد وهناك الوطن الذي خدمه بفكره وعمله هذا الوطن الذي لا ينسى الصادقين في حبه . وسعيت الى جمع المادة ورغم علمي بأنه كتب في اكثر صحف المنطقة الغربية الا انه ما استطعت جمعه هو ما ضمنته هذا الكتاب وهو اقل بكثير مما كتب .

ويشرفني ان ابدأ صفحات هذا الكتاب ببعض الخطابات التي وصلتني من أصحاب السمو الأمراء ومعالي وزير الاعلام وعمي الشيخ حمد الجاسر :

صاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

صاحب السمو الملكي الامير ماجد بن عبدالعزيز آل سعود امير مكة المكرمة

صاحب السمو الملكي الامير نايف بن عبدالعزيز آل سعود وزير الداخلية

صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود الرئيس العام لرعاية الشباب والرياضة

صاحب المعالي وزير الاعلام السيد الدكتور على حسن الشاعر

ومن العم العزيز الشيخ حمد الجاسر

شاكرة للجميع افضالهم وتشجيعهم والله تعالى اسأله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان بن عبدالعزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام



الرقم ١/١/١/ ٢٨٦٢
التاريخ ٢٩/١٢/١٤٠٩

خطاب شكر

المكرمه حياة عبدالحميد عنبـــر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:ـ

وردنا خطابـك المرسـل فـي ١٤٠٩/١٢/٧هــ ، والمرفـق بـه نسخـة من ديوان " اللجين المذاب "

نشكـرك علـى مـا أبديتيـه مـن مشاعـر طيبـه ونتمنـى لـك المزيـد من النجاح واستمرار التوفيق .

ولكِ تحياتنـــا ،،،،،

سلطان بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الـــوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العـام

٣ع٢٦/١٢/١٤٠٩هـ/خ

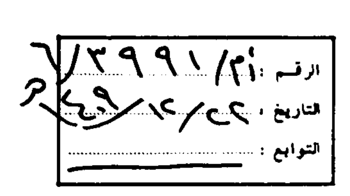


بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة منطقة مكة المكرمة

المكتب الخاص




الرقم : ٣٩٩١/أم
التاريخ : ٢٢/١٢/١٤٠٩
التوابع :

حضرة المكرمة/ حياة عبد الحميد عنبر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

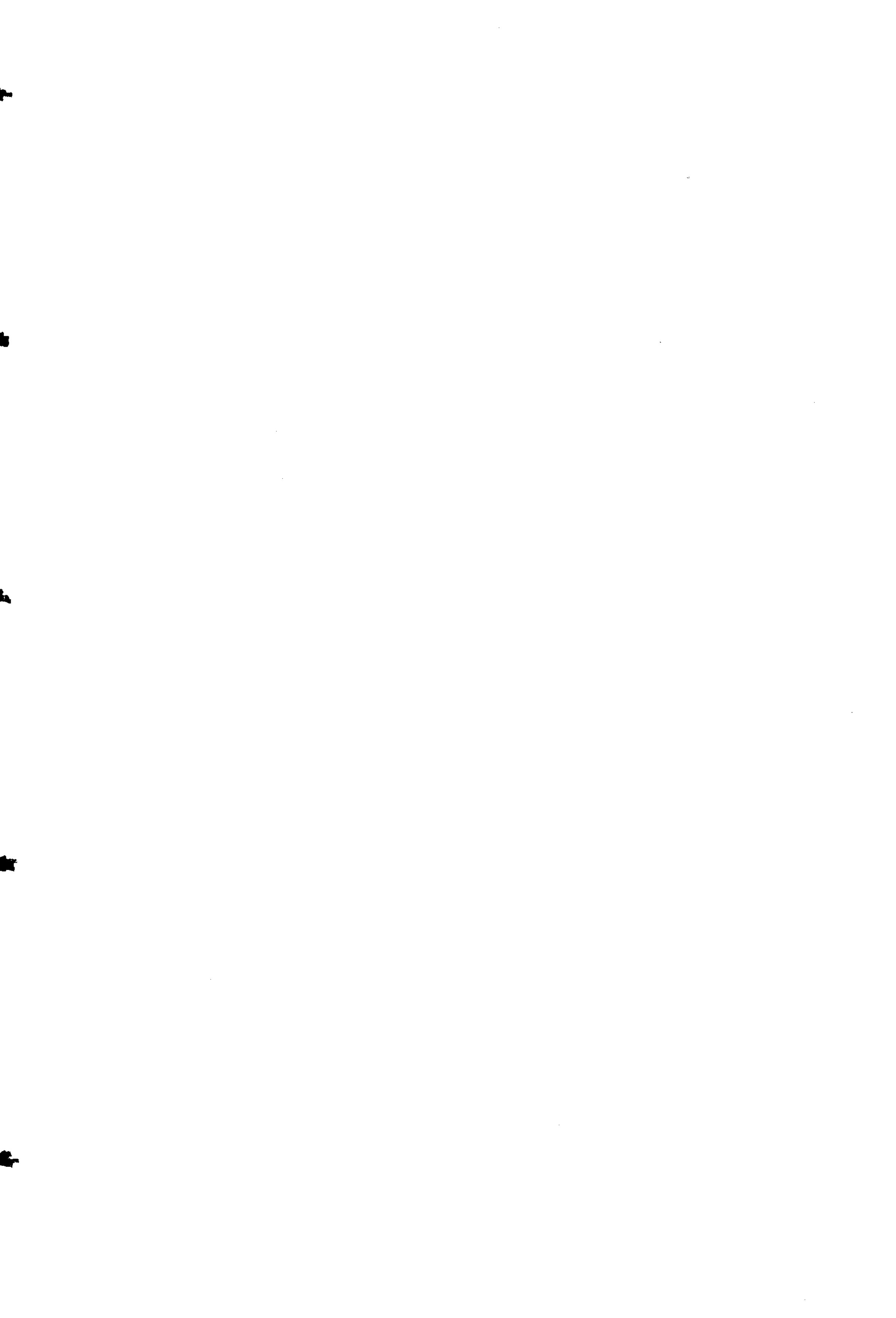
تلقينا رسالتكم المشفوع بطيها اهدائكم ديوان شعرى باسم (اللجين المذاب) وهو الأصدار الأول لوالدكم ((عبد الحميد عنبر)) تغمده الله برحمته ..

نشكركم على اهدائكم القيم ونسأل الله لوالدكم الرحمه ولكم دوام التوفيق
ولكم تحياتنا ،،،،،، .

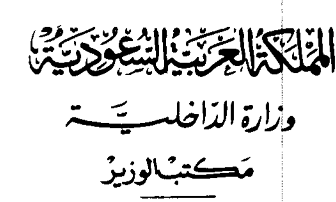
أمير منطقة مكة المكرمة

ماجد بن عبد العزيز

١٦/١٢/١٤٠٩هـ
إ/م



بسم الله الرحمن الرحيم





الرقم ١/ ١٤٥ هـ /خ

التاريخ ٢٨ /٣ /١٤٢٠ هـ

التوابع

المكرمه الأخت حياة عبدالحميد عنبر

جده - ص . ب ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

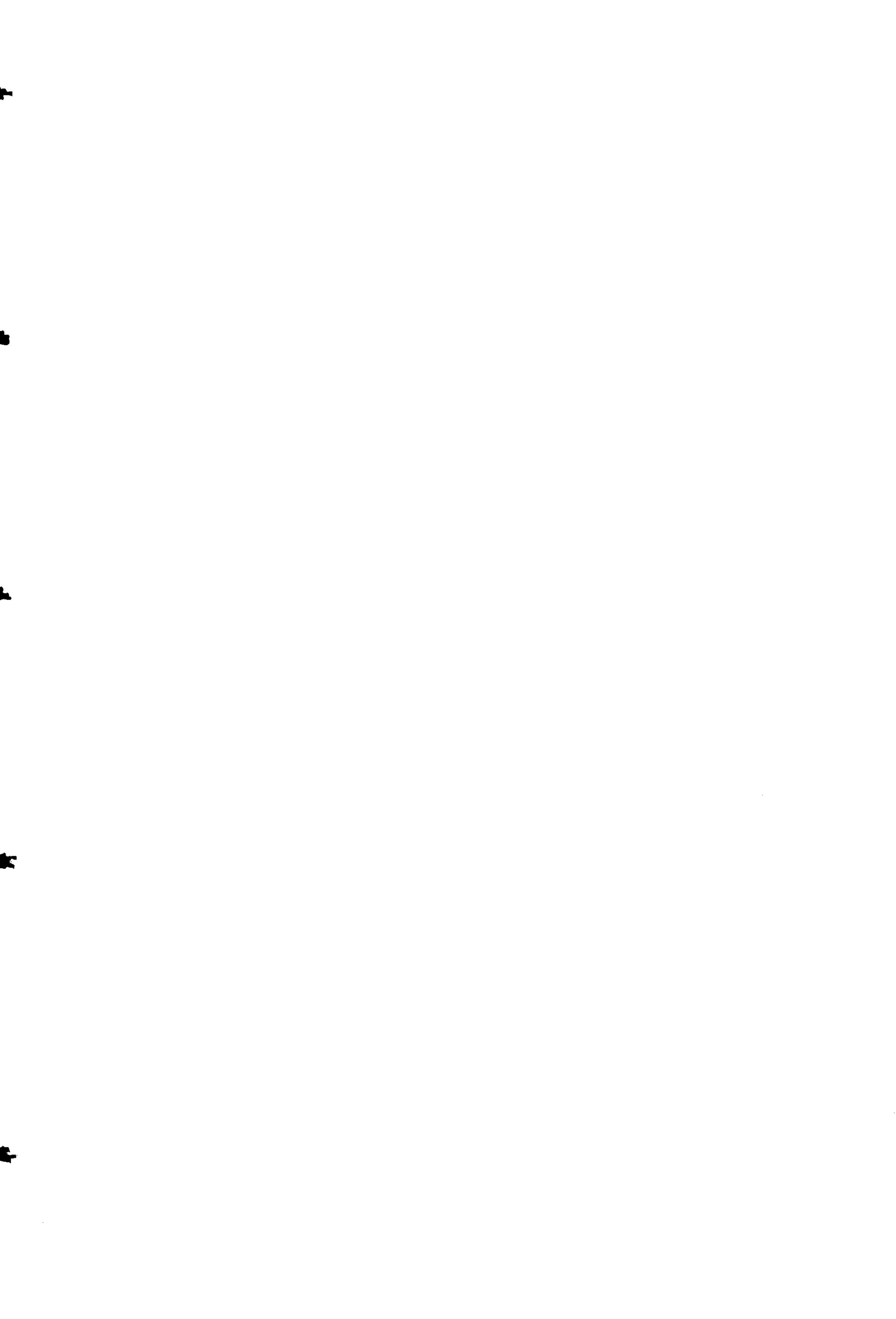
أطلع صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخليه على خطابك ومشفوعه نسخة من الأصدار الأول المشتمل على قصائد والدك رحمه الله باسم (اللجين المذاب) وقد أمر حفظه الله بأبلاغك شكر سموه على ذلك مع تمنياته لك بالتوفيق والنجاح . للأحاطه .. مع تحياتنا ،،،،

س/م

مدير مكتب وزير الداخليه

٢٨/١١/١٤٢٠

محمد الشاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
مكتب الرئيس العام

الرقم ٢
التاريخ ١٤١٠/١/٤هـ
التوابع
الموضوع

المكرمه حياة عبدالحميد عنبر المحترمه

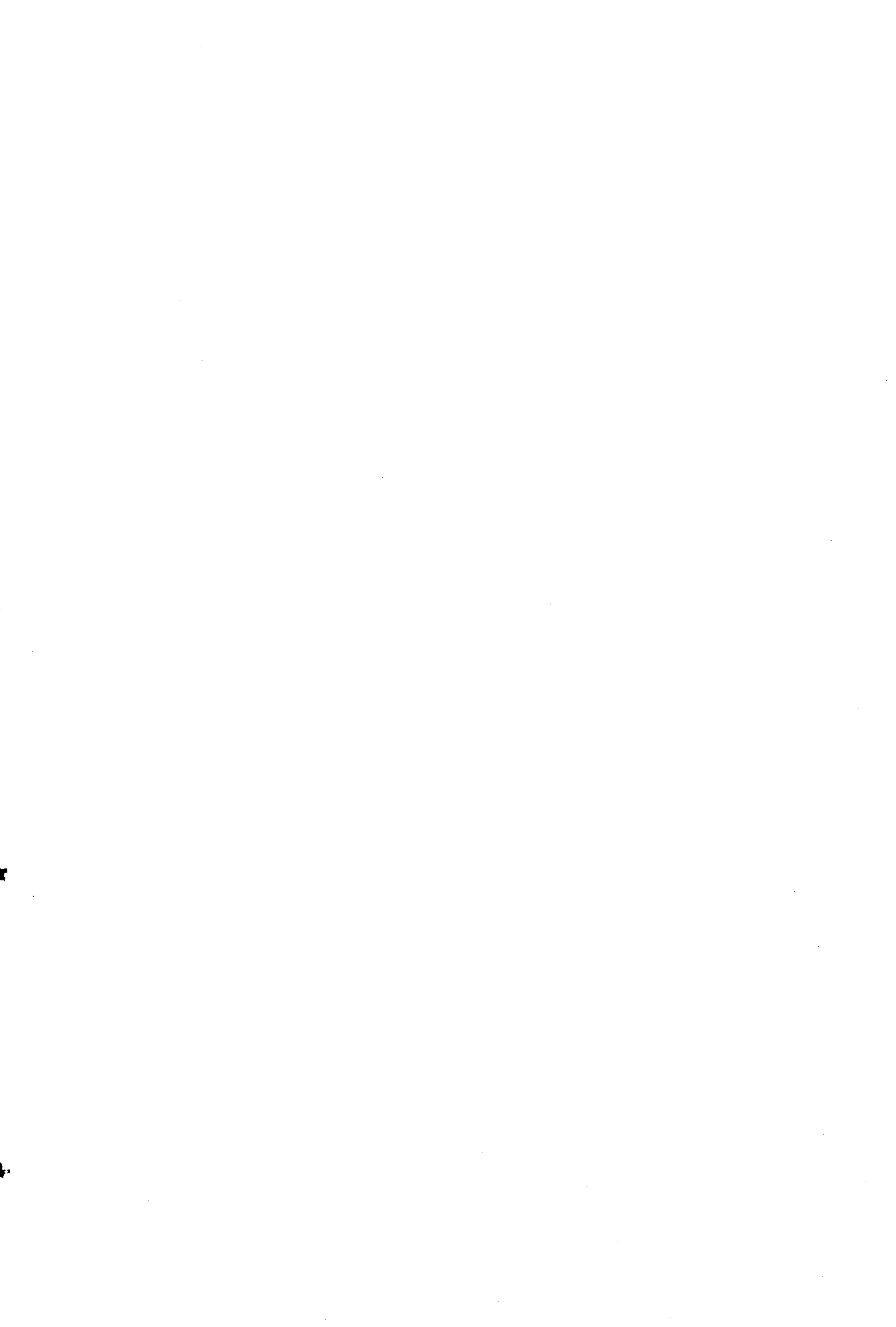
تحية طيبة ...

تلقيت بامتنان وتقدير النسخة التى أهديتيها الي من ديوان والدك المرحوم عبدالحميد عنبر الموسوم بـ " اللجين المذاب " الذى قمت بجمعه وطبعه .

وانى اذ أشكرك على هذه الهدية القيمة لأتمنى لك دوام التوفيق والسداد مع خالص تحياتى ...،،،

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الإعلام
مكتب الوزير

الرقم : ٣/٩/٥٢٠٥٢
التاريخ : ٢٠/١٢/١٤٠٩هـ
المشفوعات :

السيده / حياة عبدالحميد عنبر سلمها الله

دار المنهل ـ جده ٢١٤٦١ ص.ب (٢٩٢٥)

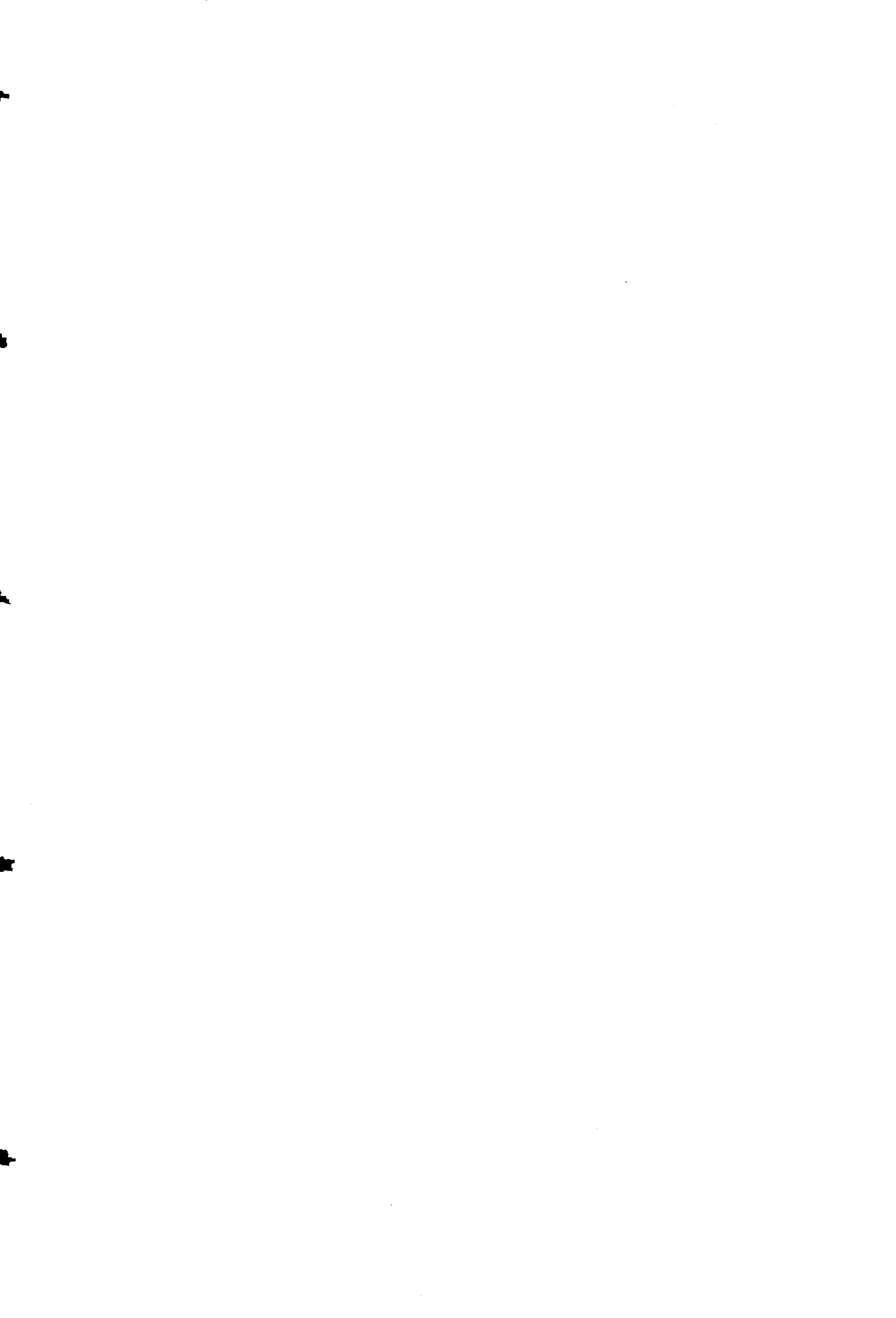
تحيه طيبة وبعد:

وردني خطابك المرفق به نسخة ديوان "اللجين المذاب" للوالد المرحوم عبدالحميد .

شكرا للاهداء .. مع خالص تحياتى ،،

وزير الاعلام

علي بن حسن الشاعر







• مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
• هاتف: ٤٦٣١٠١٠-٤٠٢٠٧١٤ ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١ الرياض
• شارع حمد الجاسر - حي الورود - السليمانية - المملكة العربية السعودية - برقيًا "العرب"

الرقم ٢/٤٦٠ التاريخ ١٤/٢/١٤١٠هـ المرفقات

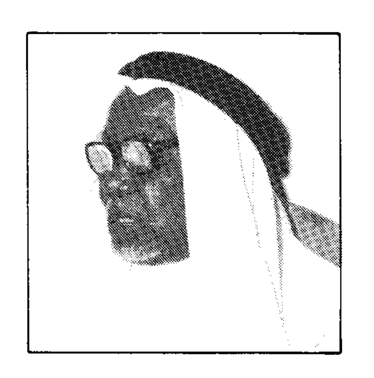
ابنتنا الحبيبة الاستاذة السيدة حياة عمر

تحياتي المعبرة عن حبي وتقديري وشكري على الهدية التي سررت بها سرورا يفوق الحد والوصف ، لقد كنت متطلعا إلى نشر آثار صديقي العزيز الاستاذ عبد الحميد ، وأخبرتني السيدة أم خالد بأنك جمعت اثاره وهيأت ماعثرت عليه منها للنشر ، ويظهر أن ماتحفتني به اليوم هو باكورة تعقبها ثمرات يانعة ان شاء الله .

أكرر لك من الأعماق أطيب تحياتي مع عميق تقديري وجزيل شكري .

الداعي لك بالتوفيق

حمد الجاسر



مقـــدمـة

في العهد السعودي الزاهر وعلى الساحة الادبية ، برزت في « طيبة » ـ مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ طلائع من الرجال العصاميين ، هم بناة الأدب ،الذين واكبوا مسيرة النهضة الأدبية في المدينة المنورة ، الى جانب اخوانهم في مكة وجدة والرياض والدمام وابها وجازان وبريدة .

وصاحب هذا الكتاب هو الاديب عبدالحميد عنبر ، رحمه الله . وقد تمكنت ابنته « حياة عبدالحميد عنبر » من جمع مواد هذا الكتاب من جريدة المدينة المنورة ، بمساعدة صديقَيْ والدها الأخوين الفاضلين علي حافظ وعثمان حافظ ، ولولا مساعي هذه الابنة البارة لضاعت آثار والدها ، ولكنها بذلت كثيراً من الجهد حتى تحصلت على الغرض الذي تريده ، شعورا منها بالاخلاص والبر الذي تكنه لوالدها رحمة الله عليه ، وتأكيدا واعترافا بفضله عليها ، وتخليدا لذكره في صفحات الرجال الذي كان لهم السبق في حلبة الادب ونهضة الصحافة حين تأسست في « طيبة » جريدة المدينة المنورة لصاحبيها علي وعثمان حافظ . وفي كتاب « تاريخ الصحافة » جاء ذكر الاستاذ عبدالحميد عنبر باعتباره من الرعيل الاول الذي ارتبطت مساهمته مع مطلع تأسيس الجريدة ومع اخوانه ادباء « طيبة » وتعددت مشاركته في المقالات والتراجم التي يطالعها القارىء في هذا الكتاب .

وقلم العنبر ـ في هذه المقالات ـ لا ينكره كل من عرف فيه « الصراحة » ، وقد اغضبت صراحته كثيرا من ضعاف النفوس فكان لا يبالي بالغوغائية التي كانت تحوم حوله بقصد إسكات هذا القلم الصريح .

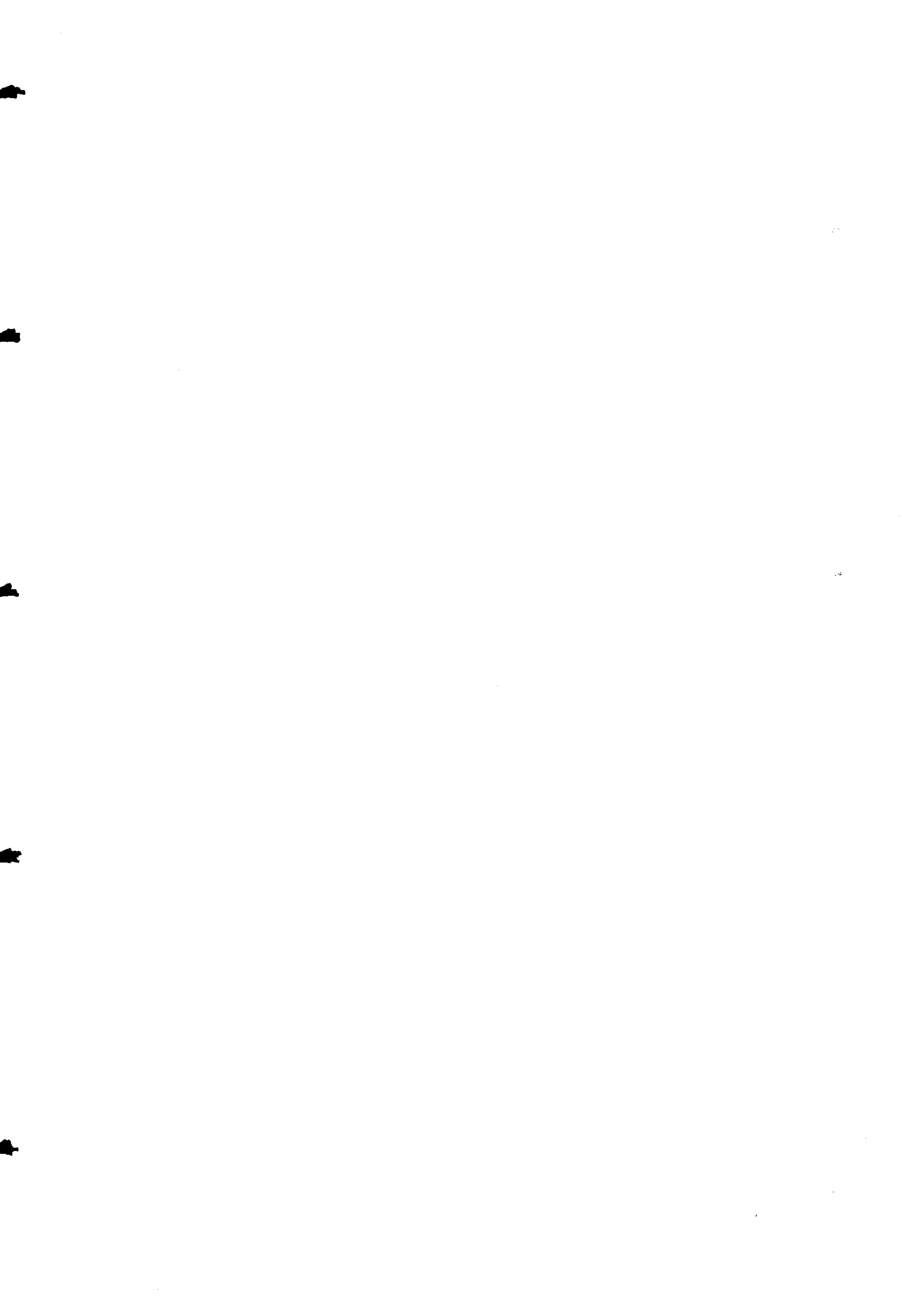
والصراحة دائما تكون محاطة بالعصبية الواغلة . والواغلون هم الذين يتدخلون في شؤون الاحرار لأغراض سيئة . ومن الأغراض التي يحملها هؤلاء الواغلون : نشر العداوات وتعطيل الاصلاحات ، لا لشيء سوى التفريج عن قلوبهم المحترقة بنار الحقد .. الحقد على الناس والمجتمع .

والاحرار امثال الاستاذ عبدالحميد عنبر ، يؤمنون بالحرية في التعبير ، والاخلاص للناس ، والسعي لإصلاح المجتمع . ويكفي ان يرى القارىء سمات القلم الحر في هذه المجموعة المتواضعة ، وسيرى كيف كان هذا القلم بصراحته ، يحمل شارة الكفاح دفاعا عن بلده ، وجهاداً عن مبادئه ، وحماية لمكاسب النهضة الصحفية والادبية التي كان من اوائل بُناتِها مع زملائه علي حافظ وعثمان حافظ ، ومحمد حسين زيدان ، وعزيز ضياء ، أطال الله اعمارهم ، ورفقائه الذين لحقوا بالرفيق الاعلى : ضياء الدين رجب والنقشبندي وعبدالقدوس الانصاري وبعض من لا تحضرني اسماؤهم .

ولا ننسى ان نذكر للأجيال والتاريخ ان هؤلاء المذكورين قضوا بداية حياتهم في « طيبة » ثم انتقلوا الى جدة ومكة . وفي زمن متقارب نقلت مجلة المنهل وجريدة المدينة ، فأكملوا الرسالة التي اخذوا على كواهلهم القيام بها في صبر وتضحية . وكان ذلك بإثبات وجودهم على الساحة الادبية . وهذا هو ما شاهدناه على بساط الواقع ، حيث ازدهر كفاحهم في مواقع انتقالهم ـ جدة ومكة ـ واشتهرت مؤسساتهم الصحفية في الداخل والخارج ، تمشيا مع طموحاتهم كأدباء وصحافيين ، وهي طموحات ذات اهداف وطنية ومواقف عربية ، تنطق بها منشوراتهم وكتبهم التي سدت فراغا لا ينكر فكانت موضع التقدير والاعجاب .

هذي تحية تقدير اشيد فيها بالابنة البارة « حياة عبدالحميد عنبر » حيث كانت السبب في إصدار هذا الكتاب واعتقد ان نجاحها في هذا السبيل سيعطيها الاصرار ويدفعها إلى مواصلة نشر آثار والدها في المستقبل ، وبهذا العمل ستضيف باقات معطرة جديدة الى حديقة الادب ، ومشاعل مضيئة في درب الصحافة .

محمود عارف



الفصل الأول

لو عدت طفلا ماذا تتمنى أن تكون ؟

ليس للطفل ـ فيما أعتقد ـ وهو في سن الطفولة شأن في تكوين نفسه فالطفولة في الواقع هي أمانة في يد الوالديّن والبيئة التي يعيش فيها الطفل . لذلك فاني افضل لو عدت طفلا ـ على حد تعبيركم ـ أن أكون لأبويّن مثقفيّن اكتملت لديهما اسباب العلم والغنى بحيث يستطيعان في يسر وسهولة تنشئتي تنشئة صحيحة وتوجيهي توجيها دينيا وعلميا يتفق وميولي الفطرية ، وان أولد في بيئة تخطت في تكوينها الاطوار الحيوانية والشهوانية التي تمر على الانسانية في تطورها الى مستوى أعلى ونظرة اوسع .. بيئة تمقت الاثرة والانانية وتتضافر على بناء حياة تتكافأ فيها الفرص ويشترك الجميع في بنائها والاستفادة من مباهجها ولذاتها ، بيئة تعطي الحق للجميع لان الحق من صنع الجميع وتقدس الانفع والاعلم والاتقى والاكرم تمشياً مع الدستور السماوي .. « إنما يخشى الله من عباده العلماء » و« إن اكرمكم عند الله اتقاكم » اما اذا كنتم تعنون .. اذا قدر لي وعدت الى الشباب لأسلك سبل الكفاح من جديد . لتمنيت ان اعود لأصحح ما وقعت فيه من أخطاء وأسلك في دراستي طريقا منظما يصل بي الى نتيجة ثابتة واستغل ميولي الفطرية بالتخصص في المادة التي تؤهلني لها تلك الميول وعن طريق هذا التخصص اكتب صفحة المجد لأمتي وبلادي متفانيا في كل ما من شأنه رفعة بلادي وسمو مكانتها ومن الأخطاء التي سأصححها .. وهي كثيرة .. الرغبة عن زواج الشباب المبكر وتصحيح طريقة اختيار شريكة الحياة .. على اني وأنا على ما أنا عليه ـ ولا محل للتفاخر .. اعتقد اني سلكت طريقا مشرفا حققت فيه الكثير مما يطمح اليه شاب طموح ومكافح فقد اشتغلت عاملا في شتى الميادين لأضمن لاسرتي عيشا كريما وقد حملت عبئها وأنا في مستهل الطريق ، ولأذلل امامي سبيل التعليم الذي صبوت اليه وقد كانت سبله في أيامنا عسيرة كل العسر . واني لراضٍ كل الرضا عن النتيجة التي وصلت اليها . بفضل الله ثم بالجهد والعرق وراضٍ كل الرضا عما قمت به من خدمة في سبيل امتي وبلادي في المجالات التي قدر لي ان اعمل فيها فقد ساهمت بروح مخلصة في ميدان التعليم واشتركت في دفع عجلته الى الامام وفي تطوير نظمه وكذلك فعلت في الحقلِ المالي والاقتصادي وأنا اليوم أعمل بنفس الروح في ميدان التشريع والاصلاح واسأل الله مزيداً من التوفيق وأنا وان لم اخرج من هذه الميادين بالشهرة والثروة اللتين تحققا لكثير من الزملاء ، الا انني خرجت بضمير راض مستريح بأني « اديت الواجب » واعتقد ان كل من كان لي شرف العملِ المباشر معهم من الفضلاء يشهد لي بذلك .

اما عن المستقبل فالحياة التي اريدها هي حياة كفاح وأمل .. كفاح للوصول الى مستوى ثقافي اعلى وبيئة ذات مدارك اوسع في مجتمع يؤمن بالله حق الايمان يعيش كل فرد فيه ليؤدي رسالته في البناء والتثقيف ، يسعى لجمع المال لا للتجميد ولكن للصرف لايجاد الفرص وتهيئة المجالات للعاملين وللوصول الى حياة افضل على الدوام وآمل في الله العظيم ـ سبحانه ـ تحقيق ما أصبو اليه .

هل نحن على أبواب عهد جديد ؟

أظن أنه لا يوجد في المملكة العربية السعودية اليوم من يشك أن هناك في طول المملكة وعرضها نهضة قوية تدفع النفوس دفعاً الى طلب الكمال في جميع شؤون الحياة ، ونظرة واحدة في حياتنا أمس وحياتنا اليوم تكفي لأن تقنع اقناعاً صحيحاً كل من يتوهم غير هذا . لأنه يوجد بيننا اليوم كثيرون ممن كانوا يعتقدون أن ما في الصحف والمجلات كذباً لا فائدة فيه ، وقراءتها خروج على الدين والتقاليد . وهم اليوم يطالعون الصحف بتلهف ويعتقدون أن لمطالعتها الفضل الكبير في تنوير الأذهان وتنمية الأفكار ، وكان يوجد بيننا من يرى ارسال الأبناء الى البلاد الخارجية للتعليم انما هو تضييع لهؤلاء الأبناء وقسوة يجب أن لا يتصف بها الآباء . وهم اليوم يودون لو ساعدهم الحظ ، فيرسلون أبناءهم ليرتشفوا مناهل العلوم من أطراف الدنيا ، وبيننا شيوخ كانت طرق العلم مفتوحة أمامهم ولكنهم لم يلتفتوا اليها لانشغالهم بملاذ الحياة . وهم نادمون على ما فرطوا فيه ولا يرضون أن يتصف أبناؤهم بالجهل الذي ذاقوا مرارته ، وعرفوا معناه السقيم .

كل هذا يدل دلالة واضحة على أن الشعور بوجوب النهوض عام في طبقات الشعب وموجود لا شك فيه . إلا أن الجدير بالبحث هو : هل توجد طرق منظمة ، وموارد غزيرة لاشباع هذه الرغبة اشباعاً كافياً وتوجيه هذا الشعور توجيها منظماً ليأتي بالنتيجة المطلوبة ؟ أم ان هذا الشعور المتدفق يغلي في الصدور مدة ثم لا تلبث ناره أن تخبو فلا يأتي بالنتيجة المطلوبة ، ذلك ما نريد أن نبحثه ونرجو أن نوفق في بحثنا الى طريق الصواب .

اننا نقدر لاطراد هذا النهوض وتمخضه عن عهد جديد وجود أصول أربعة هي :

(١) وجود مدارس منظمة ابتدائية وثانوية وعالية توافق برامجها مناهج التعليم العام في عموم أقطار العالم المتمدن .

(٢) وجود صحافة عالية تنشر الثقافة بين الجمهور .

(٣) وجود بعثات منظمة الى البلاد الخارجية .

(٤) تنظيم حياة الشباب تنظيما يوافق مطالب الحياة .

ولنبحث عن كل واحد من هذه الأصول على حدة لنتبين مقدار حظنا منه فنقول :

المدارس

لا نشك أن حكومة جلالة مليكنا المحبوب « عبدالعزيز السعود » التي شجعتنا على متابعة النهوض للتخلص من حياة لا تليق بشعب عربي كريم قد سعت جهدها في تعضيد المعارف وتوطيد مركزها ، وقد بذلت وكالة المعارف من جانبها أيضاً جهداً تشكر عليه فنشرت المدارس الابتدائية في أطراف القطر والمعهد العلمي السعودي بأم القرى الذي هو

عبارة عن مدرسة ثانوية مستعدة لتهيّء تلاميذ للمدارس العالية التي يجب أن توجد في المستقبل القريب .

الصحافة

من حسنات العهد السعودي هذه الروح الصحافية القوية التي نراها في أطراف البلاد فقد شجعت حكومة جلالة الملك « عبدالعزيز » الصحافة في الحجاز ، وأعطت امتيازات لعدة جرائد ومجلات صدر منها البعض وتوقف وبعضها لا يزال يصدر حتى الآن ، ومنها ما أعطى امتيازه ولم يصدر حتى الآن .

ونحن هنا نسأل لِمَ لم يصدر ما أعطى امتيازه ؟ ولِمَ توقف عن الصدور ما كان صادراً ؟ ! ذلك لأن الصحافة لم تستقر لدينا على أساس قوي وانها في حاجة الى تنظيم كما أنها في حاجة الى صحافيين مدربين يستطيعون قيادة الجماهير وغرس المبادىء الوطنية والأخلاق الرفيعة في نفوسهم .

البعثات

أما البعثات فليس هناك بعثات منظمة من الشباب المتعلم سوى التي ترسلها الحكومة في مناسبات خاصة لذلك فنحن في أشد الحاجة الى ارسال البعثات المنظمة من الشباب المتعلم الذي نال قسطاً وافيا من التعليم الحجازي ووجدت فيه أهلية واستعداد للاقتباس من العلوم العالية ما يفيد به أمته وبلاده . وهذا فيما نظن واجب من واجبات الشعب يجب أن يقوم به خير قيام . فالتجار وأصحاب الأملاك هم المسؤولون عن هذا ولن يجدوا لمبراتهم مصرفا خيراً من هذا ، فهو صدقة جارية تثبت لهم الثناء على مر الدهور ، ومتى تتابعت البعثات التي ترسلها الأمة الى جانب البعثات التي ترسلها الحكومة فستكون نخبة صالحة من رجال العلم والصناعات الذين يكون عليهم مدار النهوض .

الشـبـاب

ليسمح لي الشباب الناهض أن أقول ان حياة أكثر المتعلمين عندنا غير منظمة ، فانك لا تجد بينهم من رسم لنفسه خطة يسير عليها ، وكون غاية معروفة يسعى لها في أدوار حياته ، بل ان الكثيرين منهم لا يتكلفون عناء التنظيم بل ولا يفكرون فيه فيتركون أنفسهم للظروف تكيفهم كيف شاءت . والعهد الجديد يحتاج الى شباب منظم يسعى للغاية التي رسمها لنفسه ويقتحم المشاق في سبيل نيلها .

ذلك ما نرجو أن تنتبه اليه الأيدي العاملة من رجالنا العاملين ، فيسعون لحمل الأمة على أخذ المفيد الصالح منها . وعندئذ لا يمضي وقت طويل حتى نصبح أمة حية تأخذ مقامها بين الأمم .

الجيلُ الجَـديد

إن المتتبع للنهضة الجبارة التي تسير عليها بلادنا اليوم في الخط المرسوم لها علميا واقتصاديا وعمرانيا وصناعيا يشعر بالرضا والاطمئنان عن الاسس التي شيدت عليها هذه النهضة . فبعد ان كانت الامور مرتجلة والتخطيط يصدر عن فئة من الناس ترجو من وراء هذا المشروع او ذاك نفعا خاصا ، او مأربا ماديا ، او حتى ارضاء زيد او عبيد من الناس تغير الحال الآن ، فأصبح التخطيط في أيد تدرس وتعني الدرس وتهدف الى غايات سلمية للمستقبل البعيد ، والبعيد اليوم قريب غدا ، كما يقولون .

ان هذا الشعور بالرضا بقدر ما يثلج صدري من جهة يقلقني جدا من جهة اخرى ، مستقبل الجيل الجديد والجيل الجديد ليسوا هم طلبة المدارس الذين ينالون عناية وزارة المعارف والمعاهد الاخرى فهناك عدد كبير ممن حرموا نعمة التعليم لسبب او لآخر وحتما هؤلاء المنتسبون للتعليم قد تطرأ عليهم ـ بعد قضاء عمر طويل في الدرس ـ ظروف تضطرهم الى ترك التعليم وسلوك سبيل آخر وراء لقمة العيش .

ان الطلبة هم عماد المستقبل فاذا لم يحاطوا بالعناية والرعاية منذ فجر حياتهم الى آخر مرحلة من مراحل تعليمهم كانت خسارة الامة فادحة ومصابها كبيرا .

ان سلامة المستقبل في سلامة رجال المستقبل . فلا بد من تخطيط شامل واع لانبات هؤلاء الرجال نباتا حسنا . وهو ما نحن في أشد الحاجة اليه .

ومشاكل الطلبة اكثر من ان تعد ، فهناك مشاكل مادية ، ومشاكل عائلية ، ومشاكل نفسية ، ومشاكل فراغ . والطلبة في سن المراهقة اذا انحرفوا كانوا اكبر خسارة على الامة . واسباب الانحراف واسباب العقد النفسية في هذه السن اكثر من ان تحصى . وتصوروا مقدار خسارة الامة في شباب تعهدتهم وعلمتهم حتى قرب ان تجني ثمار جهدها منهم فاذا هم قد انقلبوا على اعقابهم وسلكوا سبلا منحرفة .

فلا بد اذن من تخطيط دقيق شامل يشترك فيه كبار رجال التربية وجميع الآباء دون استثناء . الآباء باشتراك مادي زهيد ، والاغنياء بهبات واشتراكات ، ورجال التربية بالعمل والجهد للبحث في مشاكل الطلبة وملء اوقات فراغهم بما يفيد ويعالج حالة كل طالب بما تستدعيه حالته بدراسة اجوائه الخاصة ومساعدته على متابعة سير تعليمه .

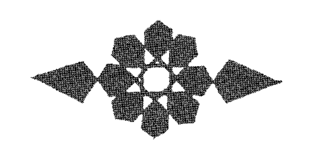
ولقد جربت الولايات المتحدة اكثر الوسائل التي اقترحها رجال التربية والتعليم في هذا الشأن فوجدت امثلها واكثرها فائدة هو انشاء اندية للطلبة تحت اشراف كبار رجال التربية وبمساعدة رجال المال والاعمال . وتحتوي هذه الاندية على كل ما من شأنه مساعدة الطالب ثقافيا واجتماعيا . ووجدوا ان الطالب اقرب الى نفس الطالب فهو يركن اليه ويفضي اليه بأسراره ومشاكله التي قد يضن بها حتى على والديه ، ومن الطالب الزميل تنقل هذه المشاكل الى المشرف الاجتماعي الذي يقوم بدوره بمعالجة المشكلة دون ان يشعر الطالب باحراج او جرح لكرامته . ولقد حل احد الاندية مشاكل آلاف من الطلبة في عام واحد ، وأعادهم جميعا الى حياة الدراسة ، وخلق منهم رجالا ناجحين ، بعد ان كادوا ينحرفون .

وأصبح كثير من رجال الاصلاحيات ورجال الشرطة يحيلون الى هذه الاندية احداثا عجزوا عن اعادتهم الى حياة العلم والعمل فنجحت الاندية فيما عجزوا هم عنه .

ان طلابنا في اشد الحاجة لمثل هذه العناية فهم بعد خروجهم من المدرسة قل ان يجدوا جوا مناسبا يقضون فيه ساعاتهم ، فبعضهم لا يجدون حتى في بيوتهم الاسباب التي تساعدهم على الهدوء والمذاكرة والانتاج . اما في ايام العطل فالمشكلة اكثر تعقيدا او اكبر تأثيرا ..

ان علينا كأمة ناهضة ان نساهم في بناء الجيل الجديد .

ان على الصحافة والاذاعة والتلفزيون واجبا كبيرا نحو الجيل فعليهم جميعا ان يثابروا على ايجاد الوعي لدى كل فرد بأن عليه واجبا خاصا وضروريا في المشاركة في تنشئة الجيل الصالح علميا وعقائديا وخلقيا . ويضيق الصدر ولا ينطلق اللسان عن بعض اثريائنا الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويعيشون كأنهم خالدون مخلدون . ان الانفاق على اصلاح فرد من افراد المجتمع الاسلامي اقرب صدقة يقدمها رجل في سبيل الله فالرسول ﷺ يقول : « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُر النعم » وصدق الرسول ﷺ .



الكتاب الفضي « المنهل » في ٢٥ عاماً

وهذا زميل الدراسة الاستاذ عبدالحميد عنبر ، عضو مجلس الشورى ، يكتب كلمته التالية ، تحية للمنهل ويوبيله الفضي ، وسيرى القراء في الكلمة كشفا عن المصاعب التي واجهت صاحب المنهل ابان اصدارها واماطة اللثام عن سر نجاحه في استمرار اصدارها رغم تلك الظروف القاسية والاحوال الصعبة المراس ، المنتشرة الاشواك في كل مكان . وقد استهل الكاتب الفاضل كلمته بهذا البيت :

(لا يعرف الشوق الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يعانيها)

ثم مضى يقول :

جرى على لساني هذا البيت وانا اتصور مجلة المنهل الغراء وهي تستعد ليوبيلها الفضي في هذا العام .. واليوبيل الفضي بمجلة المنهل معناه كفاح وجهاد خمسة وعشرين عاما قضاها صاحب المنهل في البلوغ بمجلته الفتية الى ابلغ ما يصل به جهاد فرد مكافح .

لا شك ان جيل اليوم لا ينكرون على صاحب المنهل جهاده في سبيل البلوغ بمجلته العزيزة الى المكانة الرفيعة التي هي عليها اليوم .. ولكن هناك من لا يستطيع تصور ماهية هذا الجهاد العنيف او الصعاب العسيرة التي ذللها صاحب المنهل بعناده وجهاده واصراره .. وهذا ما اجرى على لساني هذا البيت :

لا يعرف الشوق الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يعانيها

وأنا أرجع الى الوراء ربع قرن من الزمن فأتصور الطالب الناشىء عبدالقدوس الانصاري ينتهز كل فرصة فيولي وجهه شطر باب العنبرية قاصدا مكة (العاصمة) فيستأجر بما جمع من القروش التي اقتطعها من نصيب بطنه ، سيارة لتتدحرج به في طريق رملية عسيرة شاقة . ولم يقطع هو ورفاقه هذه الاربعمائة كيلومتر الا من بعد أن يكون قد انقطع نياط قلوبهم في التغريز والزج والشمس الحامية المحرقة .. ويصل الى مكة ويتصل بأدبائها وبأصحاب الشأن فيها ويحدثهم بحماسة ولهفة عن رغبته في انشاء مجلة ادبية تخدم الادب والعلم في هذا البلد المقدس ، وتكون اداة نافعة لاعادة مجد هذا البلد المقدس ، بعد ان أتت عليه السنون ، وتضافر عليه المستغلون والحاكمون ، فامحت أمجاده وأبدل بعروبته الاصيلة بقوميات ونعرات افسدت حياته ولم تبق له كيانا عربيا ولا عجميا بل رؤوسا تمثل افظع اختلاف في التفكير والعادات والتقاليد في الاسرة الواحدة .

ويسمع اهل الرأي والفكر ما يقوله هذا الشاب المغامر ويخفون عن وجهه ابتساماتهم الساخرة .. مجلة ادبية ! تتحدث في شؤون الناس ويقلد بها المارقين في البحث والتنقيب وإدخال انوفنا في شؤون قد تكون سببا في اغضاب امم او دول عزيزة علينا او امم لسنا « قدها » ان اغضبناها . ونعود الى حياة القلق والاضطراب بعد الراحة والسكون .. ما هذا ؟ كيف يمكن ان نساعد على التمرد ؟ أليس في الكتابة في المجلات تسهيل لاسباب التمرد امام شباب ثائر احمق ؟ اننا رغم حسابنا الدقيق معهم لم نسلم من شطحاتهم وجنونهم في صورة كتب يصدرونها باسم ادب الحجاز وغير ادب الحجاز . فكيف لو أتحنا لهم الفرصة في مجلة تصدر شهريا !

ويسمع الشاب الوجه الظاهر من كلمات الاطراء والتأييد ما يعرف انه مجرد مجاملة واستخفاف ولكنه وهو العارف ، يمسك بهذه الخيوط الواهية ويقتحم الدوائر يطلب ويستجدي ويعود بعد جهد بخفى حنين . ويدور الحديث في المجالس والاندية ويتفكر الموسرون واصحاب الرأي بجنون هذا الادب المغرور . كيف يمكن ان تسمح الحكومة باصدار مجلة ؟ انها لو سمحت فاننا لا نقر ان يكون امر مثل هذه المجلة في يد شاب ناشيء غرير ، ان من يقوم على امر هذه المجلة يجب ان يكون رجلا عظيما من كبار رجالات البلد يعرف كيف يسير بها ويرضى تقاليد البلد واذواقها ويحافظ على علاقاتنا مع الامم المحيطة بنا والمرتبطة مصالحنا بها . وتنتهي المجالس بضحكات السخرية والاستهزاء .. ويظل الشاب يكاتب رجال العاصمة مستحثا مهيبا مستعطفا . وتمر الأيام ويعود بورقة الاركاب التي تحصلها بعد جهد الى العاصمة ويطرق الابواب مرة اخرى .

وان كنت تعرف شخصيا هذا الشاب تعرف كم هو عنيد ومصر لا يتردد ان يصر على نقر الصخرة بالابرة اذا كان ذلك أمرا لا مناص عنه لتحقيق الهدف . وهو الآن في دروسه لا يهمه اقناع الناس ولكنه يريد ان يقنع الرسميين ليتحصل على الرخصة . والرسميون اشد صلابة واكثر حذرا من الشباب الثائر المفقود الثقة .

واستثمر عمله كموظف بديوان امارة المدينة فجعل يتودد لاميرها ويعمل جاهدا ليل نهار لارضاء اميره ورئيس ديوانه حتى تم له اكتساب ثقتهما وكانت شهادتهما له عند اصحاب الشأن خير شفيع وأخيرا أعطي الرخصة على ان لا تتجاوز ابحاث المجلة ، الابحاث الادبية والدينية والاجتماعية . وبرقت عينا الفتى وهو يتسلم الرخصة وجعل يحملق فيها وهو لا يكاد يصدق ان مسعاه قد نجح ، وانه فعلا أصبح صاحب مجلة ومديرا مسؤولا . ثم أفاق من نشوة الفرحة ليجد نفسه من جديد في موقف الحيرة والارتباك وهو يفكر الآن في رأس المال الذي تقوم عليه المجلة ، وفي الكتاب الذين سيدبجون المقالات الادبية والعلمية والاجتماعية لتضمن للمجلة الرواج والاستمرار . وأين المال والجيب خال وراتب الوظيفة لا يكاد يفي بحقوق البطن والناس لا يؤمنون بصرف اموالهم على مثل هذه الخزعبلات ؟ وأين الكتاب والبلد ليس فيه الا من يعد على الاصابع ، منهم ، وهم على ذلك في غرور وشطحات ؟ وحل الفتى المشكلة وهو يقول في نفسه :

لماذا كل هذا التردد وهذا الجبن ؟ ليس ضروريا ان يكون عندي ورقاً للمجلة لعدة شهور ! وليس من الضروري ان أقاول المطبعة لمدة طويلة ! يكفي ان اشترى الورق شهرا بشهر ، ويكفي ان أدفع أجرة الطبع شهرا بشهر ، وهذا كل ما استطيع ان افعله .. ساحسم من راتبي مبلغا استعين به على سداد قيمة الورق في كل شهر . وكذلك الطبع .. سأجمع بعض الاشتراكات وادفعها قسطا للطبع . وبعد صدور العدد الأول يخلق الله ما لا تعلمون ، وموضوع الكتابة يبدو لي بسيطا ، فالمجلة شهرية .. فعلي ، ان اكتب طوال الشهر مواد المجلة ، وماجاء من الادباء صالحا للنشر سوف يترك لي فرصة للراحة والاستجمام .

وخرج الفتى من تفكيره هذا بقرار حاسم ، فقد قرر ان يصدر المجلة ، ويتحمل كل العبء وكل الجهد والعرق والسهر .. وصدر العدد الاول من مجلة المنهل واستمرت المجلة في الصدور ، وكان كثيرون ينتظرون وقوفها بين الحين والحين ، وكان كثيرون ينتظرون ان يفعل ضيق الافق فعله في نفوس اصحاب الشأن فيسعوا الى انهاء حياتها ، لابد من احد امرين : اما افلاس صاحب المجلة ، او قيام الرأي العام مطالبا بوقف هذا الاندفاع والكلام الفارغ .

ومعذور من لا يعرف حالة الرأي العام في ذلك الوقت فان كلمة واحدة قد يصور الفهم السقيم لشخص من الاشخاص عدم لياقتها فيسعى مشوشا صارخا يتحدى . ويجد صدى وأذنا ، ويكون لذلك تأثير بليغ على حياة المجلة بل على حياة صاحبها ومن له علاقة به .

ولكن المجلة لم تقف رغم الافلاس ورغم وقوف الكثيرين في وجهها ، فقد استمات صاحبها لتعيش ، وعاشت المجلة ..

وسيجد القارىء اذا رجع الى اعدادها الاولى انها كانت تكتب حينا من الفها الى يائها بقلم واحد .. هذا الى ان صاحب هذا القلم هو الذي كان يعمل بنفسه في كتابة عناوين المشتركين وايداع المجلة في البريد وتسلم تحاريرها والرد عليها ومعالجة أراء الناقدين .

وسيجد القارىء اذا قارن اعدادها الاولى بما هي عليه اليوم ، أنها لم تكن في مستواها العلمي ، أقل مما هي عليه اليوم ، وان كانت الآن قد اينعت ثمارها وتفتحت ازهارها وتنوعت ابوابها .

والمتتبع لتاريخ الصحافة في هذه البلاد يجد ان كل صحيفة صدرت لم تسلم من التوقف والمنع والاهتزاز امام التيارات المختلفة ، ومجلة المنهل هي الصحيفة الوحيدة التي قطعت مراحلها وعاشت الى يوبيلها الفضي دون ان تتعرض لمثل هذه الزوابع .

هذه لمحة من جهاد صاحب المنهل اثبتها للحقيقة والتاريخ كصديق وزميل لصاحبها عرف من امورها الكثير وكتب عن معرفة وصدق . وانها لصفحة مشرقة جدير بشباب هذا الجيل ان ياخذ منها درسا لشق طريق النجاح في الحياة .

وقبل ان اختتم كلمتي اهنيء صديقي الاستاذ عبدالقدوس على نجاحه الكامل وتوفيقه الكبير في خدمة العلم والادب في هذا البلد المقدس الطاهر .

والله اسأل ان يزيد في عونه وتوفيقه فيكمل رسالته العظيمة بخير ما يكمل به العاملون المصلحون اعمالهم .

والى الأمام ، دائما الى الامام .

من مظاهر النهضة بالمدينة المنورة

لا يسع المتتبع لتاريخ النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية الا ان يعترف بحق شباب المدينة في تكوينها وتغذيتها بما يملكون من قوة وحيوية وشباب فمنذ ان دوي في ام القرى صوت الاستاذ الصبان قائلا : لقد نادانا الواجب فلبينا ودعانا الوطن فاجبنا . منذ ان اهاب بالشباب الحجازي ليؤدي مهمته الوطنية تقدم شباب المدينة مدفوعا نحو واجبه في رفع شأن امته وبلاده فما كنت ترى إلا شبابا متحمسا يروح ويغدو جاهدا في تسويد المقالات العلمية والادبية في الصحف منشئاً أندية الثقافة والادب فكان الحفل الأدبي وجماعة المحاضرات وكان لتلك المحاضرات العلمية والادبية اثرها الموفق الطيب في توجيه النشء الجديد نحو العلوم والاداب ، واطرد هذا التقدم فظهرت في عالم الصحافة مجلة المنهل وجريدة المدينة وبرز في عالم التأليف والشعر والادب شباب هم اليوم من خيرة رجال النهضة الحديثة وقد دفع حب بعضهم لبلادهم الى الهجرة الى ام القرى حيث المجال اوسع والحاجة امس فبعد الانصاري وضياء رجب وامين مدني ومحمد زيدان وغيرهم في معارك النهوض في ام القرى فكانوا من المبرزين .

وكان من اثر هذه النهضة في دور العلم بالمدينة ان نشأت دار العلوم الشرعية ودار الايتام ودار الصناعة والنسج ومدارس التهذيب والمحافظة على القرآن الكريم وغيرها من المنشآت العلمية الحديثة . ولقد تفضل صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فشمل هذه الدور العلمية والصناعية بعطفه وتفضل رجال فحذوا حذوه فأثمرت هذه الدور ثمراتها الطيبة بفضل الله ثم بجهاد ابنائها وتشجيع صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ورجال حكومته ، وهذه مبانيها الشامخة اليوم العلمية والصناعية تملأ العين بهجة ورضا والقلب اطمئنانا وسرورا وتنادي بجلال العلم والعمل وتشير بمجدها الى جهاد المخلصين من رجالات المدينة الناهضين .

ولا يسع منصف ان يهمل ما اسدته حكومة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من اياد بيضاء على هذه النهضة المباركة حيث شملت بعطفها الناهضين بها ووضعتها تحت رعايتها ثم ان حكومة صاحب الجلالة قد غذت هذه النهضة بمدارسها التحضيرية والابتدائية وعينت في الحرم الشريف النبوي مدرسين اكفاء وخصصت الحكومة للطلبة رواتب لتعينهم على طلب العلم فاخرجت هذه المدارس وهذه الحلقات العلمية للنهضة رجالا اكفاء اشتركوا في تدعيم بناء النهضة الحديثة .

وقد كان لظروف الحرب مؤثراتها على الحركة العلمية والادبية في المدينة فسببت ركودا فشلّت حركة صحافتها وتوقفت عن الصدور جريدة المدينة ومجلةالمنهل بسبب انعدام الورق كما ظهر اثرها باديا في دور العلم فحدت من حركتها واوقفت بعض الشيء تيار تقدمها .

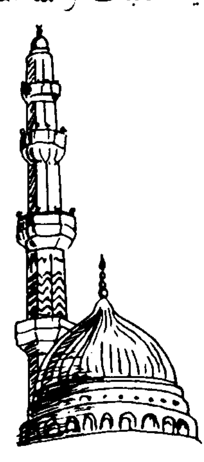
واليوم وقد انزاح شبح الحرب فاننا نرى الهمم المكبوتة قد انطلقت من عقالها فدبت روح القوة والنشاط وظهرت اثار العمل في كل ناحية من نواحي الحياة فهذه دار الايتام قد

اشتغلت في بناء دارها الجديدة بهمة ونشاط لا يعرفان الكلل والفتور فلم تمض شهور حتى بدا للعيان هذا البناء الشامخ الذي يلفت بجميل هندسته وعظمة بنائه نظر كل من اتيحت له زيارة هذا البلد الطيب في هذه الايام وظهرت للعيان المحاولات الجديدة لمدرسة العلوم الشرعية في ترقية شعبها العلمية والصناعية وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات . وهذه مدرسة دار الصناعة والنسج قد اخذت تفكر تفكيرا جديا في انشاء اقسام جديدة في مؤسستها وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات وهكذا في جميع المعاهد والمؤسسات الحكومية منها والاهلية .

اما المشاريع الجديدة التي تعتبر من مظاهر النهضة الحديثة في المدينة والتي هي من مشاريع ما بعد الحرب فهذا البناء الهندسي البديع الذي سيؤسس للمدرسة الثانوية والذي هو رمز ذكرى عودة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من رحلته الموفقة من البلاد الشقيقة مصر والذي هو رمز الخطوة العلمية الثانية التي خطتها النهضة الحديثة في المدينة في جهادها وستأتي بعدها الخطوة الاخيرة الموفقة ان شاء الله خطوة الكليات والجامعات .

وظاهرة اخرى جديدة تستحق التسجيل والتقدير هي تأسيس مدرسة الصحراء في المسيجيد فان مؤسسي هذه المدرسة الاخوين السيد علي وعثمان حافظ قد دللا بهذه الخطوة الحميدة على ان رجال النهضة الحديثة في المدينة قد تخطوا التفكير المحدود فوضعوا في قائمة نهضتهم القيام بواجب بادية هذا البلد المقدس التي نشأ الدين على اكتاف رجالها الاوفياء المخلصين والذين لابد من نهوضهم لنهوض هذه البلاد نهوضا صحيحا كاملا فهم بيت الداء وعلى تعليمهم وتثقيفهم يتوقف الدواء .

وبعد فهذه كلمة مقتضبة عن مظاهر النهضة الحديثة في المدينة اتشرف بعرضها للقراء الاعزاء إجابة لطلب الصديق العزيز الاستاذ الانصاري للكتابة تحت هذا العنوان الذي عينه في طلبه والاشتراك معه في القيام بالواجب المقدس والا فما أنا من رجال هذا الميدان اليوم وقد حالت عنه حوائل ووقفت دونه اليه عقبات والله الموفق وهو يهدي السبيل .



الاجابة عن الاستفتاء بعنوان مشروعاتنا في الخمس سنوات

انت محرج يا استاذي العزيز .. دعني اقول بصراحة ودون مجاملة فأنا وانت قد شببنا عن الطوق ولا داعي للمجاملات والعنف في طمس حدود المواقف الحساسة التي نمر بها او تمر بنا من مراحل حياتنا التطورية فان هذه المرحلة الدقيقة بل هذه الفرصة السانحة قد تفلت من يدنا اذا نحن لم نخلص القول فيها لله ولرسوله ولاولي الامر فان المجاملات والملاطفات قد حجبت عن أعيننا وأعينهم الكثير من الحقائق الواجب معرفتها .

دعني اقل لك في تفسيرك للتطور في النواحي الاقتصادية والثقافية والعمرانية والادبية بخمس سنوات قد تعرف مشاكل مجتمعنا تقدير فيه من التفاؤل والمجاملة اكثر مما فيه من الحقائق والنظرة العميقة وانت وقد شببت عن الطوق ـ على حد تعبيري ـ يجب ان تقف موقف الصريح المخلص وقد كنت تقف في جميع مواقفك موقف الصريح المخلص .. فمجاملتك فيما مضى كانت هي الموقف الصحيح لأن الوعي في ذلك الزمن لم يتفتح ولأننا جميعا نحن قد توصلنا الى فهم الحقيقة علاقة الحاكم والمحكوم .

والحقيقة التي يجب ان نقرها جميعا ان الحكومة لم تكن قد غفلت في يوم من الايام من ان تعرف حقيقة واجبها نحو الشعب ولكن الشعب هو الذي كان يتخبط في ظلام الجهل واثقال التركة التي خلفتها عصور الارستقراطية الحاكمة في عهد الاتراك البائد .

فجلالة المرحوم الملك عبدالعزيز مؤسس هذه الدولة الفتية كان يؤمن بأن ثبوت الحكم انما يتوقف على فهم صحيح لحقوق الحاكم والمحكوم .

وكان رحمه الله حريصا على ان يوطد ثقة الحكومة بالشعب وثقة الشعب بالحكومة ولكن عبقريته الفذة كانت تصطدم بعقلية شعب لم يستجب للغايات البعيدة التي كان يجاهد ويجالد في سبيلها . لم يكن هناك شعب يفهم هذه الحقائق ، لم يكن هناك شعب يعرف ان الامن سبيل الاستقرار فاضطر ان يفهمه ذلك بالقوة والشدة والقسوة ، لم يكن هناك شعب يعرف ان العدالة الاجتماعية سبب من اسباب الرفاهية العامة فكان يحقق هذه العدالة بطرق متعددة فيها تهديد وفيها اغراء فكنا نسير رغم انوفنا الى حياة افضل .

وبعد ان طوى التاريخ هذه الصفحة صفحة الملك المؤسس رحمه الله بدأنا نستشرف حياة جديدة . حياة تتميز بالوعي من جانب الحكومة والشعب . حياة بدأ الشعب يفهم حقيقتها . هذه الحقيقة التي تقول ان الثقة المتبادلة بين الشعب والحكومة هي الاساس الوطيد لرفاهية الشعب ونجاح الحكومة ولكن رواسب الماضي في اعماق نفوسنا جعلتنا نقول في كل شيء ولا الضالين أمين .

ان تطورا نريد أن نلمس اثره في خمس سنوات لا يمكن ان يتم الا في مجتمع تمت له اسباب هذا التطور فالتطور في الشؤون الاقتصادية يستلزم ان تكون الجماعة التي تتحكم في

إقتصاد البلاد هي الفئة التي درست هذه العلوم وهضمتها ثم اكتسبتها تجربة وحنكة ، الفئة التي نزلت الميدان بجيوب فارغة وعقول عليمة فارتقت السلم حتى بلغت مداه ، ان هذه الفئة لم تخلق بعد في مجتمعنا ، ان اصحاب العلوم والفنون من رجالنا جبنوا من ان ينزلوا الميدان بجيوبهم الفارغة وعلومهم المدروسة ليرتقوا السلم من أول درجاته وما زالوا يفتشون عن الكرسي الكبير . أما الذين يمسكون بيدهم ميزان الاقتصاد فهم تلاميذ من أسميهم بأصحاب الاستعمار الاقتصادي هؤلاء الذين يرسمون الخطط ليجعلوا سائر المملكة تعتمد في اقتصادياتها على الوارد الخارجي فهم لا يؤمنون بالثروة الوطنية ويرون في الاقدام عليها مغامرة وجهادا يبعدون عن التورط فيه حتى ولو قدر لهم النجاح فهم يعيشون بعقليتهم الفردية يطلبون الكسب من اقرب طريق ويزهدون في ان يسيروا في طريق شائك معقد كما تصوره عقليتهم الفردية المحدودة . ان الخطط الاقتصادية لرفع المستوى يجب ان يضعها علماء مجربون وينفذها شعب فاهم واع . لذلك فاني ارى ان تطورنا الاقتصادي سيمر بهذه التجربة في سنواته الخمس التي بدأها فان خاب ظني ـ وأرجو ان يخيب ـ وحدث تطور جوهري في هذه الفترة فستكون المعجزة . ولا غرابة فان حياة مجتمعنا تسير دائما في تطورها بالمعجزات ، المعجزات التي يحققها العالم الذي يحيط بنا ويجذبنا اليها تياره الجارف بقوة وعنف . ان انشاء الطرق وتسهيل المواصلات من أهم اسباب النشاط الاقتصادي فما الذي حققناه في ذلك في مدى السنوات الطويلة الماضية حتى نستخرج النسبة للتطور في الخمس سنوات المقبلة . أين سكة حديد الرياض ـ حائل ـ المدينة ـ جدة ؟ هذا المشروع الذي تم درسه قبل سنوات ، وأعلن العزم في بدئه ؟ أين هو وماذا تم فيه ؟! ان انشاء السدود والبحث عن مكامن المياه في أجواف الارض ونشر المحطات الارتوازية في كل منطقة وفي كل مكان اثبت العلم وجودها فيه . ان البحث عن مكامن المياه في أجواف الارض والبحث عن الاراضي الصالحة لزراعة أنواع الحبوب والموالح من أهم أسباب الانتعاش الاقتصادي فأين هي الهيئات العلمية التي تجوب المملكة لهذا الغرض الكريم ؟! لقد سمعنا كثيرا عن العزم والحزم وعن الدراسات الفنية لكل هذه المشروعات ولكن دور العمل قد تأخر كثيرا .

ان هذه الخطوات هي بعض لوازم التطور للانتعاش الاقتصادي فهل سنخطوها في الخمس السنوات المقبلة ؟ .. أرجو ذلك .

أما عن التطور الثقافي في هذه المدة ففي وسع كل من أخذ ورقة وقلما أن يعرف مقدار مداه فخريجو الجامعات من أبنائنا لا يزيدون عن المئة في كل سنة على اكبر تقدير وعلى ذلك فسيزيد المثقفون خمسمائة في هذه المدة وخذ مثلهم من المتعلمين من أصحاب الجهود الخاصة فما هي نسبة الف شخص لسكان المملكة جميعا ، هذا اذا قدرنا ان جميعهم من المفلحين .

ان التطور الثقافي الجوهري يستلزم محو الامية وفرض تعميم التعليم الاجباري في مراحله الابتدائية فهل يتحقق هذا في مدى خمس سنوات ؟!

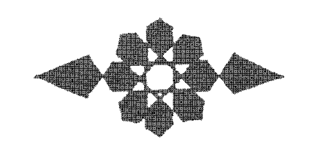
أما عن التطور الادبي فسيكون بطيئا ذلك لان الادب انما يخصب ويؤتي اكله الطيب في أمة تطورت أذهانها وسمت غاياتها وارتفع مستواها العلمي فتخطت النظرة المادية الى المبادىء الروحية السامية .

اما التطور العمراني فمن الحق أن نقول اننا خطونا فيه خطوات واسعة فهذا التطور العمراني في كافة مدننا هو زينة اعمالنا ولكنها زينة على عروش من خشب . ان هذه الزينة انما تأخذ شكلها الرائع البديع اذا حققنا في السنوات المقبلة الخمس انصرافنا عن انشاء المباني والقصور الى انشاء الطرق وتسهيل المواصلات وربط المملكة بالسكك الحديدية التي يسبب وجودها وجود صناعات حيوية لسد حاجات مستلزماتها الكثيرة والمختلفة .

وبعد فان التطور الذي يجب ان نسعى اليه حكومة وشعبا هو التطور في بناء الافراد وتكوين الاسرة وايجاد المجتمع الراقي واعادة الثقة المفقودة بين الافراد وتدعيم الثقة في الحكومة والشعب . اننا في حاجة الى هذا التطور ومن مراحله ان تنشىء الحكومة وزارة للشئون الاجتماعية والارشاد يتولاها كبار رجال العلم والفكر يسعون لبث العقائد الصالحة ويهيئون حياة القناعة والاستقرار ومن أهم اسباب الاستقرار ان تنشأ وزارة للصناعة لتهيئة العمل الشريف للمواطن الصالح .

وبعد فلست بائسا ولكني (زعلان) زعلان لاننا رغم امكانياتنا الهائلة لتحقيق الكثير من أمانينا فاننا ما زلنا نحبو وقد ضيعنا مقياس التوازن بين القول والعمل .

حقق الله الامل وأيد نهضتنا من عنده .



هل يخفق الاديب في الحياة ؟ ولماذا ؟!

رغبتْ اليَّ مجلة «المنهل» الغراء ان اكتب لها كلمة تحت هذا العنوان والعنوان ـ كما يرى القارىء الكريم ـ يحكم على الاديب المسكين بالاخفاق في الحياة ، ونحن اذا اردنا أن نتفلسف مع «مجلة المنهل الغراء» لقلنا ان ادارة مجلة المنهل كانت تقصر نظرها فيما حولها ، حين قدر لها ان تختار هذا العنوان . فجاء منتزعا من هذا المْاحَوْلَ ؛ ومنطبقا تمام الانطباق على من نسميهم الادباء في حجازنا المقدس .

وذلك في نظري ليس سببه الادب ، كما يتوهم لاول مرة من معنى هذا العنوان بل السبب الحقيقي ـ كما أظن ـ هو هذا الغلط في التسمية ، او التساهل فيها ، فلو اردت ان تسأل هؤلاء الذين يمنحون لفظ الأديب عن علة هذا المنح وسببه لاجابوك ان هذا الاديب قد كتب في الجرائد والمجلات واستطاع ان يجذب النظر اليه ، بل هو سوف يستطيع ان ينال مركزاً ممتازا من الوظائف التي يحوم حولها الناس . اذاً فالادب في الحجاز هو الكتابة في الجرائد والمجلات وهي محاولة لجلب نظر الناس ، ولنيل المركز الممتاز الذي يحوم حوله الناس ، وبعبارة مختصرة : الادب في الحجاز هو اعلان عن النفس ووسيلة الى الغرض لذلك نرى كثيراً من الشباب الطموح يبدأ حياته بمطالعة الصحف والمجلات ثم بكتابة المقالات وصوغ القصائد ؛ حتى اذا ما ساعده الحظ ، ونال ما كان يمني به النفس حمد المسرى واقتنع بان مهمته الادبية قد انتهى امرها ؛ ونسي الادب ؛ وتسلى عن الانتساب اليه ، وان لم يساعده هذا الحظ فهو اديب من يوم ان انتسب الى الادب الى يوم يموت ! وبضاعته فيه هي هي ، لا تزيد ولا تنقص من يوم ان انتسب الى الادب الي يوم يموت ؛ ثم هو ساخط على الادب ؛ ومن دله عليه ..

ونرى كثيراً من الشباب الذين يتوهمون ان النزول في ميدان العمل ؛ فيه نزول عن المركز اللائق الذي صورته في أمخاخهم البيئة والتقاليد ، يلجأون الى مطالعة الجرائد والمجلات ويحاولون كتابة المقالات يمنحوا لفظ الاديب ، فيتلذذون بالوهم الكاذب الذي يتصورونه في لفظ الاديب ، حتى اصبح لفظ الادب ملجأ للكسالى والعاطلين كما اصبح لفظ الطلبة في بعض المساجد والتكايا ستاراً للعاطلين الذين نبذتهم الحياة لضعف تربيتهم ، ووهن في اخلاقهم ؛ فهم من الطلبة من يوم ينتسبون الى الحلقات الى يوم يموتون .

فاذا صحت فلسفتي مع «مجلتنا الغراء» وكانت تسألني عن سبب اخفاق هذا الاديب الذي وصفت ، فاني مجيبها بان سبب اخفاقه هو هذا التفسير المغلوط للادب ، والاعتقاد بانه وسيلة لا غاية ، يلتجيء اليها الشباب لتكون طريقا الى الغرض الذي يطمح اليه .

ثم اذا دام تفسير الادب عند شباب الحجاز على هذا النحو ؛ فان الحجاز سوف يفقد الادب الى زمن لا ندري مداه . ولعلى بعد هذا مطالب بتعريف الاديب الصحيح ، وهل هو مخفق في هذه الحياة ام ناجح ؟

لا أشك بل لا يشك كل مطلع على الادب القديم والحديث ؛ ان الادباء في كل زمان ومكان هم من ارقى طبقات الناس ، ومن أحظاها بالتمتع بالشهرة والخلود فالخيام وابوالعلاء وكارليل وغيرهم من الادباء المتقدمين مثل الجاحظ وجوته وابن الرومي وشكسبير قد خلدوا على مر الدهور ؛ ثم انه مما لا شك فيه ان اكثرهم نال من الشهرة في حياته ما لم يستطع معاصر لهم ان يناله ومن المال ما يسمح لهم أن يعيشوا عيشة رغد وهناء ، اما ما نال بعضهم ، وهم الاقل ، من الضغط في حياتهم فذلك ليس سببه الادب ، ولكن سببه المنافسة الساقطة في بعض الاحيان ، والجور الغاشم من الحكام في احيان اخرى ، مما كان لا يخلو منه زمان من تلك الازمان ، ومع ذلك فان الادب هو الغالب في كل الاحيان .. وادباء عصرنا اليوم أكثر تقريراً وعناية من الناس بطبيعة الحال التي اقتضاها توسع نطاق العلم ، وكثرة القراء للآثار الادبية التي ينتهجها الادباء ، فبرناردشو واميل لودفيج وطاغور واقبال والزيات والمازني وأحمد أمين والعقاد وهيكل وطه حسين وغيرهم من ادباء هذا الجيل ، يتمتعون بمكانة قل ان يحلم بها حتى الملوك ويضاف الى ذلك غناء مادي يرفعهم كثيرا عن غيرهم من الناس ، وهذا كما ترى لا يمكن ان يسمى اخفاقاً اذا لم يرد بالاخفاق كنز الذهب واقتناء القصور .

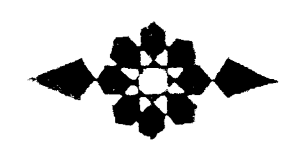
على ان الوصول الى درجة اديب ليس بالامر السهل فهو يستدعي زمناً طويلا ودراسة عميقة متسعة اطول واكثر مما يستدعيه اي فن او علم آخر ولذا فقد فرض المتقدمون على الاديب ان يكون ملماً بشتى العلوم ، متمكنا من فنون القول ، قابضا على ناصية اللغة وذلك في زمن كانت فيه نظريات العلوم محدودة ، ورجاله قليلين ، يسهل حصرهم ولا يصعب سبقهم . اما اليوم وقد انتشرت العلوم والفنون واصبح من المحتم على عوام الناس ان يكونوا ملمين بما تقتضيه واجبات حاجياتهم ، ليعيشوا مع الناس ، فما بالك بالجهد الذي يتطلبه الاديب الذي هو مطالب ان يفوق درجة العوام في العلوم ونواحي التفكير هذا اذا تمشينا مع هذا التعريف القديم ، اما اذا أراد القراء ان يعرفوا تعريفي الخاص فاني اسوقه على هذا النحو :

« الاديب هو الانسان الممتاز الذي هيأته الفطرة للبحث والتنقيب ووهبته جلداً على المدوامة والاستمرار في استجلاء صفحة الكون منذ نشأة التاريخ ، ثم هو بعد ذلك قد كرس جهوده الخاصة في دراسة احوال أمته الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية منذ نشأة تاريخ هذه الامة الى اليوم الذي هو فيه وكون لنفسه رأيا شخصيا خاصاً عن كل عصر من عصور هذا التاريخ وبذلك يكون في نفسه ملكة يقتدر بها على عرض حياة جيله الذي عاش فيه بصورة صحيحة صادقة على الاجيال التي تأتي بعده ويكون في ذلك محافظا على شخصيته وطابعه الخاص ولا بد للاديب الممتاز ان يكون عارفا بتاريخ أمة اخرى عريقة في الحضارة والتمدن ليستطيع ان يوازن بين حياة أمته وحياتها ويستظهر مواطن الضعف فيها ، وهذا بالطبع يستلزم اتقانه للغة تلك الامة كل الاتقان » . وهذه نهاية لا يصلها المجد الا وقد اكتهل او كاد ، وكثيراً ما يدركه الفناء ولم يدرك هذه الغاية .

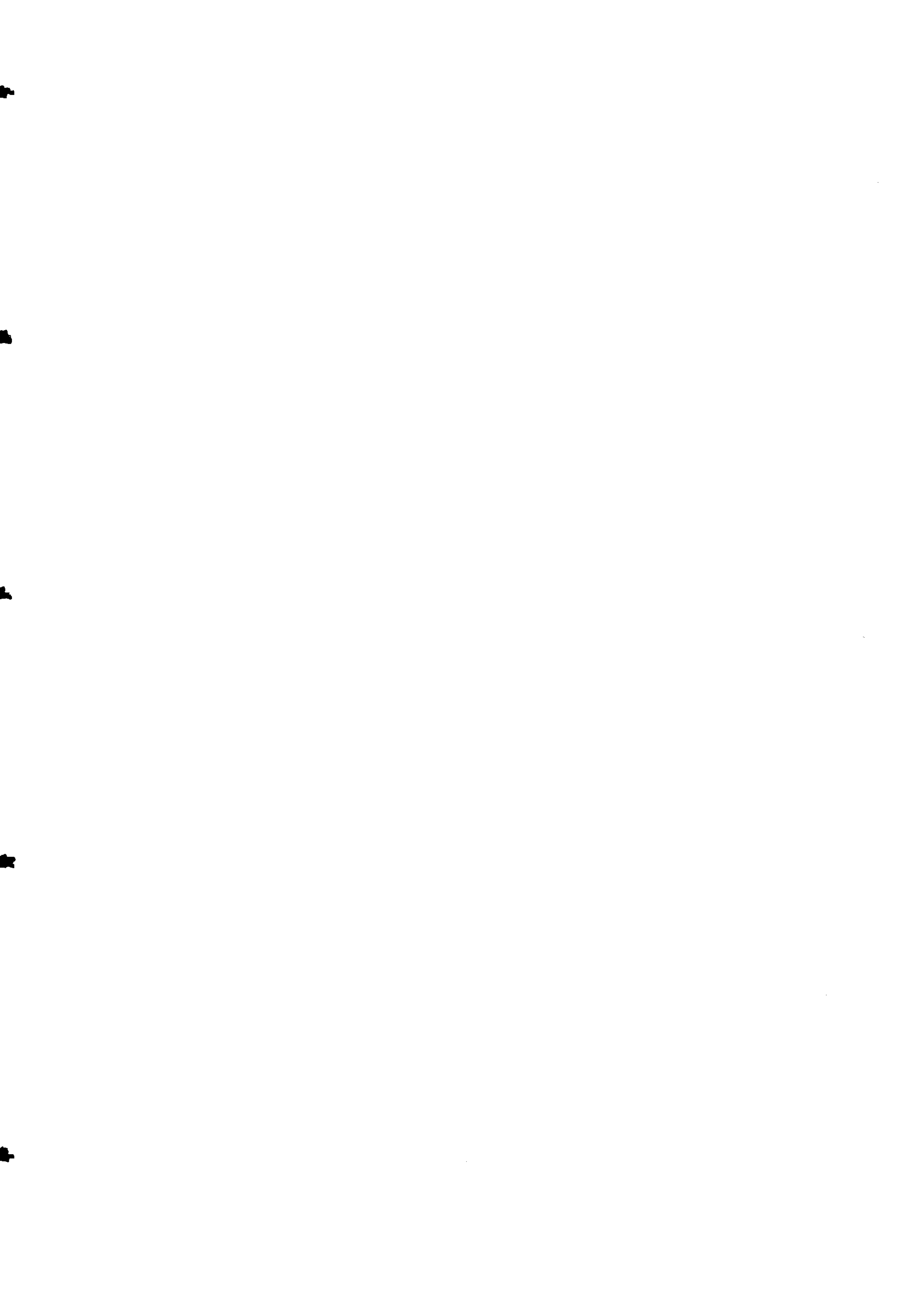
ولذلك كان عدد الادباء في كل زمان ومكان نادرا بل لا مناسبة له مع العلماء والفنانين الآخرين فعدد الادباء في مصر في الوقت الحاضر ـ رغم هذا الانتاج الضخم التي تموج به مطابع مصر ورغم هذه الجرائد والمجلات التي لا تدخل تحت حصر ـ لا يتجاوز الستة أو السبعة ، كما يقول الاستاذ الزيات في مجلة الرسالة الغراء عدد ٢٠٦ ثم هو متشكك فيمن يخلفهم اذا امتدت اليهم يد المنية لا سمح الله ، وكذلك قل في عدد الادباء في كل أمة من الامم .
وطبقا لهذه القاعدة لو اردنا ان نستعرض حياة أديب من هؤلاء الادباء الذين جرى ذكرهم في هذا المقال ، لتحقق القارىء من ان جهد الاديب جهد لا يدخل في طاقة العاديين من البشر ، ولا بد له من ميزات تخصه وترتفع به حتى يتمكن من اداء الرسالة التي ينتدب لها في هذه الحياة ، فمؤرخو كارليل يقولون انه بعد ان تخرج في جامعة ادينبره امتهن التعلم مدة ، ثم تركه الى قرية نائية انكب فيها على الدراسة سنين طويلة كادت تودي بحياته ولولا رأفة زوجته وسهرها لقضى ، وحرم العالم من ذلك الاديب الكبير . وكذلك قل عن كل أولئك الادباء في الكد والتحصيل السالفين منهم والمعاصرين(١) .

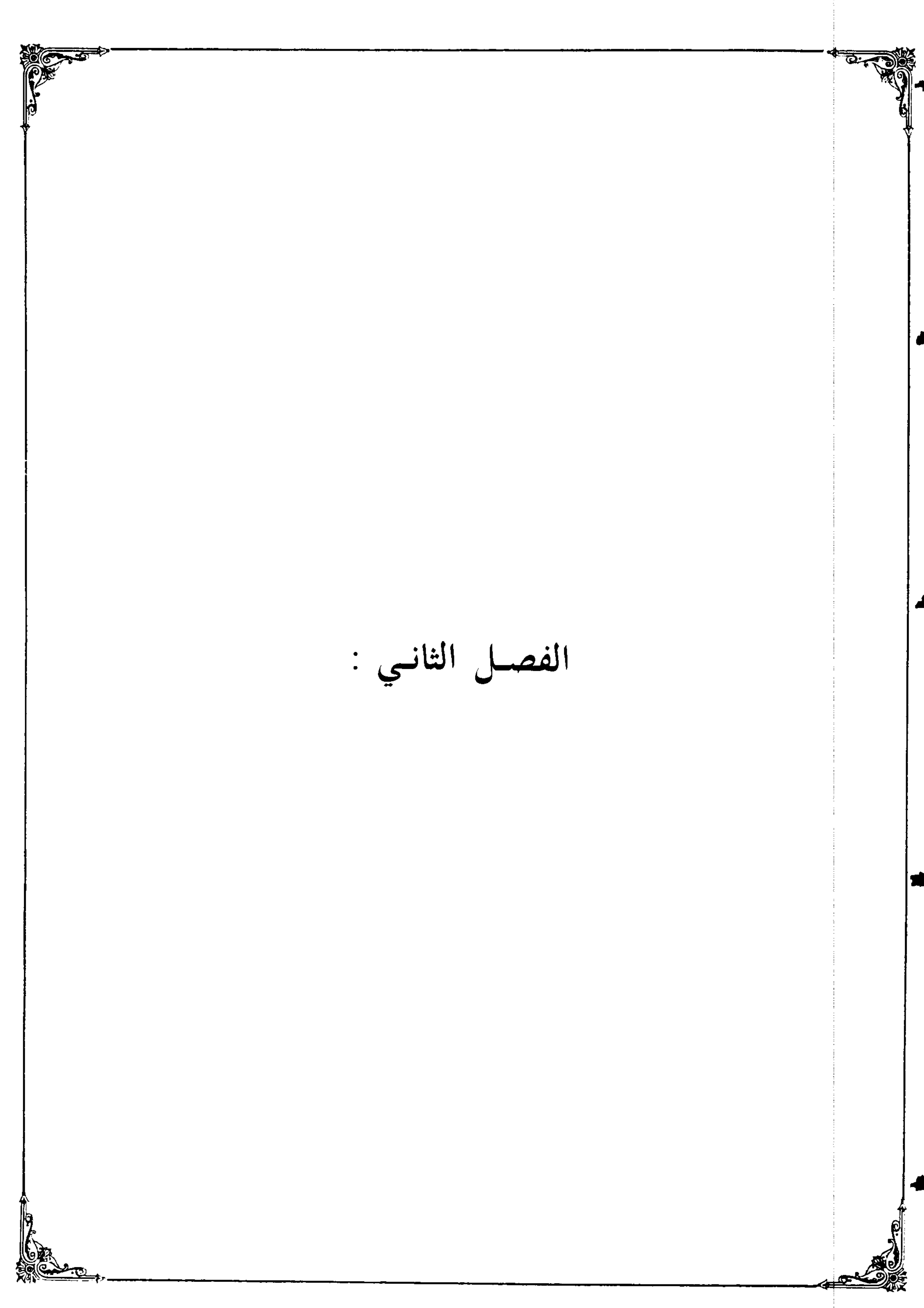
على انه مما لا شك فيه ان الاديب يتكون في الامة الحية في نصف المدة التي يتكون فيها الاديب في الامة المتأخرة ، ذلك لان الاديب انما يكتسب قوته وحيويته من الرأي العام وتقديره ومن عطف عظماء الدولة ورجالها ، ومن البديهي ان الرأي العام متى كان مستنيراً ورجال الدولة متى كانوا من الذين يقدرون الرسالات الادبية ، ويعرفون مدى رفعها لمكانة الامة التاريخية والاجتماعية شجعوا الافراد الذين يتوسمون فيهم فطرة الاديب ؛ وسهلوا لهم سبل العيش والراحة ، ليطمئنوا ويقوموا بدراساتهم في جو هادىء . والأمم المتأخرة تحارب المواهب في الاديب وتقتل فيه النشأة الحرة وتعرقل سبيله الى المطالعة والدروس ، ولذلك قلما يُعرف الاديب في الامة المتأخرة ؛ واذا وجد رغم كل تلك العوائق فانه بلا شك آخذ بيد امته الى سبيل التقدم ، ومورثها صفحة بيضاء في صفحات تاريخها .

وبعد فهذه نظرات مستعجلة وآراء مبعثرة ما كنت لأرضى بتقديمها للقراء في مثل هذا البحث المستعجل لولا اصرار «مجلة المنهل الغراء» على اجابتها في الكتابة في عددها الممتاز وفقها الله وسدد خطاها .

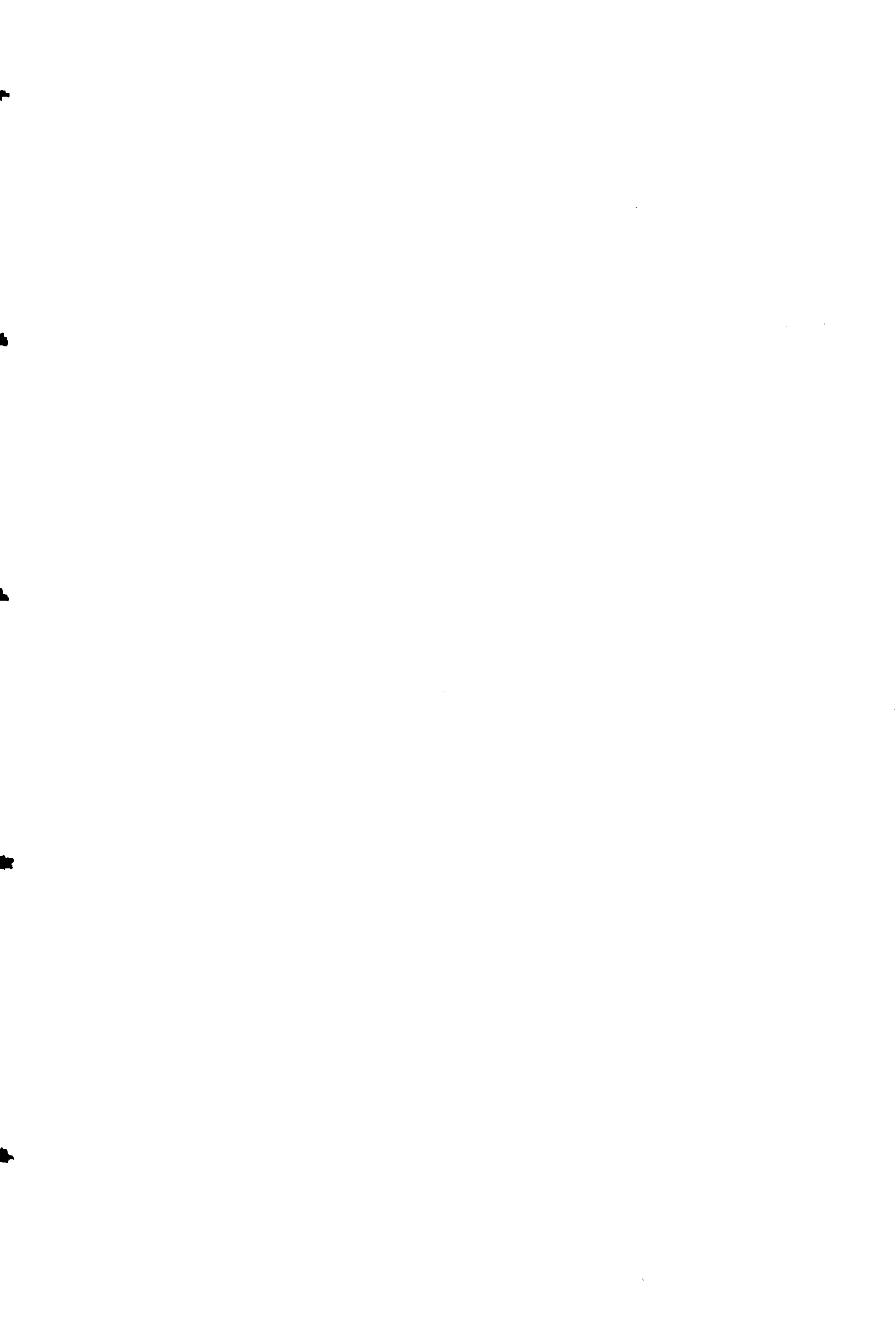


(١) انظر مقال الاستاذ المازني في الرسالة تحت عنوان «الأدب وتحصيله» عدد ٢٠٧





الفصل الثاني :



تحية لهؤلاء العاملين

تقبلت التهاني على استمرار صدور الجريدة بشكلها الرائع القشيب على حد قول بعض المحبين .. وقال محبون آخرون : لقد اعطى القوس باريها ، لقد كالوا لي الثناء كيلا ، وقالوا عن الجريدة كثيراً بل اكثر من الكثير ولولا اعتدادي بصداقة الكثير من هؤلاء لقلت ان الامر لا يعدو هذه المجاملات التي تعودنا ان نكيل منها دون ان ندرك معناها او بالاصح دون ان نتحرى دقائق معانيها .

وقلت لنفسي : أصحيح انت جديرة بكل هذا الثناء ، وصحيح انا الذي تحكمت في استمرار صدور الجريدة بشكلها (الرائع القشيب) وقالت نفسي وهي تبتسم ما شاء الله : هكذا وبهذه السرعة وفي ظرف ستة ايام بلغت خطاك كل هذا المدى . ـ قلت لنفسي : بلاش تريقة ـ وسأحدثك واحدث القراء لمن يعود الفضل في هذا التوفيق ان كان هناك توفيق حقا ؟ ! سنرى فيما فعلت ـ ان كنت حقا قد فعلت شيئا يا أصدقائي الاعزاء وهم هيئة تحرير هذه الصحيفة . هذه الهيئة القليلة العدد الكبيرة المدد المخلصة المتفانية في حب خدمة قراء هذه الصحيفة الفتية .. ولا شك ان القارىء يسر لو عرف مَن يكون هؤلاء .. هؤلاء الذين يسهرون وهو نائم ويكافحون وهو مرتاح ليقدموا له طبقا شهيا كل صباح .

اول هؤلاء شاب وديع لطيف اذا تكلم حسبته يهمس واذا صاح ظننت ان المتكلم رئيس التحرير : كفء قدير يملأ كرسيه فهو الذي يشارك رئيس التحرير في مراجعة كل مواد الجريدة ويلخص ما يطلب منه ويهيىء المانشتات لكل صحيفة : وكل خبر إنه رجل طيب لكنه متردد ادع معي ان يثيبه الله :

الثاني . شاب ملأت نفسه « الهواية الصحفية » فهو ينزل من مكة الى جدة كل يوم ليعيش مع هوايته ساهرا متحمسا متلهفا فهو الذي يشرف على الأدوار التي تمر بها كل كلمة تنشر منذ ان تصبح مادة معترف بها للعدد فهو دينامو الجريدة منذ تخطيطها حتى مولدها انه يحمل فرشته فهي بجانب ماصته يكتب عليها اثناء العمل ثم بعد أن يهدأ ويحمل مولودته يتصفحها في حب واعتزاز يفرش فرشته فوق ماصته وينام بهدوء .. (ولكن آه فيه وحدة خصلة بس أقولها .. ! لا بلاش زعل ..) . ثالثهم الاستاذ شاكر ـ انه رسام الجريدة وفنانها . شاكر شاكر كاسمه وطيب لم اسمع منه قط كلمة لا فهو دائب العمل دائب الرضا دائب الابتسام .

اما علي عمر جابر فشاب ذوق ومطيع اكثر من الطاعة وأقدم للقارىء اسلوبا من ذوقه اسلوبه في تحقيقاته في جريدة المدينة . ماذا اقول عنه : بلاش اقول وبلاش عكننه ، والسيد

فخري : شاب مهذب رَزين يدأب على عمله ولا يضع قلمه حتى ينتهي منه ـ اعني العمل ـ انه مثال الرزانة والصمود انه مثال الشاب الطموح ..

والاستاذ احمد محمود بحاثة دقيق الملاحظة عميق الاحساس.

والاستاذ احمد كامل والاستاذ سليم هلابي شابان طموحان في معاملتهما لطف وادب انهما لا يفارقان الاستاذ نعمان فهما المصححان يعملان بصمت وصبر حتى تضع المطابع حملها .

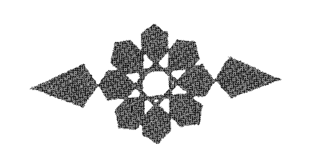
هذا الجهاز الضئيل بكل ما في هذه الكلمة من معنى يا قارئي العزيز هو الذي يسهر ويجالد ليخرج لك جريدتك المدينة وليقدم لك على صفحاتها جهده وعرقه وتضحيته ..

ولا انسى عمال المطابع وعلى رأسهم السيد حسن مقلد فلجهودهم ومشاركتهم الوجدانية اثر كبير .

الفضل كله لهؤلاء فهم وراء كل هذا العمل المسلسل المتواصل الذي فرض عليهم ان يجابهوه كل مساء وصباح في عناد واصرار .

والاستاذ عبدالحميد سلامة شاب (حلاوة) في عينيه بريق العنان وفي معاملته رقة ولطف انه لطيف ولطيف جداً . بس مصروع ودليل على ذلك انه اختار لموضوع كتاباته (ضيف المدينة) ففي هذا العنوان رائحة الطعام .

انني احيي هذا الشاب المجاهد العامل فحيوه معي فهو جدير بكل اكبار .



أنا وجريدة المدينة

كان من الواجب علينا ونحن ـ كما يقولون ـ من كتاب الصحف في حجازنا المقدس ان نكون في مقدمة المعضدين للمشاريع الادبية في هذا القطر ، وقد كانت جريدة المدينة الغراء حين صدورها تعد عدم موافاتها بالمقالات موقفا سلبيا منها . لذلك كان من الواجب علينا ان نخترع المواضيع لجريدتنا الغراء حتى لا نتهم ـ بالموقف السلبي ـ ازاء الجريدة الناشئة وانا شخصياً اكره « اللت والعجن » اعني الكتابة في مواضيع بعيدة عن فهم الجمهور الذي أرى أن واجبنا الاصلاحي يقضي بأن نمتزج به امتزاجا يوحد النزعة فيما بيننا ويوجه سيرنا الى الاصلاح في طريق ان تشعبت مسالكه كانت الغاية فيه واحدة .

وقد رأيت ان واجبي الاصلاحي يقضي بأن اختار اسلوب المرح والطرافة وادس بين طياته حقائق تهم الجمهور ويقضي واجب الاصلاح نبشها ووضعها على بساط البحث . واظن ان القراء يعرفون اني لست من البله بهذه الدرجة بحيث لا اقدر نتيجة التعرض للنكات التي يضطرني اليها القصد الذي ذكرته ولا اعرف ما اتعرضه لها بسببها من ان اكون لوكة في ألسنة العامة الذين يهمهم قبل كل شيء المرح والمزاح وقد تحملت نتيجة ذلك بكل صبر وثبات فان لفظ فضولي الذي وقّعت به بعض مقالاتي عرضني لكثير من المزاح ـ من النوع الثقيل ـ من بعض الجمهور وحتى من بعض الاصدقاء احيانا وما كنت لآبه بذلك ما دام القصد هو الاصلاح .

والعنوان الذي اخترت ان اكتب به مقالاتي هو المدينة في اسبوع كما يعرف ذلك قراء المدينة وكان ما كان وعلمت من صاحبي الخطيئة انني مخطىء فيما ذهبت اليه واكلت ادمغة القراء ـ على حد تعبيره ـ بدلا من ان اوفق الى الابتكار في طريق الاصلاح فلزمت مكتبي المتواضع ـ كما أمرني صاحبي ـ وقبلت نصيحته الغالية وقد كان هذا رأيي لولا العوارض والموجبات .

غير أن اديباً من الادباء راقه فيما اظن ان يكتب تحت هذا العنوان فاستلم الموضع الذي كنت اكتب فيه من الجريدة والعنوان الذي كنت اكتب عليه وسلسل المقالات مبديا آراءه واصلاحاته في مجتمعنا الحجازي .

وقد كان من واجب هذا الاديب وقد اخذ عنواني والطريقة التي كنت اكتب عليها ان يقول كلمة ليعرف القراء انه غيري وانه بعد ان تركت الكتابة رغبة في اجابة طلب (صاحبي) اراد ان يوافي قراء الجريدة بآرائه مستعيراً مني العنوان ـ ان صح هذا التعبير ـ ومادام قد فات الاديب هذا فكان من واجب الجريدة الادبي ان لا يفوتها ذلك . فهل ذهل

الاديب عن واجبه هذا وذهلت الجريدة عنه ايضاً ، اني متأكد من كياسة هذا الاديب ومتأكد ايضاً من كياسة ادارة الجريدة فالمشاهد يعرف تماماً ما يتعرضه الكاتب الاجتماعي الناقد من سخط الاكثرية من الناس وما يوجبه ابداء الآراء من مناقشة حادة من المثقفين والادباء فهو لذلك وجد في كتابتي وما يصفني الناس به من الجرأة تكأة شجعته على التعمق في البحث الذي يريده وعلى التلبيس في امر شخصيته وقد زاد بأن حوّر الموضوع ودوّره فلبس حتى على المتأدبين باني انا المشاهد .

وانا لا احاول نفي كوني المشاهد ففيه كما يقول صاحب المدينة الغراء استغلال لمجهود الغير وكسب الشهرة على حسابه غير ان الذي يضايقني كثيرا هو ان يعتقد الناس اني من الجبن بمكان بحيث لا استطيع أن اجاهر الناس بآرائي وانهم بعد ان عرفوا عني اني (صريح) لا أجامل في ابداء الرأي اذا عَنّ لي ابداؤه ـ اي انسان ليس جبانا الى هذا الحد . واكره ما عندي بل اغث الاخلاق عندي ان اصدع بآرائي من وراء ستار واضلل الناس في شخصي وأجبن عن مقابلتهم وجها لوجه ، وقد عرفني الاصدقاء بهذا وعرفوا ان المجاملة في الامر عندي لا تتعدى السكوت عنه . اما التردد والحذلقة في الكلام وابداء الرأي بطريق غير مباشر فهي عندي ان لم تكن نفاقا فانها لا تقل عنه بكثير وهذه ميزة في ـ كما اتخيل ـ احب ان احافظ عليها وان تكون من اخلاقي الثابتة .

وشيء اخر يضايقني من المشاهد فاني وان كنت موافقه على كثير من ارائه الاصلاحية فاني اخالفه اشد المخالفة في بعضها وفي طريقته التي يتناول بها مواضيعه ولولا نصيحة (صاحبي) واقتناعي بها لناقشته في شيء منها مناقشة ربما ينتهي امرها الى مالا تحمد عقباه اعني الشجار القلمي العنيف .

وبعد ، فهل يقتنع رئيس التحرير والاديب المشاهد بوجهة نظري فينشر احدهما اعتذاره وينتهي امر هذا الالتباس وهل يتشجع المشاهد فيظهر للناس شخصيته فالناس في هذا العصر ادعى الى التأثر منهم بالشخصيات منهم بالكلام وان لم يفعل ـ اعني يعتذر ـ فنستعير « طاقية الخفية » للتفتيش عليه وليعذرنا بعد ذلك اذا عثرنا عليه ان نذيع اسمه بين الناس .

عزيزي نائب رئيس بلدية المدينة المنورة .

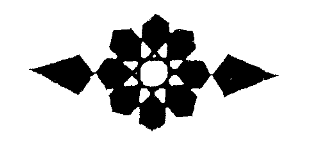
ما كنت لأكتب كلمة في هذا الموضوع الذي انا بصدده والسبب اقوله لك فيما بعد بيني وبينك . ما كنت لأكتب شيئا لولا اني عندما زرت المدينة يوم الجمعة الماضي واجتمع عندي سكان محلة الدرويشية يتحسرون ويتظلمون من قرار هيئتكم بشأن موافقتكم على بناء عمارة ضخمة لتسد الشارع المستقيم والذي لا يزيد عرضه على خمسة امتار وسنتيمرات لتخلفوا بدله شارعا معروجاً : زقاق الطوال (أو زقاق عانقني) (عاني) ـ بالله عليك على اي اساس انقسمت هيئتكم في موضوع واضح كالشمس .. وعلى اي اساس انحزتم انتم الى رأي الاعضاء الغير الاختصاصيين وتركتم الجانب الذي فيه مهندس التنظيم المختص والذي تصرفون عليه المبالغ الكبيرة وعينتموه في البلدية لتستأنسوا برأيه في التنظيم . لا شك ان انحيازكم اليهم سيجعل رأيهم الرأي الأغلب .

فلماذا فعلتم هذا ؟ وعلى حساب بلدكم ؟

ان البلدية يا سيدي العزيز تضع في ميزانيتها ملايين الريالات لتهد الدور من أجل التنظيم : فلماذا اذن تأتي اليوم وتسمح ببناء عمارة ضخمة لتسد شارعاً لا يكاد يفي بغرضه . من اجل من ؟ ولحساب من تسدون المتنفس الوحيد لحي كبير مملوء وآهل بالسكان بل محشو حشو الرمانة ولحساب من يضربون عرض الحائط برأي المهندس المختص الذي يصر على بقاء هذه الارض كلها متنفسا لسكان الحي الذين يعدون بالآلاف والذين يتضخم عددهم ويزداد في ايام الحج لان الذين يسكنون بذلك الحي من كبار الأدلاء بما فيهم شيخ الادلاء . اتريدون ان يعرف كبار الحجاج تنظيمكم ببناء هذه العمارة وسد الشارع المستقيم وفتح شارع معروج :

لا يا سيدي هذا مستحيل ان يتم والفيصل العظيم هو الذي يقود السفينة .. ان هذا الحي ـ حي الدرويشية ـ اقرب حي مأهول للمسجد وحي سكانه اكبرهم ادلاء وحجاجهم من النوع الفاهم الراقي فكان لابد ان تحسبوا حسابا لكل هذا وتمنعوا البناء في هذا المتنفس وتعوضوا صاحب الارض تعويضاً سخياً لانكم مهما سخوتم والارض بيضاء لا يتكاثر المبلغ عندما تقوم العمارة ثم تقدر لتهدم ليكون متنفساً كما هي عادتنا .

انا لا ادري من يكون صاحب هذه الارض ولماذا تجاملونه على حساب تنظيم بلدكم وخنق سكانه فإذا كان اميرا فما اسمح الامراء هذا هو سمو الامير فيصل أمر الاستاذ العريف امراً صريحا مفتوحاً حيث قال سموه : اهدم كل شيء يتعارض مع التنظيم ولتهدم أول ما تهدم لاجل الصالح العام ما املكه أنا ـ واذا كان عينا من اهل المدينة فما اجدر بهذا العين بأن ترفع قيمة بلده بالتنازل عن العمارة واذا كان عالما فما اجدر اهل العلم بالتضحية للصالح العام . أنتم يا سيدي امرتم بسير العمل في البناء بعد توقيفه ولم تقيموا وزنا لشعور سكان هذا الحي فلذلك هم قد رفعوا معروضاً لسعادة امير المدينة ليرفع للفيصل العظيم ـ وانا اطالب بالحاح ان تعودوا فتأمروا بإيقاف العمل حتى يصدر الفيصل العظيم امره في الموضوع بعد ان يبدي الاختصاصيون فيه رأيهم ـ ولن تضيع الحقيقة في داخل الحدود سيرتفع الصوت الى آخره فاستجيبوا لمواطنيكم فهم ليسوا ضعفاء عفوا ايها الصديق هذه ليست حملة عليك . ولكنها كلمة للصالح العام .



العظمــة والخلــود

مهداة للاستاذ الكبير محمد سرور الصبان
بمناسبة الاحتفال الذي أقيم لتكريمه بمكـة

للعظمة معان تختلف في اذهان الناس وتصوراتهم كما هو الشأن في كل من المعاني السامية في هذه الحياة فنجد الطبقة العامية او على الاصح الاذهان العلمية تتصور العظمة في رفع الصدر ونفخ الشدقين والتمحك في الكلام والتصدر في المجالس بينما تجد الطبقة الغنية او الاذهان المالية تراها في فتح ابواب الدور وافساح صدرها للرواد والزائرين وكسب الشهرة من هذا السبيل اما الاذهان الدكتاتورية فتراها في اثبات الرهبة والخوف في قلوب الرعية والاشتهار بالدكتاتورية على الشعوب والافراد وقس على هذا . ولئن سلمت بلادنا من العظمة الدكتاتورية فقد ابتليت بالعظمة العامية ففشى امرها وضغط كابوسها فلم تر انسانا ساعده حظه بجاه او مال او مركز الا وألبس نفسه هذه الصفات وجعل ينظر الى غيره من الناس ولو كانوا من زملائه واخلص اصدقائه نظرة الواقف على جبل مرتفع على من تحته في سفح هذا الجبل . هذا النوع ما تتألم من وجوده في الاكثر من افراد امتنا المتعاظمين .

والعظمة الحقيقية في نظرنا وفي تصورنا على الاصح هي في تفسير هذا اللفظ الذي يدل على الرفعة والسمو تفسيرا عكسيا لما يفهمه رجل الشارع من حروف (ال ع ظم ة) فالعظمة في التواضع والتضحية والتفاني في سبيل الصالح العام واذا اردت توضيحاً اكثر قلت ان العظمة هي معرفة الانسان ربه ثم معرفته نفسه ثم تقديره لبني الانسان . لقد عرفت الاستاذ الصبان منذ ان عرفت الحياة فلم اقرأ له من نفسه الا ما يكتبه انسان عرف حقيقة الانسان فلم يتباه ولم يتمشدق وقرأت له عن غيره فقرأت له التقدير والاعجاب والاعتراف لمن له حق الاعتراف وقرأت عن اعماله فلم اجدها غير تضحية وتفان في سبيل الامة والوطن ثم قدر لي وانا ناشىء ان اجتمع به في هذا البلد المقدس فسمعت من درر حديثه ما وعيت منه وما ضاع مني لمرور الزمن ومما سمعته منه ان لم تخني الذاكرة (اننا في الواقع نقدر لنفسنا اكثر مما يجب لها ، يجب علينا كأمة ناشئة ان نعرف قيمة انفسنا ونزيد في قيمتها بالتوجه الى العلم والتمسك بالخلق الرفيع ان حكومة جلالة مليكنا المعظم اطال الله بقاءه فسحت المجال امامنا فما علينا الا ان نسعى لتكوين انفسنا :

ولم يقصر من جهده منذ أن قدره الله في مساعدة اي انسان اراد تكوين نفسه تكوينا علمياً انسانيا صالحا فمساعيه في هذا السبيل معروفة مشهورة .

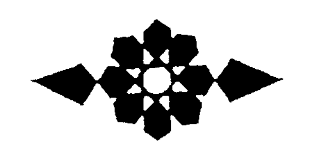
لقد كان الاستاذ محمد سرور ذا شخصية شعبية محبوبة فلم يلبث ان اكتسب بصفات العظمة الحقيقية التي فيه ثقة حكومته وعلى رأسها جلالة الملك المحبوب فمليكنا المحبوب هو العظيم

الأول في المملكة العربية السعودية والزعيم الأكبر للأمة العربية وقد عرف رجاله وقدر إخلاصهم فأكسبهم ثقته وشملهم بعطفه ورعايته ولا يعرف الفضل الا ذووه فلا عجب اذن ان يحمل الشيخ محمد سرور اليوم ميزان العدالة بين الحكومة والشعب ويكتسب ثقة الحكومة والشعب وان يكون له في كل قلب مكان وفي كل بلد تبجيل وتقدير .

هذه هي العظمة ايها المتعاظمون هذه هي العظمة التي يكون الخلود نتيجتها المحتمة فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم .. ان التشبه بالكرام فلاح .

اعز الله مليكنا المعظم الذي اعز الله به امته العربية المجيدة وايد بحكمته رجاله العاملين .

هذه كلمة ارسلها تحية تكريمية لصاحب السعادة الاستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان باسمي واسم اخواني الشباب المدنيين كدليل على اشتراكنا الفعلي في تكريم سعادته ان شطت الدار وبعد المزار .



عزيزي محمد عمر توفيق

تتحرك البواعث في نفسي لان اتحدث اليك في خطاب مفتوح على صفحات الجرائد منذ أمد بعيد لعلك تستبعد مداه وتعجب ان اكون كسولا الى هذا الحد، ولكني احمد لهذا الكسل تسويفه وتمطيه لان هذه البواعث كان يتكرر تحركها في نفسي في الفترات التي تومض فيها نزعات نفسك الحرة الابية ويستفيض فيها قلمك في جرأة واخلاص في معالجة مشاكلنا الاجتماعية واثناء مواقفك المشرفة وانت موظف مسئول وعنادك وصلابتك حين يشتد الامر وتتصادم العقائد.

وتاريخ هذه البواعث بعيد، بعيد جدا وليست هي كما قد يتبادر الى الذهن ـ صلات خاصة يوم كنت أنا تلميذا للمرحوم والدك وكنت انت زميلا صديقا لاخي محمد عبدالقدير، فهذه الصلات مع عمقها صلات اخاء وتودد، أما بواعث التقدير والاعجاب فبدأت منذ ان كنت تلميذا حييا لا تستسيغ ان تخالط من هو اكبر منك ولا يوسع لك المدى والدك رحمه الله ان تفعل.

وكنا نتزعم حركة جماعة المحاضرات انا وضياءالدين رجب وزملاء آخرون لا أذكرهم الان، وقيل لنا ان محمد عمر توفيق يفكر تفكيرا ناضجا ويكتب بقلم مخلص وجرأة على الاوضاع التي يعتقد انها غير سليمة، وتحايلنا عليك لتحاضر في جماعة المحاضرات وامتنعت وتهربت واستدرجناك فقبلت وكانت تلك اول كلمة سمعناها منك سمعتك تلقيها برصانة الواثق الفاهم وتناقش الموضوع بمنطق قوي واسلوب جذاب، ولا يمكنك ان تتصور ما ملأ نفسي من التقدير والاعجاب واذكر اني لم افض اليك بكل ما ملأ نفسي من اعجاب وتقدير خوفا عليك مما قد يسببه الاطراء من الغرور الذي يركب الناشيء في مثل هذه المواقف.

هذه بداية بواعث التقدير والاعجاب في نفسي وبواعث تتبع كل ما تكتب وكل ما تعمل في المجال الواسع الذي كان يتسع كلما تقدمت بك الحياة..

وكانت لك مواقف كثيرة تحرك في نفسي بواعث الكتابة اليك وأهم بحمل القلم وتصرفني الصوارف، وتجددت هذه البواعث في نفسي عندما قرأت الكلمات التي القيت في الحفل التكريمي الذي اقامه لك رئيس تحرير البلاد وكلمتك أنت بالذات ولكن الصوارف اياها صرفتني عن الفكرة، ومسكت القلم اليوم وعزمت ان اكتب اليك هذا الذي ارجو ان يمر بنظرك في شواغلك الكثيرة شواغل الوزارة ومشاكلها عندما قرأت كلمتك الاخيرة في المدينة وخاصة هذه العبارة «في كلامي مع الزميل حول مشروع كتابي في مناقشة كتاب «الشيخان» ما قد يستدعي التصحيح غير اني أصل الى نهاية الحديث فالحق انه لم تكن امور الدولة ـ ليلتها ـ أسبق الى حجزي والاستفادة بما لدي من خبرة ودراية.. الخ»

مع ان الكتابة اليك وانت في هذا المقام تحتاج الى دبلوماسية وكياسة ودفع ما يتطرق الى الاذهان من حاجات اخرى؟!

لقد أطرى الخطباء في حفلة تكريمك جهادك بما تستحق وبما انت له اهل ولم يبالغوا فطالبوك وحاسبوك ونبهوك قبل ان تدخل المعركة ، لقد قالوا واكثر ما قالوا انك صحفي مجاهد رفعت صوتك تطالب بالاصلاح الذي لم تكن مسئولا مباشرا عنه بالامس واصبحت اليوم مقيدا بالمسئولية عنه والدعوة اليه ، وقلت انت في كلامك كل هذا ، وقالوا ان اختيارك لهذا المنصب تكريم لرجال القلم ، وكل هذا صحيح ، والجانب الذي اريد ان اتحدث الى الناس عنه والذي قد يكون النسيان قد محاه من اذهان بعض من يعرفه ، والمجاملة ابعدت ذكره في احاديث الخطباء ، هذا الجانب هو انك عشت فترة من حياتك موظفا حقق صفات الموظف الكفء الموظف الذي خدم مواطنيه بعقيدة ان الموظف خادم لمصالح الشعب ومصلحة الشعب ان يأخذ حقه ان كان ظالما بتبصره طريق الصواب وان كان مظلوما بنزع هذا الحق من بين براثن الاقوياء والموظف النظيف الذي ترفع ان يجامل حتى من أجمع الناس على مجاملاته والموظف المعاند فيما يعتقد انه الحق والذي تمسك بالمبدأ فلم يرض ان يكون آلة صماء تتحرك ولم يغره داعي البقاء في الوظيفة رغم ما يقع على كاهله من واجبات مادية كبيرة ورغم ما سلب من ابهة ووجاهة الوظيفة وشنشنتها ، ثم انك الموظف الذي لم يشر الناس باصابعهم وغمزات اعينهم ، بعد ان ابتعدت عن العمل الحكومي ـ كعادتهم ان يفعلوا ـ الى قصور بنيتها واثثتها بأفخر الرياش المجلوب من فرنسا واسبانيا كما فعل غيرك ممن كان عملهم الحكومي أقل شأنا من عملك .

وتسليط الاضواء على هذه الجوانب هي البواعث التي حركت قلمي للكتابة اليك وهذه الجوانب هي التي اكسبتك الشعبية التي تتمتع بها واكسبتك حب المواطنين وتقديرهم وفي هذا اعتراف لأهل الفضل بالفضل واغراء للشباب على اتباع المثل الفضلى .

ووزارة المواصلات (عروس) مغرية (وغول) يكشر عن انيابه اذا اعجزه الاغراء واعتقد ان زهدك سيطفيء جذوة الاغراء وصلابتك ستقطع رأس الغول اذا كشر عن انيابه .

وستجد عندئذ شبكة تلفونات عامة ميسرة الاتصال وشبكة طرق تحي النفوس وتنعش الامال وتجد كل اسباب الحضارة والتقدم التي تعتبر وزارة المواصلات وسيلتها الاولى والطريق الوحيد الموصل اليها .

كان من حقك ومن واجبي ان اعنون هذه الرسالة بعنوان ـ صاحب المعالي ـ ولم افعل لان المعالي كما تعرف ليست ثوبا يخاط ويلبس ولكن المعالي سهر وجهد وتضحية وانت بسهرك وجهدك وتضحيتك قاب قوسين من المعالي التي نسعى اليها ونطلبها جميعاً وفقك الله وسدد خطاك .

صاحب السعادة رئيس بلدية جدة المنتدب ..

بعد التحية والاحترام ..

هذه مناقشة هادئة لما جاء في اجابتك للتحقيق الصحفي الذي اجراه معك مندوب جريدة المدينة .. ارجو الا تزعجك او تعتبرها تهجماً شخصياً من هذه الجريدة فجريدة المدينة منذ ان انشئت لم تكن ابداً تجري وراء مسعى شخصي او توجيه خاص .. فهذه الجريدة مبدأها دائما بل شعارها : المصلحة العامة ولا تنحرف ابدا للمصالح الشخصية .. وان كانت لا تنكر أن البشرية لم تكتمل وان الناس عندما يتكلمون لا يمكنهم ان يتحرروا من مؤاثراتهم الخاصة !

هذه هي الدنيا وهذا هو الانسان الذي لا يمكن ان يتنزه الا أن يكون في أعلى مراتب البشرية او نبيا مرسلا ! !

أنا لا ألقي تبعة ما عليه اليوم مدينة جدة عروس البحر الاحمر على كاهلك فأنت اكبر من ذلك .. وانت في كل ما عملته وتعمله فوق الشبهات ـ هذه هي عقيدتي فيك ، ولكن قل لي : لماذا أهملت شارع «ابي عبيدة» في حديثك مع مندوب المدينة ؟!

ان هذا الشارع من اهم الشوارع الرئيسية التي يمكن ان ترفع الضغط المتزايد عن شارع مكة فلماذا اهملته في حديثك ؟

قبل عام من هذا التاريخ تحدث اليّ بالتليفون صديق من البلدية يبشرني ان رئاسة البلدية قد قررت سفلتة وتعبيد الشارع «ابي عبيدة» في مشاريعها لذلك العام .. فشكرت له هذا الاهتمام واعتبرت هذا الخبر خطوة واعية من سعادة رئيس بلدية جدة في ذلك العهد لان شارع ابي عبيدة شارع رئيسي ومهم والاهتمام به امر حيوي بالنسبة لمواصلات البلد .

وبقدر اهمية هذا الشارع كان تلاعب المسئولين والمراقبين في البلدية في تخريب استقامته وسعته ! ! .. تصور ان سعة هذا الشارع لما هو عليه الان تصل الى عشرين متراً في بعض النقاط وتصغر حتى تمثل عنق الزجاجة في بعض النقاط الاخرى . عنق الزجاجة بالضبط دون اية مبالغة ! ولو سمحت واعطيتني دقائق من وقتك لسرت معك في هذا الشارع لتدرك اهميته واهمية الخراب الحاصل فيه !

انتم تهيئون شارع الصحيفة ليكون متنفساً لشارع مكة وهذا الشارع في نظري لا يصلح ابداً لهذه المهمة فمصبه في نقطة مزدحمة في شارع مكة العام لا يمكن ان تصلح ليلاقي خطين من السيارات التي تهدر هديرا !! اما شارع ابي عبيدة فله مزايا كثيرة ووددت لو احدثك بها شفهيا .

صحيح انهم خربوه واصلاحه وتقويمه يحتاج الى مصرف كبير !! لو كنت في مكانك لحملت هذه المسئولية المراقبين والمهندسين الذين تركوا لسكان هذا الشارع الحبل على الغارب فشوهوه وأذابوا كيانه .

أنا انزهك من ان تكون من الرؤساء الذين يحطمون مشاريع من كانوا قبلهم لمجرد انها مشاريع لم يكونوا هم اصحاب الفضل فيها ان هذه فكرة سخيفة انزه رجالاتنا في العهد الحاضر عنها .

ارجو ان تدرس موضوع شارع ابي عبيدة وتهتم به فانا أرى أنه الشارع الوحيد الذي يؤهله موقعه واستراتيجيته ليكون المتنفس لشارع مكـة .

وتحياتي اليك .

قسوة وانحطاط ـ اصرار الجزار واستمرار استعطاف المراقب

القسوة مذمومة في حد ذاتها وفي هذا الشهر المبارك أشد ذمة واشد فتكاً وهذه حادثة اورويها للقارىء :

نحن في باب مكة امام دكان جزار .

الزبون ـ زن لي أقة لحم .

الجزار ـ بخمسة ريالات .

الزبون ـ صائحاً ليه اربعة ونصف حسب التسعيرة .

الجزار ـ في عنف فارقنا يا شيخ نحن صائمين .

يشتد الجدل ويجتمع الناس ويرتفع من بينهم صوت لرجل يلبس زيا رسمياً يشبه زي، الشرطي يتعطف الجزار قائلا أعطيه يا اخي أقة وفكنا من اللبشة . فيمسك الجزار الذبيحة من ناحية اكثرها شحم ومصارين، فيصيح الزبون لا لا اريد شحماً ويشتد الجدل ويعود الاستعطاف من جانب الرجل صاحب الزي الرسمي ويعود الجزار ليقطع من جهة اكثر شحماً ويتكرر الاحتجاج ويتكرر التحدي من الجزار حتى تصل يداه الى قطعة كلها شحم . وكنت في هذا الجمع فلم اطق هذا التحدي من الجزار فصحت في المشتري اذهب الى البلدية واشتكي وأنا شاهد معك : فرد الرجل في استنكار « بلدية ! إيه يا عمي مو هادى هي البلدية » واشار الى الرجل صاحب الزي الرسمي الذي ما زال يستعطف الجزار لفض المشكلة . وقلت للشاري انك جبان . انك لو اوصلت الأمر الى الرؤساء لوقف هذا التحدي عند حده واعترض شخص يقول يا عمي نحن نراقب التسعيرة بكل اهتمام ولكن في ناس فلوسهم زائدة يعطو برضا اكثر من التسعيرة واحنا مالنا . قلت ان الجزارين اشتروا ضمائركم واستذلوكم بقروش قليلة فلم تعودوا صالحين لمراقبتهم وساعدتموهم على ظلم الناس . ان الحكومة قد خصصت ربحاً طيباً للجزار في حدود التسعيرة ، فما يأخذه زيادة على ذلك انتم المسئولون عنه ، انكم انتم الذين في حاجة الى التأديب ، وبلع الرجل الاهانة وانسحب .

حدث كل هذا وما زال الجزار عند موقفه . وحجته ان الذبيحة موزونة عليه شحماً ولحماً لذلك حل له ان يخص الشحم بكل من تراوده نفسه ان يتمسك بالتسعيرة من الزبائن . هذه هي فلسفته .

ولم اقتنع بهذه الفلسفة ، فإن اصرار الجزار واستمرار استعطاف المراقب جعلني اشك ان هناك شخصية « سمينة » تحمي هذا الجزار . فقد اكتشفنا ان كثيراً من الاجانب الذين يعملون في هذا البلد يشتركون مع سعوديين لهم مكانتهم وبقدر قوة الاجنبي وقوة نفوذ السعودي يكون التحدي والاصرار وارتفاع الاسعار في هذه المحلات .

بقي ان تعرف ان هذا الجزار اجنبي ولا يقل تصريفه اليومي عن عشرين شاة من اجود اللحوم .

شهاب عبدالجواد ـ وحق الموظف

سمع الناس كما سمعنا قبل شهور لعلها تقرب من السنة عن توقيف السيد شهاب عبدالجواد مدير عام الخطوط الجوية عن العمل وسألنا جميعا يومها عن سبب هذا التوقيف فلم نستطع ان نعرف شيئا ، وسمعنا كثيرا في كلام الناس الذين يخترعون الاخبار ويروجون الاشاعات ، وانتظرنا ان نعرف من جهة مسؤولة اسباب هذا التوقيف وان نعرف منها ايضا ما اتخذ من اجراءات رسمية نظامية في حق المتهم والمتهم بكسر الهاء وفتحها ـ ان كان هناك متَهم ومتِهم ـ ولكن شيئا من هذا لم يحدث ..

وقالوا عن ادارة الخطوط انها (باظت) وصحيح ما قالوا فان المديرين المنتدبين الذين تناوبوا على هذه المصلحة في هذه الفترة وبعد توقيف مديرها عن العمل بلغوا الثلاثة وهم من اكبر رجالات وزارة الدفاع واحسنهم كفاءة وجدارة .

ومع ذلك لم نسمع بمن يطالب بان يرد للمصلحة تماسكها والى مديرها كرامته .

ان شهاب عبدالجواد موظف عرف عنه حسن الخلق في معاملة الناس وعرفت عنه الكفاءة في العمل واذا اردت دليلا على حسن معاملته وحسن خلقه فاسأل عنه الكثير ممن اتيحت لهم مراجعته كمدير للخطوط .

واذا اردت دليلا على كفاءته وقدرته في عمله فتناوب المديرين المنتدبين على المركز الذي كان يشغله بعد توقفه عن العمل اثبت دليلا على القدرة والكفاءة .

ثم ان شهابا خدم الحكومة اكثر من ربع قرن وهو الان في درجة « مدير عام » افليس من حقه على الدولة التي خدمها هذه المدة ان تهتم بامره وتقلق لقلقه ؟!

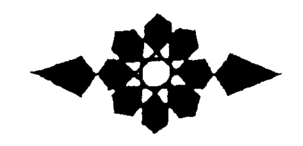
وبالامس القريب قرأت في جريدة المدينة الغراء تحقيقا صحفيا اجراه رئيس تحرير الجريدة مع سمو وزير الدفاع وكانت لفتة كريمة من رئيس التحرير ان يخص شهابا بلمحة في تحقيقه ولفتة اكرم من سمو وزير الدفاع ان يضع النقط على الحروف .

لقد فهمنا ان هناك اتهاما موجها من جهة ما الى هذا الموظف وعلمنا ان لجنة شكلت للتحقيق لم يقبلها شهاب لانها ليست على المستوى الذي حدده النظام للتحقيق مع من كان في درجة « مدير عام » وفهمنا انه قد عز عليهم ان يغطى هذا الموظف الكفء الذي خدم الدولة اكثر من عشرين عاما حقه النظامي فتؤلف له اللجنة التي نصت عليها مادة صريحة في النظام للتحقيق مع المتهم والمتهم بكسر الهاء وفتحها وتفصل في الموضوع بادانة من يظهر التحقيق والعدالة ادانته ، واعتقد ان هذه اللجنة لو شكلت لحققت في الموضوع وفصلت فيه في مدة لا تزيد عن شهر على اطول تقدير .

اذن فما سر احالة هذه المعاملة الى ديوان المظالم لتأخذ روتينا طويلا لتبعد عن ايدي اناس عاشوا في جوها وعرفوا ما مجرياتها ــ ثم ما سر حلقة الروتين تتسع فلا تقف عند اقسام ديوان المظالم لتدخل من جديد ديوان المراقبة وتدور في اقسامه في حلقات مفرغة لا تنتهي حتى تطلع روح الموظف ويضع الزمن غباره المتراكم على النقاط الحية في التحقيقات وتنزلق المعاملة الى النتيجة التي ارادها لها صانعو هذا الروتين الطويل المختار .

ان شهاب عبدالجواد من موظفي الدولة الاكفاء وله سمعة اخلاقية وخدمة حكومية طويلة ومن حقه وحق كل موظف ان يعطى حقه النظامي وان يعامل معاملة كريمة تحفظ له مكانته وكرامته ..

ومن حقه ان تؤلف له اللجنة التي يطالب بها ــ على حد علمنا ــ ومن واجب اللجنة ان تحقق مع المتَهم والمتِهم ــ اذا كان هناك اتهام ــ وان تعلن نتيجة التحقيق في اقصر وقت ممكن ، لان من حق الشعب والموظف ان يعرف مدى ما يصله التحقيق في قضية وثيقة الصلة بحقوقه .



تسعيرة اللحم خطوة مباركة ... يجب أن يتبعها .

الاستاذ عبدالحميد عنبر من أدبائنا المعروفين . وهو انسان قبل ان يكون اديباً : ويعرفه القراء بحماسه في خدمة المصالح العامة .

انه من كتاب (المدينة) والمنبر العام هو العامود الذي يكتب فيه . انه يعود الآن للكتابة بمقاله الرائع هذا .. وسيوالي النشر .

ايها القارىء الكريم اقرأ له في المدينة دائماً .

هذه الخطوة التي تخطوها الحكومة في تحديد سعر اللحم خطوة يباركها الشعب وترتاح لها نفوس طالما استخدمت اقلامها موجهة ملتمسة داعية .

فاستقرار الحياة المعيشية امر لازم لاستقرار الفرد واستقرار الفرد أم لازم لتكوين امة حية لها في دنيا المثل العليا كيان رفيع .

وماذا تنتظر الاسرة من راعيها إذا كان دائم الهم والتفكير في العمل لملأ كروش طلبها مستمر واجسام لا يكاد يكسوها حتى تعرى . هل يستطيع ان يفكر لحظة في السمو الروحي لهذه الاسرة وفي تثقيفها وتوجيهها . كلا انه يجر العربة ويترنح امامها وتزداد ثقلا يوماً بعد يوم ويزداد هو هرماً ثم يعجز ويقع ليشيع الى مثواه الاخير بين الحزن والزفرات وينكب المجتمع بافرادهم . افراد اسرته لم يعرفون الحياة سوى بطون محرومة وعيون فارغة لا يملأها الا التراب ولا يعرفون لهم دوراً في الحياة الا التزاحم لاشباع رغبة الحرمان وتحطيم كل ما يقف من مثل

ان تحديد التسعيرة على هذا الاساس يجعل الحكومة تعمل بضمير مستريح عندما تقسو اشد القسوة على المخالفين فلا تنزعج العدالة ولا يتضجر الرأي العام لان الحكومة اذا اعطت حق الرعية بالعدل وجب عليها ان تأخذ الحق العام من الخارجين على القانون بالشدة والقسوة التي تضمن الرفاهية العامة .

فلماذا إذن لا نسير نحن على هذه القاعدة لماذا لا يسعر اللحم للخروف الحي بقيمة تضمن للمستورد الربح وعلى اساسها يسعر على القصاب بما يضمن له العيش المعقول فإذا خالف اشتد عليه العقاب وما دام الربح مكفولا فباستطاعة جهة الاختصاص ان تتولى مباشرة العمل امعانا في الجزاء وعلى هذا الاساس يجب ان تسعر الفواكه والخضروات .

انك اذا كنت ممن يستهويهم البحث في الشؤن العامة ونزلت الى حراج الخضرة تذهل عندما ترى الفرق الهائل بين بيع الحراج وبيع المتسببين . لا ضرب لك مثلا إذا كنت من سكان جدة ونزلت الى الحراج وجدت ان بيعة البامية التي تقدر بأربع أقات لا تباع بأكثر من أربعة او خمسة ريالات . واذا سمتها عند البائع فلا تباع لك الأقه بأقل من اربع ريالات . انه من اللازم للصالح العام ان يمنع بيع الخراف حية جزافاً ويجب ان تباع الخضار والفواكه بالوزن أو العمر وبسعر البيع القطاعي للأقة او المئه في العد على اساس بيع الجملة .

سيقولون ان تكليف الدلالين بوضع موازين امر يشق عليهم فهم فقراء مساكين واقول انه ليس في الدلالين اليوم من يعسر عليه شراء ميزان قباني او ان يشترك مع اثنين من رفقائه في شراء ميزان .

سيقولون ان في التسعيرة مخالفة لآراء بعض العلماء واقول انه قد تحقق ان التسعيرة امر محتم ولازم للمصحلة العامة فلا مناص من تحقيقها .

بقيت كلمة اختتم بها حديثي هذه الكلمة هي ضرورة تشكيل لجنة خاصة لبحث وتقرير الطرق التي توصل بنجاح الى التسعيرة وتكفل حق المستورد والبائع والمستهلك على ان يكون اعضاء هذه اللجنة من الجهات والادارات صاحبة العلاقة كوزارة التجارة والمديرية العامة للاستيراد والبلدية .

ومن المستحسن عندي ان تدعو هذه اللجنة كل كاتب وصاحب رأي ينشر في هذا الصدد لمناقشة الرأي وتدرس معه الطرق التي يرى صلاحها والحقيقة بنت البحث .

والله الموفق وهو من وراء القصد .

عليا في اشباع هذه الرغبة . ومجتمع هؤلاء افراده كيف يمكن ان تكون له مثل عليا . انه معذور انه في حاجة الى توجيه من المفكرين المخلصين ورفع مستوى وتدعيم من حكومة عاطفة حانية .

واذ تتفتح اعيننا اليوم على شمس مشرقة تستمد حرارتها من اعماق امجادنا الذي غمرناه في الطين والوحل فمن الواجب على المفكرين من رجالاتنا ان يفكروا اول ما يفكرون في تهيئة حياة واستقرار وتمكين للفرد ليستطيع هذا الفرد ان يكون اداة حية لتكوين مجتمع رفيع .

وعلى الحكومة وهي تنتفض انتفاضتها الاصلاحية الرائعة وعلى رأسها الفيصل المحبوب ان تولي عنايتها واهتمامها الى كل ما يدرس ويقرر ليكفل للسعوديين حياة الرفاهية والاستقرار وجميل من الحكومة ان تحدد رواتب الموظفين لتكفل الاستقرار لمالية الدولة واجمل منه ان تفكر في تهيئة لقمة عيش تحتوي على ما يتطلبه الجسم للموظف وعائلته بما قررته له من معاش وجميل من اصحاب المتاجر والمعامل والشركات ان يفكروا في الربح واجمل منه ان يضمنوا استمرار العمل بتوفير حياة الاستقرار لعمالهم وموظفيهم فنجاح المستر فورد صاحب الشركات العالمية المعروف لم يكن الا عن طريق اسعاد عماله وموظفيه .

نعود فنقول ان الخطوة التي تخطوها الحكومة اليوم لتسعير اللحوم خطوة مباركة طيبة يجب ان تتلوها خطوات تسعير منظمة لجميع حاجيات الحياة اللازمة للتطور الذي نعيش في دوامته في سرعة مذهلة ويجب ان نبدأ بالضروريات اليومية ولكن هذا التسعير يجب ان يتم على اساس دراسات وافية وتقرير سليم لمصلحة التاجر والبائع والمستهلك فان ضمان استمرار التسعيرة لازم ومحتم لضمان استمرار الربح المعقول للمستورد والبائع وان كل تسعيرة توضع

على غير هذا الاساس لا يمكن ان يكون لها استقرار مهما قيل في سماحة البائع والمستورد .

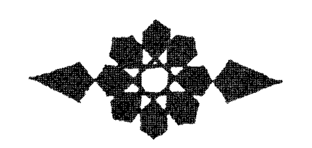
لقد سبق للحكومة ان قامت بتسعير اللحوم وبطريقة تشابه طريقتها في تسعيرة اليوم فماذا كانت النتيجة ؟

لقد اختفى اللحم من السوق وبيع النادر الموجود منه باغلى سعر واضطرت الحكومة اخيراً ان تتنازل . فما هو السبب ؟

ان السبب كما قلت لم يكن الا عدم ضمان ربح المستورد والبائع عند وضع التسعيرة فإن التسعيرة الاولى حين وضعت لم توضع على اساس دراسة وتحديد أرقام لقد وضعت التسعيرة على اساس تعهد تقدم به تاجر مدفوع بعاطفة وقتية او بتزاحم غير مشروع .

ولم يفد تعهده الذي اخذ منه عندما تحقق للحكومة ان استمرار الالتزام معناه استمرار الخسارة وهو وضع لا يمكن ان تُبنى عليه حياة استقرار عامة .

وفي مصر ولبنان يباع الخروف حياً بالوزن بسعر معلوم تحدده الحكومة وتحدد به ربح المستورد ثم تحدد سعره على القصاب بعملية حسابية وبعد ان يؤخذ في الحساب ما يرمى من الخروف بعد ذبحه وما يباع بأقل من قيمة اللحم الصافي وبعد ملاحظة الربح المعقول للقصاب .





طـه حسـين والشـيخان

تأليف : **الاستاذ محمد عمر توفيق**
عرض وتحليل : **الاستاذ عبدالحميد عنبر**

مؤلف « طه حسين والشيخان » فيما يعرفه المثقفون والمتتبعون لآثاره اديب من أدبائنا البارزين وكاتب اجتماعي قد بلغ شأوا رفيعا في معالجة مشاكل المجتمع الذي نعيش فيه .

والاديب والكاتب الاجتماعي ، بعيد كل البعد في نظر الناس ان يكون صاحب ثقافة دينية عميقة الجذور ملىء قلبه بالايمان يغضب الى حد لا يستطيع معه امتلاك نفسه اذا مس في صميم عقائده ودينه ، ذلك لان الناس ، أو هم علماء الدين ـ لا ادري ! اختصوا بمظهرهم الخاص وتعابيرهم الخاصة وزيهم الخاص فمن تزيا بذلك الزي الخاص وتظاهر بذلك المظهر الخاص واستعمل في كلامه وفيما يكتب تعابير خاصة كان من المسلمين ومن اهل السنة ومن لم يفعل لم يكن ! . والدين في الحقيقة وفي واقع الامر لم يكن الا عقيدة ومبدأ ومعاملة وما كان ابدا مظهرا وشكلا عمامة او جبة او معما ومسواكا ! والا لما صح ان يكون دينا عاما ارسل رسوله للناس كافة بشيرا ونذيرا على اختلاف اطوارهم وطرق معائشهم وتقاليد بيئاتهم . وليس ادل على هذا ما جاء في حديث عبادة بن الصامت « من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبدالله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل !

هذا البحث سماه محرر الاخبار في جريدة المدينة نقدا لكتاب طه حسين والشيخان ولا ادري كيف استنبط المحرر عبارة النقد وهو لم يطلع على البحث بل لا ادري كيف احرجني على نشره في جريدة المدينة وكنت مترددا ، ان افعل ! حركات وفرائخ صحفية . أليس كذلك ؟!

وحديث عمرو بن العاص . وحديث ابي هريرة « ان الله لا ينظر الى صوركم واقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » فالاسلام اذن دين عقيدة وعمل وكلما عدا ذلك لا يزيد عن كونه مظهرا لا يمس الجوهر ولا يخرج المسلم عن اسلامه مهما تحرج المتعصبون وضاقت بهم آفاقهم وقلوبهم !

ارتسمت هذه الصورة في مخيلتي وانا اتصفح كتاب « طه حسين والشيخان » للاستاذ محمد عمر توفيق ، هذا الكتاب الذي دافع فيه المؤلف بعمق ايمانه وقوة عقيدته وسعة اطلاعه على السنن والآثار وعلوم الشريعة عن رجال هم حماة الدين وامناء العقيدة لو تطرق الشك الى نزاهتهم وسلامة تصرفاتهم كان ذلك سبيلا الى ان يتطرق هذا الشك الى العقيدة نفسها والايمان نفسه .

وقليل جدا من يعرف ان محمد عمر توفيق ممن تخصص في علوم الشريعة : حفظ القرآن ودرس الحديث واصوله على نخبة من العلماء الاجلاء ، ولئن خفى هذا على الكثيرين فلأن الرجل لم يتمسك بما تمسك به رجال هذه الطبقة : الزي الخاص والطريقة الخاصة الى حد قد يشك معه من يروي له هذا الخبر ، ولو اختير محمد عمر توفيق وزيرا للعدل ـ مثلا ـ لشهق كثير من الناس وفتحوا افواههم من الدهشة غير ان الواقع انها لن تكون خارجة عن دائرة اختصاصه فزملاؤه في الدراسة يشغلون اليوم مناصب كبيرة في القضاء !

ان منطق الناس يجب ان يتصحح ويجب ان يعرفوا ان الدين علم وعمل وليس جدلا ومظهرا فديننا دين عام يقبل كل الاشكال والمظاهر وشيء واحد هو الذي لا يقبله وهذا الشيء ـ هو العقيدة والعمل ـ وليس ادل على ذلك من كتاب « طه حسين والشيخان » هذا المؤلف القيم الذي كان الدافع الى تأليفه هو قوة الايمان ورسوخ العقيدة في نفس المؤلف الذي لم يطق ان تمر في غفلة حملات مدسوسة بين سطور دبجها قلم ساحر ، واراء منحرفة قد تؤخذ مأخذ القبول لمكانة وشهرة صاحبها وفي ذلك افتراء وزور . وبقدر سعة افق مؤلف الشيخان ومكانته المرموقة كان تحري الدقة في البحث والتقصي من مؤلف (طه حسين والشيخان) وبقدر مكان الشيخين في نفسه المؤمنة كانت قوة الدفاع وسداد المنطق . ان حرارة الايمان وصدق الانفعال كانا قوة مندفعة في كل كلمة دبجها اليراع في سطور هذا المؤلف القيم فجاء سليم المنطق قوي الحجة .. انه دفاع قوي عن تصرفات اعظم رجلين من رجالات الاسلام يأتيان في الترتيب بعد نبي الاسلام وصاحب رسالته وهو دفاع مجيد عن الاسس التي بنيت عليها عقائد الامة الاسلامية العظيمة ! انه جهاد في سبيل الله في عصر ندر فيه المجاهدون واستساغ فيه العلماء ـ العلماء المتحررون ـ طرق التأويل والتحريف .

ان النهج الذي اتبعه الدكتور طه حسين في مؤلفه الشيخان نهج عرف به منذ فجر حياته فهو نهج عرف به منذ فجر حياته فهو نهج استقراء واستقصاء واستنباط للحوادث التاريخية كما اوصلها الرواة والمؤرخون من اعماق الماضي السحيق وكما فهمها هو ـ اعني الدكتور وانفعل بها وقد يصل هذا الفهم عنده الى حد التشكيك والانكار فالكتاب من هذه الناحية يمثل وجهة نظر الدكتور في نطاق فهمه واستنتاجه ويتفق هذا النهج في البحث مع طريقة البحث التي سار عليها مؤرخو اوربا في عصورها المظلمة وهي طريقة ان قبلت او استسيغت في البحث عن حياة شاعر او اديب اختلف الرواة اختلافا بينا في اثبات مولده ومنشأه وما نسب اليه من آثار فانها

لا يمكن ابدا ولا بحال من الاحوال ان تقبل في حياة رجال كانوا حماة عقيدة سماوية اعتنق مبادئها الملايين من ابناء البشر عاشوا ويعيشون على جميع قارات الكرة الارضية ، ولا شك ان في هذه الملايين المئات بل الالوف من الذين ارتفعت ملكاتهم العقلية بحيث يعتنقون دينا لم يكن حماته الاول من طراز ارتفعت مكانتهم عن مستوى الشبهات ، فهم قد بحثوا واستقصوا وكان بحثهم واستقصاؤهم ادق من الدقة وابعد من ان يتطرق اليه التشكيك ذلك لانه بحث يتعلق بعقيدتهم وايمانهم ، ولو استطاع الدكتور ان ينتزع من نفسه الآراء التي تشبع بها عن طرق دراساته الغير الاسلامية للتاريخ العربي ورجالاته وتبصر بروح منصفة واعية ما كتبه المسلمون عن رجالات الاسلام والدقة والصرامة التي ساروا عليها في تحقيق الروايات لما اهتز هذا الاهتزاز ولما خرج عن الصواب في حكمه .

وقد تابع الناقد تشكيكات وافكار الدكتور طه متابعة علمية دقيقة رفعت القناع الكثيف الذي أراد الدكتور ان يسدله على الحوادث ويتجنى به على الاجلة الذين نقلوا الينا تفاصيل تلك الحوادث وقد سماهم « القدماء » .

واستحسن هنا مشاركة الاستاذ الناقد في مناقشة الدكتور في استنتاجاته التي أراد ان يدخلها في عقول القراء كنتائج منطقية حتمية لسلسلة الحوادث التي سردها .

فمن بعض أسباب التشكيك عند الدكتور ان « القدماء » الذين شهدوا المواقع لا يستطيعون وصفها بدقة لانهم كانوا في شغل عن تفاصيلها بانفسهم وبأدوارهم في هذه التفاصيل ، منطق عجيب يجعل هذه الوقائع (شربه) لا تخطيط ولا قيادة ولا مسئول عن سير الوقائع وتحديدها فالجندي مثلا منذ ان عرف المبدأ والدفاع عنه لا يدخل المعركة الا ووراءه رؤوس مفكرة وعقول مدبرة مسئولة عن انجاحه وفشله ومهما كان الفارق كبيرا بين الاسباب والوسائل في ذلك العصر والعصر الذي نعيش فيه فالجوهر هو الجوهر وليس ذلك معنى ان يعيش الناس على الفطرة انهم يعيشون في عباء وقدرتهم فان نسبة الذكاء في القدماء وقدرتهم على الاستيعاب هما اللذان ادارا عجلة التطور حتى وصلت الى الحضارة التي نعيشها في هذا العصر فاذا اعرض الدكتور المؤلف عن تفاصيل الاحداث كما رواها القدماء ولم يكلف نفسه تحقيقها وتمحيصها فما الذي سيقرؤه الناس في الكتاب ! ليس هو - كما سبق ان قلت - استنتاج واستنباط يمثل رأي المؤلف وحده .

ان هؤلاء القدماء الذين اعرض مؤلف الشيخين عن رواياتهم افذاذ بلغوا الذروة في الصدق والنزاهة والورع ولم تكن تحقيقاتهم للتاريخ وحده بل كانت تحقيقاتهم لسمو العقيدة التي آمنوا بها وارتضوا ان يتعلق بها مصيرهم في الحياتين : الدنيا والآخرة ولن يستطيع المؤرخون من غير المسلمين المستشرقين منهم وغير المستشرقين ان يدخلوا الشك في صدق رواياتهم فقد بنيت على قواعد علمية صحيحة واسانيد ثابتة الاصول والفروع . وعندما قال

الدكتور في ختام مقدمة مؤلفه «انا اذن لا املي هذا الحديث لأثني على الشيخين ولا لافصل تاريخ الفتوح في عصرهما وانما أريد الى شيء مخالف لهذا اشد الخلاف ! إن هذا الشيء المخالف أشد الخلاف مفهوم بصراحة في ثنايا هذه السطور انه يريد ان يقول : انا لا أريد ان اتحدث عن الشيخين كما تحدث المسلمون عنهما « القدماء » لان الطعن في روايات هؤلاء سببه انهم مسلمون انحرفت بهم العقيدة عن قول الحقيقة المجردة . فهو يريد ان ينهج في البحث نهج المؤرخين من غير المسلمين لئلا تدخل العاطفة في تمحيص الحقائق ، وفي رأينا ان المؤرخين الغير المسلمين والمستشرقين ــ وهم لم يرتقوا الى التخلص عن الميل العقائدي ــ لم يكونوا اقدر على تمحيص الروايات وغربلتها وتمحيصها من المسلمين لان المسلمين كانوا يغربلون ويمحصون حوادث تتعلق بعقيدتهم وايمانهم .

والغريب في امر الدكتور انه اتخذ من الجدال الذي حدث بين الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ سبيلا للنيل منهم فشكك في بعض ونفى بعض مع ان هذا الجدل هو سر عظمة هؤلاء الاجلاء فالجدل في قتال اهل الردة والجدل في قيادة « اسامة » لم يكن سببه قصور في الفهم كما رأى الدكتور اذ يقول « فوجوه المسلمين من اصحاب رسول الله ﷺ اعلم بأمور دينهم » بل ان اساس الجدل هو الاختلاف في الرأي فبينما كان يرى ابو بكر رضي الله عنه وجوب القتال كان يرى غيره عدم التسرع واتخاذ خطوات اخف وطأة من القتال كبداية لتوحيد الصف ، وابو بكر رضي الله عنه حين تمسك برأيه لم يكن مستبدا بل ان حجته عليهم كانت هي الاقوى ، فقد قالوا له كيف تقاتلهم وهم يقولون لا اله الا الله فقال : الا بحقها والله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ، وهم يفرقون بينها ، أليس هذا الجدل هو النقاش البرلماني اليوم ! فهل يستطيع احد ان يقول في اعضاء البرلمان اذا حدث جدل بينهم في شأن من شئون الدولة ان سبب الجدل قصور في العلم والمعرفة ! فهم غريب !

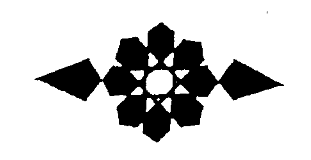
ان حضور الفكر وسرحاته من خصائص النفوس البشرية وخاصة عندما تتأثر النفوس بالاحداث وتهتز بها قوة وانفعالا ، والفضل انما يتميز في النفوس الكاملة عندما تعود اليها طمأنينتها بالتذكير او باي عامل آخر برجوع اصحابها الى طريق الصواب رغم ما في هذا الرجوع من الاتهام بقصور الفهم !

ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا كلهم اصحاب علم ودراية ومجادلتهم اسبابها اختلاف الرأي لا القصور في الفهم فتركهم الامر لابي بكر في حرب الردة وعدم حل قيادة (اسامة لم يكن رضوخا منهم لاستبداد ابي بكر بل لان حجته فيما فعل كانت قائمة ولولا ذلك لحاجوه وردوه وقد قالها واحد من عامتهم لعمر رضي الله عنه في خلافته لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا .

وسر عظمة الصحابة رضوان الله عليهم سموهم على بشريتهم عندما يخطئون وتسرح بهم الفكرة ــ وهم بشر ــ فلا تأخذهم الى الرجوع الى الحق لومة لائم .

وما أمر الخلاف في قيادة خالد بن الوليد بين ابي بكر وعمر الا الاختلاف في الرأي سواء في قتل الاسرى او في زواج اشتبه في امره فلم تصل الروايات عند عمر عن تصرفات خالد حد اليقين ولو وصلت لكان شأنه مع الصديق في أمر خالد شأنا آخر ويفسر ذلك قوله بعد وفاة ابي بكر « رحم الله أبا بكر فقد كان اعلم مني بالرجال » .

وبعد فان كتاب (طه حسين والشيخان) جدير بان يقرأه كل مسلم ففي قراءته ازالة لكثير من الشكوك والاوهام التي قد يتأثر بها المسلم وهو يقرأ تاريخ الاسلام ورجالاته وخصوصا ما كتبه المستشرقون ومن نحا نحوهم فهو ليس نقدا لكتاب الشيخان لطه حسين وحسب بل انه توضيح بالاسانيد لكثير من الحوادث الاسلامية سوف يجد فيه القارىء ـ خصوصا من كانت ثقافتهم غربية ـ حلا لاشكالاتهم في حوادث التاريخ الاسلامي قد تبدو وجيهة قبل التمحيص ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين .



قابلت معالي الوزير

حقيقة أنا اعيش داخل قوقعة كما قال صديقي :

لا ادري ! لكني احس اني مقصر في كثير من واجباتي الاجتماعية نحو من أحمل لهم في نفسي الحب والتقدير واكبر فيهم نشاطهم واخلاصهم ونجاحهم في ميدان الجهاد .

كان علي وقد وضع على عاتقي عبء رئاسة تحرير جريدة المدينة ان ازور معالي وزير الاعلام فذهبت بعد أن علمت بوجود معاليه في مكتبه .

ذهبت وانا مثقل الخطى متضارب الاحاسيس وهذا امر طبيعي يبدو لمن يجد نفسه وجها لوجه امام مسئول او بالاحرى امام من يعتبر المسئول الاول عن كل خطوة تخطوها صحافة هذه البلاد وعن مجالها الواسع ومسئولياتها المتعددة .

دخلت على معاليه فاستقبلني ها شا باشا وقف محييا متلطفا . وسرعان ما تلاشت من نفسي أثقال الاحاسيس فجلست وانا بحالة طبيعية جداً جداً . قلت لمعاليه انا اشعر بالخجل لقصوري في اداء واجبي نحوكم فانا كمواطن فخور بكم وبنتائج اعمالكم التي سمت بمستوى اذاعتنا الى مستوى عال اثير وأجدني مؤاخذا لاني لم اسع لابلغكم هذا الاعجاب .. فانا اؤمن ان الثناء على العمل الصالح سبيل على تقوية دوافعه في نفوس العاملين .

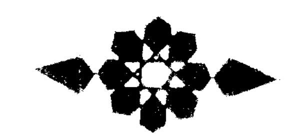
وقال معاليه : لا داعي لهذا الثناء فانا اشعر منذ وضعت في الثقة اني موضع التقدير من جميع المواطنين فقد شعرت بهذا بالحاسة السادسة كما يقولون حاسة الوحي والالهام وان كانت الاذاعة قد خطت خطوات لا ازال اراها بدائيه فهي نتيجة لازمة لوحي هذا الشعور وهذا التجاوب الروحي بيني وبين المواطنين الذي ارجو ان يدوم ويزداد اكثر فاكثر وتندفع به اذاعتنا إلى الامام اكثر فاكثر .

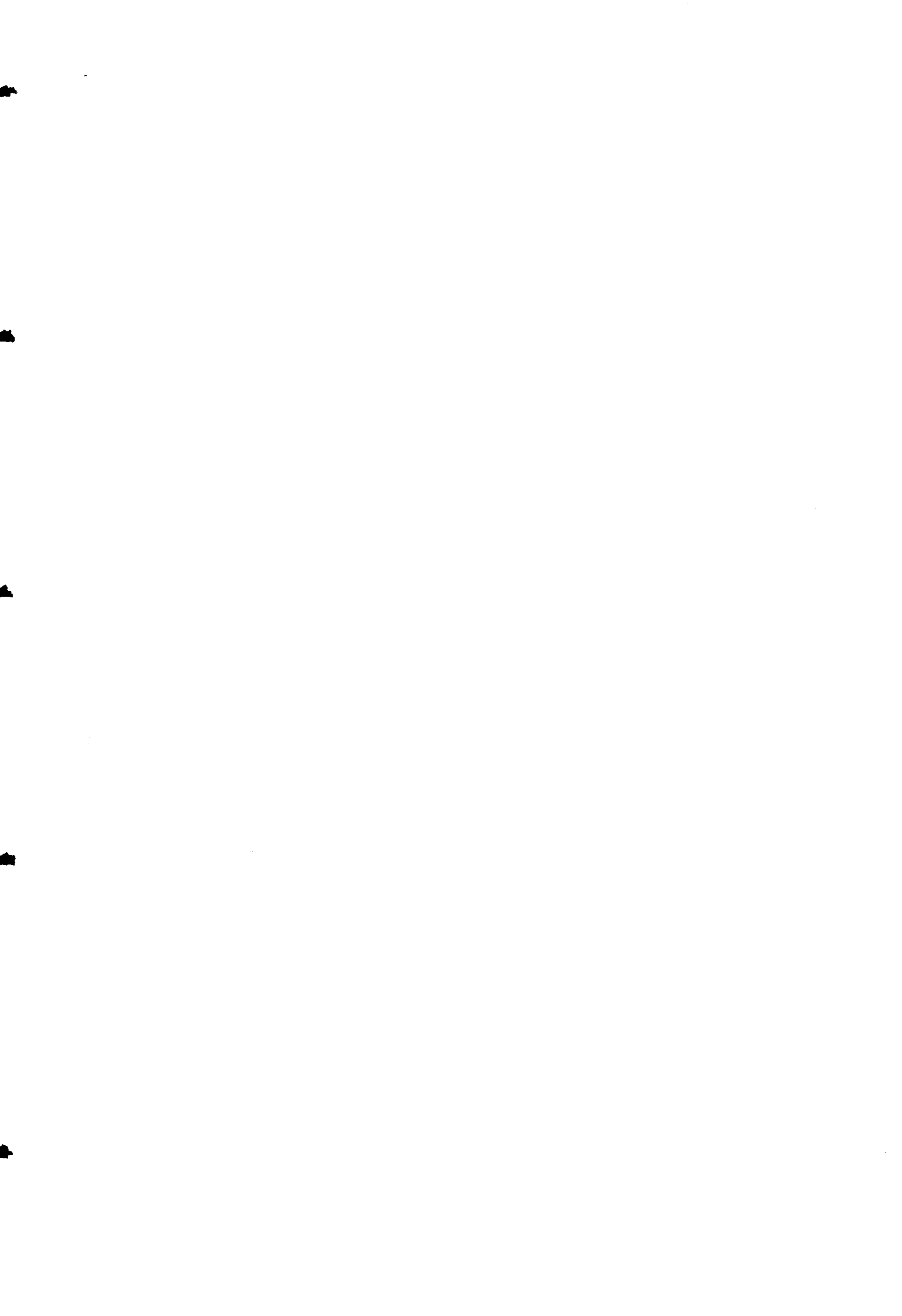
قلت : انا اشعر بثقل الحب وكبر المسئولية التي القت على عاتقي وهذا الشعور جعل الاحاسيس تتضارب في نفسي واوجد عندي حالة من القلق ما زالت تتردد فتؤرقني ..

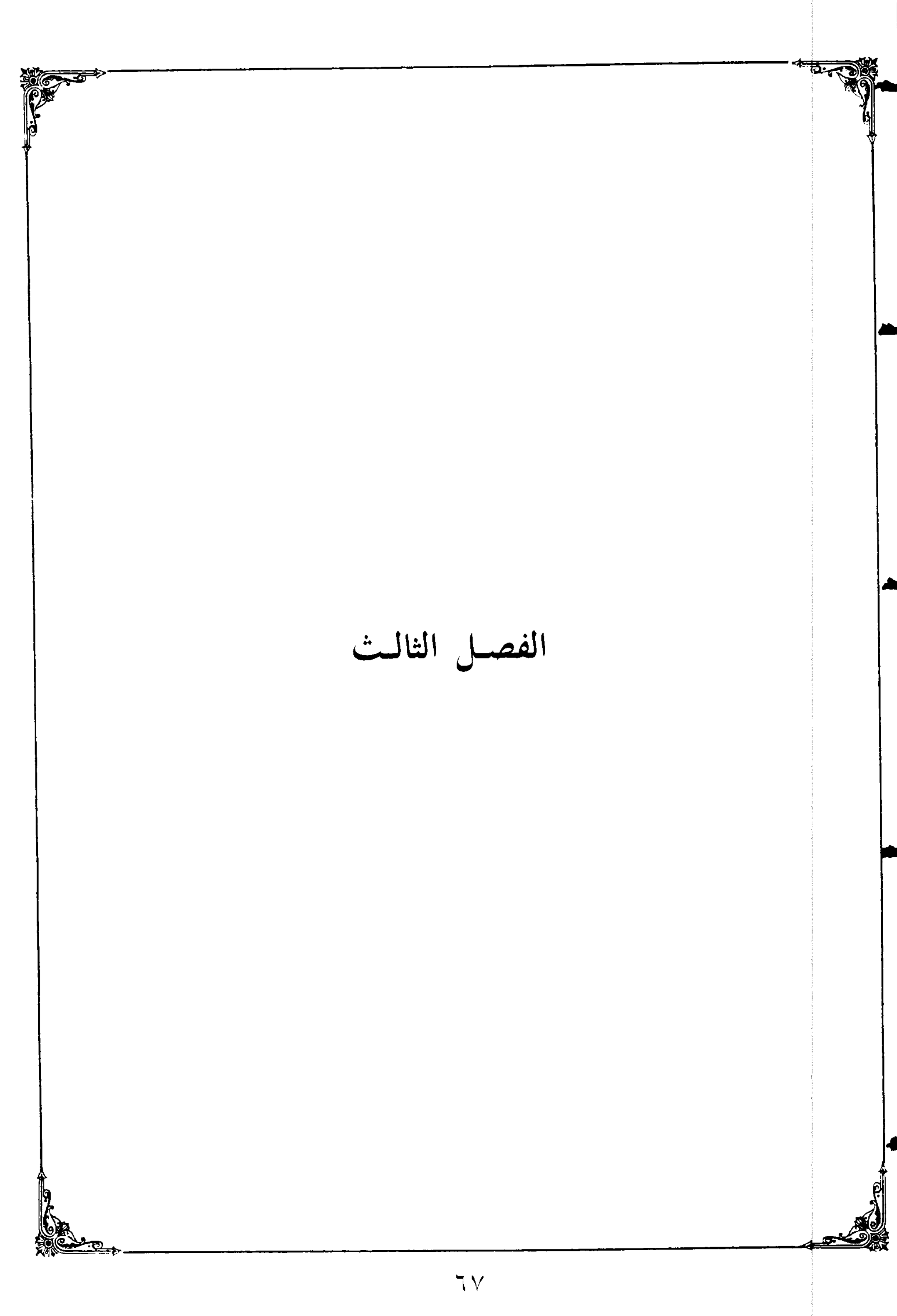
قال : اسمع يا عبدالحميد أن اعضاء المؤسسة هم من خيرة رجالات هذا البلد وقد وضعوا ثقتهم فيك . ولا شك انك اهل لهذه الثقة فلا تتردد واعمل ونحن معك نساعدك ونمد لك يد العون وانت جدير بأن تقوم بما وكل اليك خير قيام وان تكون اهلا لهذا الثقة التي وضعت فيك ونحن على استعداد لكل ما تطلب منا لمساعدتك وليس معنى هذا اننا نرسم لك خط السير او نوجهك الى شيء معين فحرية الصحافة مكفولة كفلها رئيس الدولة في تصريحاته ونحن نقدر الرجل الذي يعرف قيمة حريته ولا يتعدى حدودها الى حرية الآخرين .

نحن امة لها تاريخها المجيد وتقاليدها وقواعد دينها التي يجب الا نفرط فيها ـ ولا يستطيع الا مكابر ان ينكر اننا نتقدم فنحن اليوم غيرنا بالامس ووعي الشعب وادراكه غير الذي كان عليه . ورئيس الدولة ـ رعاه الله ـ فتح قلبه ووهب نفسه لأمته وبلاده والباب مفتوح امام كل مواطن للعمل الصالح والانتاج المفيد واثنى معاليه على رؤساء الصحف وقال انه يقدر مسئوليتهم وجهادهم ورأيت من واجبي ان ابلغهم هذا التقدير والثناء من الرجل المسئول .

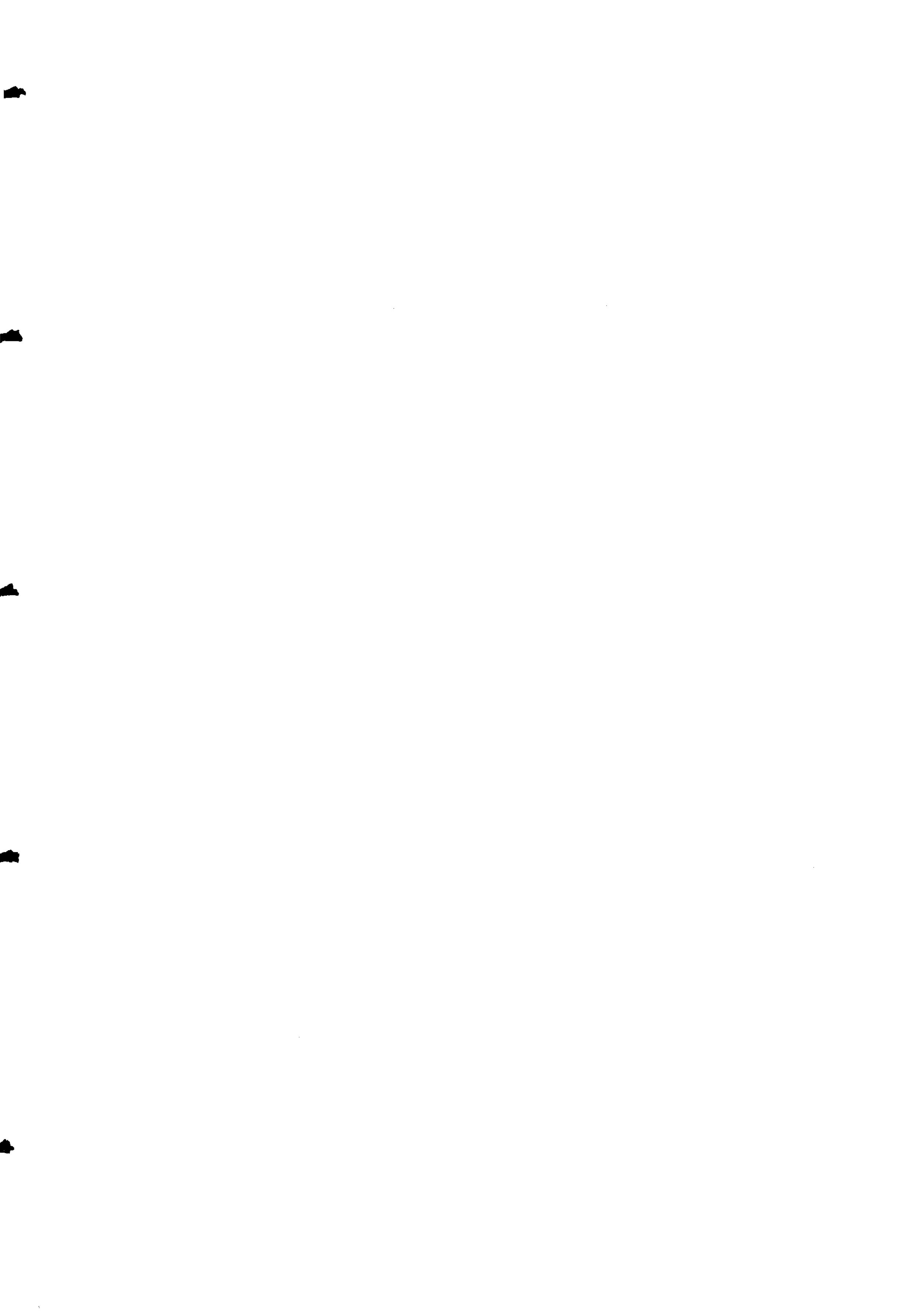
ومددت يدي مستأذنا مصافحا وودعني معاليه وأحسست انني لا أودع رئيساً مسئولا وانما وداعا أخويا حبيبا .







الفصل الثالث



مطار جدة من أهم مطارات الشرق العربي

لعل الصور التي تمر بك وانت تأخذ طريقك الى اجازة قصيرة لتريح اعصابك وتهيىء ذهنك لساعة استجمام وهدوء اكثر اغراء للقارىء لكثرة ألوانها وتجدد مناظرها ولعل اكثر تلك الصور عمقا وجاذبية تلك التي تتصل بمعاملة الناس والموظفين الذين تحتم عليك ظروف سفرك ان تمر بهم . اما القارىء الذي لم تمر به هذه التجربة ولم يستمتع بعد بمتعة الاجازة في الخارج فانه سيجد درساً وتجربة قد يستفيد منها اذا قدر له يوماً ان يأخذ طريقه الى اجازة راحة واستجمام .

كان أول ما اهتممت به عندما عزمت السفر الى بيروت السؤال عن شركات الطائرات التي تضمن سفراً مريحاً ومواعيد مضبوطة ومعاملة احسن وقال الصديق الذي كنت اتحدث معه ان كل هذا مضمون في شركة طيران الشرق الاوسط واخذني صديقي دون ان يعطيني مهلة الى مكتب الشركة وحجزنا على ان يكون الحضور للمطار الساعة ١٢,٣٠ عربي صباحاً وان يكون احضار العفش الساعة الحادية عشرة مساء من ذلك اليوم واحضرت امتعتي مساء في الوقت الذي حدده الموظف وكان غير الذي قابلناه صباحاً . فسلمنا عليه وبدأ يسأل وبدأنا نجيب وكأننا لم نكن قد أدينا هذا الواجب للموظف الاول في الصباح فتغير الميعاد من ١٢,٣٠ الى ١٢ وقلت ان تحديد الموعد عندما راجعناكم صباحا كان غيره الآن فلم يعجب الموظف هذا الاعتراض وبدأ يتفلسف وفي لهجته تذمر فخرجت مهرولا قبل ان ترتفع درجة حرارة هذا التذمر ـ وقلت في نفسي انها معاملة طيبة على كل حال ؟ فقد لا تجد في غير هذه الشركة من يجيبك على سؤال بعد أن يطمئن الى انه قص التذكرة !؟ وصلت المطار الساعة ١٢ وطلب مني الموظف ان املأ اقراراً وامضيه ففهمت انها صورة جديدة اخترعتها ادارة جمرك المطار لزيادة التعقيد فانك لم تجد شيئاً مثل هذا وانت مسافر فيما يتعلق بالجمرك في جميع مطارات العالم ولم يسبق لي ان رأيت مثل هذا الاقرار في جماركنا انك في هذا التقرير ستعترف بأنك ستذعن للتفتيش الجمركي وعليك ان تعيد بيدك الكريمة جميع العفش الذي يعن لموظف الجمرك اخراجه من حقيبتك لفضه وتفتيشه وان تقرر انك لم تحمل معك شيئاً من الممنوعات . سألت نفسي ما هي ياترى الممنوعات التي يجب ان لا أحملها وما الذي اضعف سلطة نظام الجمارك الخاص بتفتيش الركاب حتى اضطرت ادارة الجمارك الى طبع مثل هذا الاقرار وهل هذا الاقرار يمنع المهربين المتهنين من ممارسة هواياتهم . وسؤالات كثيرة ترددت في نفسي لم استحسن كتابتها !

انها فيما اعتقد صور كلامية خطرت لاحد الرؤساء فأمر بها ونفذت دون بحث للفائدة المرجوة منها ودون التفات الى التعقيد الذي يزيد في حيرة المسافر ومشاكله مع كثير من

الموظفين الذين لم توفق اذواقهم لفهم النظام وروحه مع الذين يتخذون من مثل هذه الوسائل سبلا للاضرار بالناس !؟

ولو سألت واضع هذا الاقرار هل كان النظام قاصراً فاكمله بهذا القرار ام كان في الاقرار تسهيل وتنظيم لمن تفطن لميزاته الدول الاخرى . انك لو وجهت هذا السؤال لما وجدت من يملك الجواب . فالمعروف ان موظف الحكومة يتمتع بسلطة يستمدها من الانظمة والقوانين وانما يلجأ لمثل هذه الاقرارات اصحاب الشركات الاهلية ومن جرى مجراهم ليجعلوها مستنداً لهم امام الحكومة عند اللزوم .

واخذت الاقرار بعد ان امضيته وتوجهت به حسب اشارة الموظف الى ساحة الجمرك ولكن حارس الباب منعني من الدخول وافهمته اني مسافر وقدمت له الاقرار ولكنه هز رأسه ممعنا في الأنفة وسلمت امري الى الله ووقفت ولكن صديقاً هو الاستاذ عزيز ضياء كان يحمل نفس الاقرار وجاء بإقراره ودخل وشعرت بأن كرامتي تجرح فخرجت عن صوابي واردت ان أدخل قسراً رغم ما اعرف من عدم امكانية ذلك ولكنه جنون الحماقة وثورة الكرامة ، واسعفني الله بالاخ احمد شاهين وانه لصديق قديم ومهد لي الدخول ودخلت ولكني في ثورتي خرجت عن ادب الحديث فرميت الحارس بكلمات كان يجب ان يتأثر لها ولكنه لم يفعل فقلت يارب متى ترتفع اذواق هؤلاء الناس فيحسون بكرامتهم فمن يشعر بكرامته يقدر كرامة الآخرين . فان مطار جدة من اهم مطارات الشرق العربي فيجب ان يكون موظفوه خير من يمثلنا امام رواده من جميع الاقطار . والعجيب اني بعد كل هذه المشقة عرضت حقيبتي على الموظف الجمركي فهز كتفيه وانصرف وهو يقول انتظر انتظر . وعدت ادراجي بعد ان سلمت مفتاح حقيبتي لاحد الحمال اجتنابا لكل هذا التهزيىء .

وتوجهت لموظف شركة الشرق الاوسط وقلت يا أخي مادام الجمرك ليس لديه استعداد لتفتيش امتعة الركاب لم طلبتم منا الذهاب للتفتيش .

انكم طلبتم منا الحضور الساعة ١٢ وها هي الساعة تسير نحو الواحدة والنصف ونحن في الانتظار الم يقولوا انكم منظمون دقيقون في مواعيدكم فمن اين جاءت هذه الفوضى لمَ تعينوا الوقت بالتدقيق لتفتيش امتعة الركاب بالتفاهم مع موظف الجمرك لم لا تحافظوا على كرامة المسافرين على طائراتكم أليس من امتهان الكرامة ان تطلبوا من الركاب الدخول الى ساحة الجمرك لتفتيش المتاع فيمنعه الحراس واذا دخل امتنع الموظف عن التفتيش ! انكم بمعاملتكم هذه تتسببون في ايقاف عملائكم موقف الاهانة وتجرحون كراماتهم ومط الموظف شفتيه وقال في لطف وادب اصطنعهما : ان بعض موظفي الجمرك يعاكسوننا فليست هناك تعليمات تمنع تفتيش الامتعة حال وصولها الى ساحة الجمرك ونحن حريصون ان يتم ذلك قبل وصول الطائرة حرصا على تسهيل العمل والتسهيل للركاب فقلت ولماذا لم ترفعوا الامر فقال

بلهجته اللبنانية ما بنحسن فاذا فعلنا تتحسن الايام ثم تعود أسوأ مما كان لا نريد المتاعب .
انه فصل عجيب ألـ ايها القارىء .

حلقت بنا الطائرة فوق سماء جدة ومازالت أحس بكرب شديد وقلت احدث نفسي « يعني الناس في كل الدينا ارتقى ذوقها وعرفت كيف تتعامل وكيف تأخذ وتعطي بلباقة وكياسة ونحن هنا في هذا البلد المقدس الذي تؤمه الناس من كل نوع ومن كل صوب مانزال حتى الآن كما كنا قبل عشرين سنة . لم نستطع ان نفرق بين واجب الوظيفة وبين واجب المواطن بل ان فينا من يفكر ان الحكومة فريق يجب ان يسيطر ، والمواطن هو الفريق الثاني الذي يجب ان يكون تحت السيطرة والموظف هو الذي يمثل هذه السيطرة فيجب ان يظهرها بشكل اوامر حتى ولو كانت في صورة (إمارة اباريقي !) فان لم يفعل فانه يشعر في اعماق نفسه بانه فقد لذة الوظيفة ونفخة الامر والنهي .

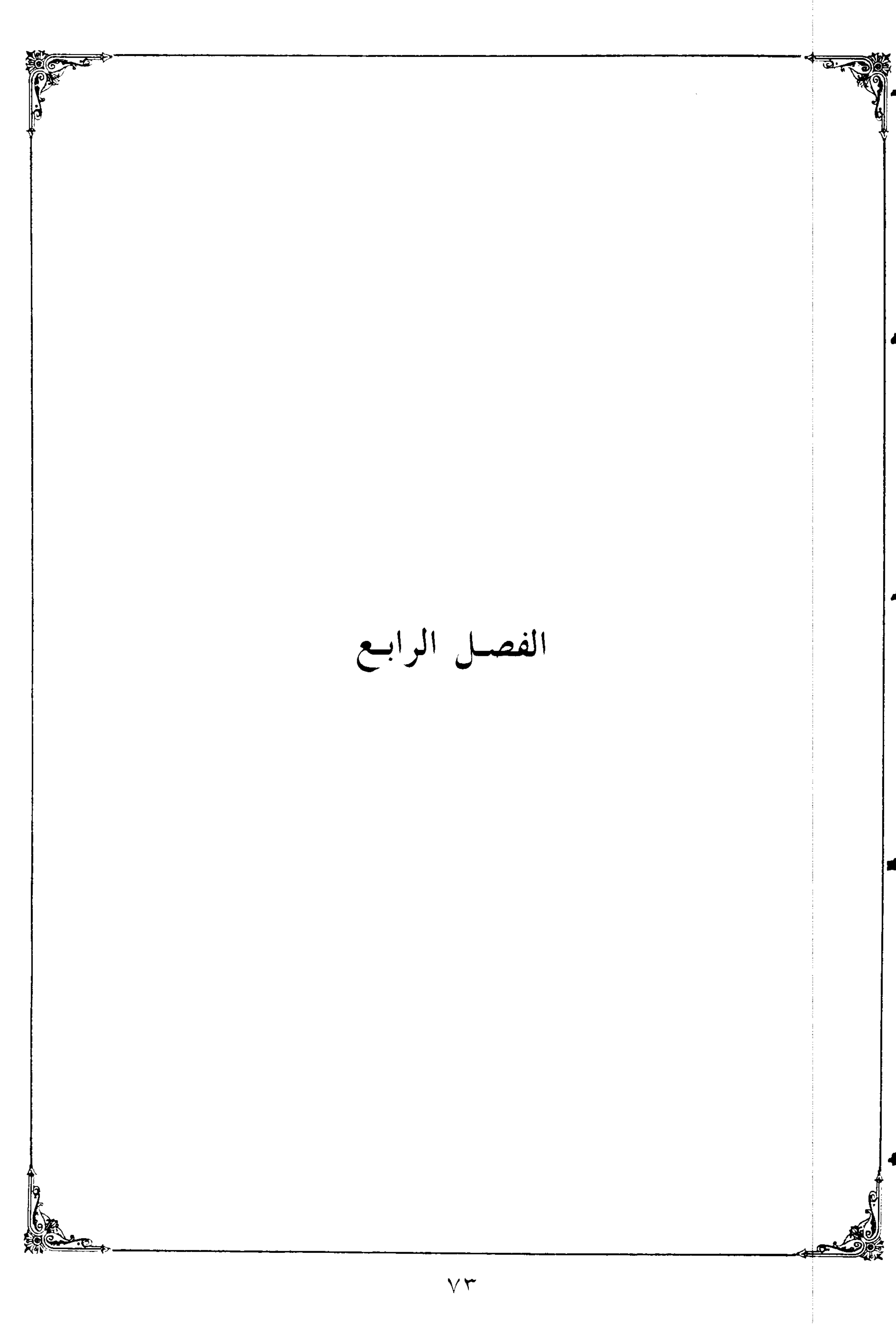
وسرحت افكر فيما لمسته من الذوق العالي والادب الجم الذي يعامل به المرء عندما تطأ قدمه اي بلد يتوجه اليه . فما يكاد باب الطائرة يفتح حتى تقابلك الاوجه الباشة وقد ارتسمت عليها ابتسامات عريضة وارتفعت الايدي تلوح لك بالسلام وتتلقاك بالترحيب ويتحدث اليك مأمور الجوازات وهو يؤشر على جوازك حديث الود ويشير اليك بلطف الى مأمور الامن ويؤدي هذا واجبه في لحظة ويشير اليك لتتوجه الى منطقة الجمرك فيتقدم اليك مأمور الجمرك ليطلب جوازك ليعرف منه شخصيتك فيعاملك المعاملة التي تستحقها ويكرمك الاكرام الذي هو له أهل . انه ليحز في نفسك وانت ترسم هذه الصورة لتطابق بها هذه الغطرسة وهذا الغرور وهذا الاهمال في ربوع وطنك .

ومسكت القلم وبدأت اكتب فقد قرأت وصفة للتخفيف عن الضيق لكاتب فيلسوف قال « اذا ضاق صدرك بأمر وضقت ذرعا به فخذ ورقة وقلما وخط كل ما يجول بخاطرك عن هذا الضيق ، فانك ستجد عندما تنتهي من تدوين تلك الخواطر انك قد ارتحت وخف عنك الكرب » وقد فعلت ورفعت رأسي الى الأفق خلال نافذة الطائرة لأقرأ على صفحاته تلك الصورة الرائعة التي خطها عليها الانسان بعقله الجبار ورأيه وصبره على العمل فتخيلت ذلك العالم العربي الذي كان اول شخص حاول ان يغزو الفضاء فصنع لنفسه جناحين ارتفع بهما بضعة اقدام ثم هوى ، ثم جاء بعده الاخوان الفرنسيان فحققا ما اهمله العرب في تتبع اختراع عالمهم فجددا محاولة العالم العربي ووصلا بها الى تطور أكمل وتسابق رجالات العلم في اوربا حتى بلغوا بالاختراع اقصى مداه .

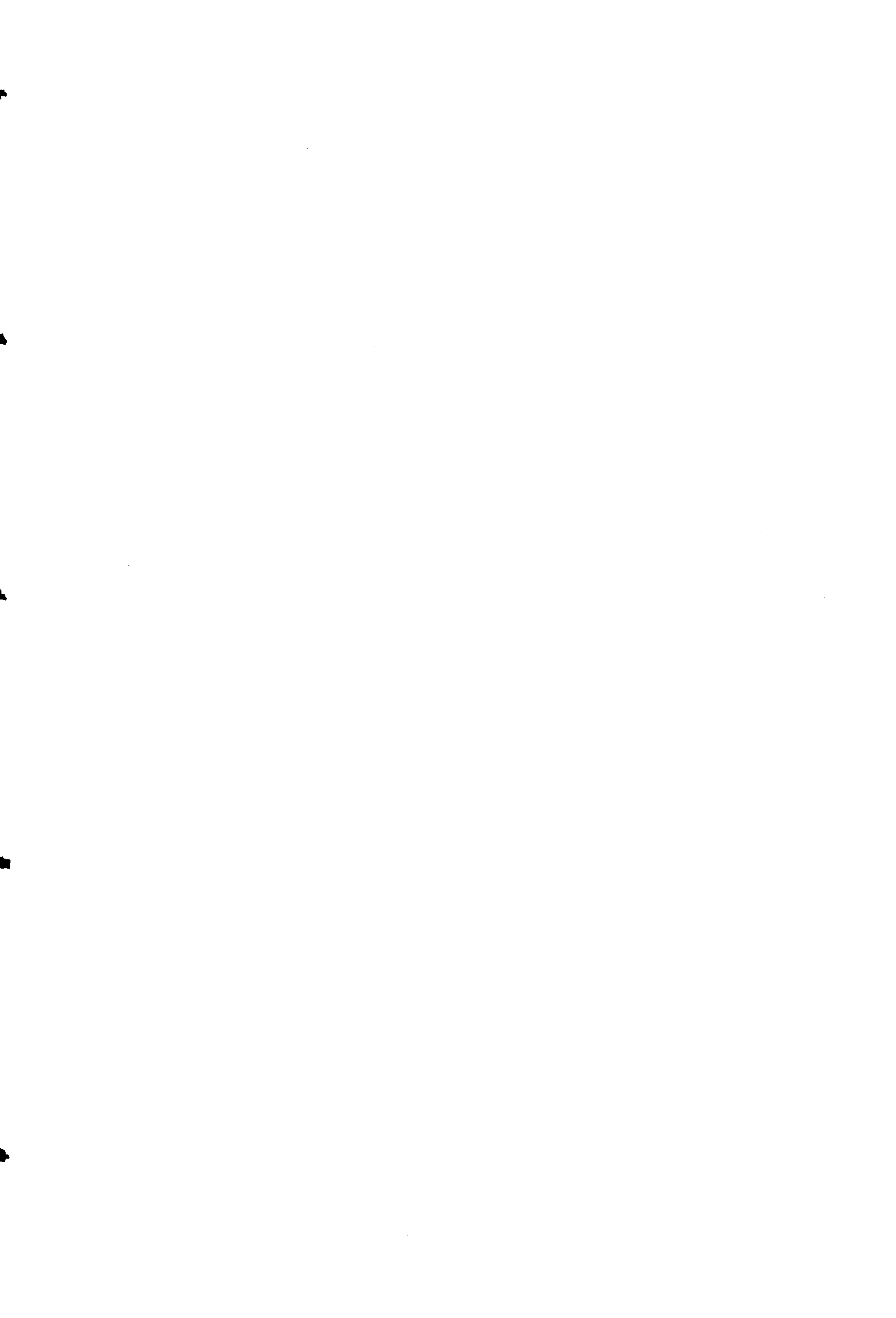
ظننت المضيفة أول الأمر ..

أصبح أبناء هذا العصر يتنقلون على بساط الريح ِمن قارة الى قارة في ساعات هي لمحات خاطفة في عرف ابناء القرون الاولى وتحققت معجزة القرآن في القرن العشرين « قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك » وقطع على سلسلة تفكيري صوت طفل يبكي خلف مقعدي فقد كانت امه تجهد لاسكاته وكانت اخته الصغيرة تضاعف بشقاوتها جهد الام وطرقت اذني خطوات رشيقة تتبعها نظري ليرى المضيفة الرشيقة تتبختر بين الركاب وظننتها أول الأمر تخف لتهتم بأمر هذه الام التي اجهدها طفلاها بشقاوتهم ولكنها تخطتها الى شلة اوربية من الركاب وصرفت جهدها في التلطف بهم واجابة طلباتهم وركزت هذه اللفتة تفكيري على متابعة معاملة المضيفة لركابها وأشمأزت نفسي من التمييز الواضح في معاملتها بين الركاب العرب والركاب الاوربيين وتساءلت في نفسي ألسنا في طائرات الشرق الاوسط ؟ او اليست هذه المضيفة عربية ؟ فلماذا إذن هذا الاهتمام وهذا الانصراف . انها نقطة الضعف في النفوس الشرقية التي لم تؤمن بعد في اعماقها بقيمتها وحقها .





الفصل الرابع



حــول مقــال

اسمع الناس كثيراً ما يقولون « الحقيقة بنت البحث » والذي أفهمه انا من هذه الكلمة هو انه اذا التبس امر الحقيقة في موضوع بسبب اختلاف في الرأي بين شخصين او جماعتين فانها انما تظهر وتتوضح اذا تفاهم هذان الشخصان او الجماعتان بابداء كل منهما ملاحظاته ودلائله التي يقوم بها جانب رأيه فاذا صح رأي احدهما وقوي على الجانب الآخر فان الحقيقة تظهر واضحة في هذا الجانب واذا تكافأ الرأيان فيكون للحقيقة وجهان ويبزغ نورها بطرفيه اللامعين وهذه النتيجة لابد منها ــ كما اعتقد ــ فان ضاعت بين طيات المغالطات او (خربطها) الكاتب ببراعته القلمية وقوة ملكته الكتابية فليس الذنب ذنب الحقيقة ولكنه ذنب هؤلاء المموهين . والحقيقة بين الكثير من الكتاب الحجازيين او الشرقيين على الاصح ضائعة باحد هذين السببين مضافا اليهما الكبرياء النفسي وعدم تذوق لذة الاعتراف بالحق واكاد اجزم بأني ما قرأت حتى الآن في جرائدنا الحجازية مساجلات ومحاورات في موضوع من المواضيع الادبية او الاجتماعية الا وخرجت منها بأحد امرين وهما اما سباب وشتم واما مغالطات وسفسطات لا يراد بها الحقيقة وهذا وان كان غير جميل من أي انسان ولكنه قد يغض عنه النظر من الشباب الحجازي الذي لم تمهله حوادث الدهر لان يستعد كما يجب لهذه الحياة ولكني مع تسامحي مع هذا الشباب الى هذا الحد اخاف كثيراً ان اشتبك مع احدهم واتوقى جداً ان التورط في مثل هذا المأزق ولولا هذا فان موضوع المساجلات والمحاورات هو من ألذ المواضيع الادبية عندي ، فتحاكك العقول الجبارة وتواثب النفوس الشريفة ينير العقول المظلمة ويهذب النفوس الشريرة ويهدي طلاب العلم الى طريقة البحث العلمي الصحيح وهذا النتيجة هي كل ما يمكن ان ينتجه مثل هذا البحث ويخطيء الذي يظن ان هذه المساجلات تسبب حتما هدم عمل واقامة عمل مكانه فانه لا يهدم عملا ويقوم مقامه عملا آخر الا القوة والعزم وفي غالب الاحيان يكون رجال المساجلات والملاحظات ليسوا هم اهل الحل والعقد اذ ان رجال الحل والعقد لا يحتاجون في كثير من الاحيان ان يعززوا آراءهم بالكلام فانهم متى اقتنعوا بصحة الرأي نفذوه وتقدموا ببرنامجه العملي وبعد ، فان قراء جريدة المدينة الغراء يعلمون تلك المحاورات التي بدأها الاستاذ رشوان حول كلمتي عن تحضير البعثات .

وانا بعدان بسطت آرائي فيه للقراء الكرام وشرحت مقصدي فيه بعبارات أنا مقتنع تماماً باني لا استطيع ان افسر او اشرح بأفصح منها رأيت ان اكتفي بذلك المقدار وانتهي بذلك البحث عند ذلك الحد غير ان لذة الاستمتاع بالبحث وادب الاستاذ رشوان وخلقه العالي وقدرته على مداورة البحث وتعريجه في محاوراته على نقاط مهمة كثيرة يغريني على متابعة البحث ومساجلته من جديد .

يقول الاستاذ في مقاله الاخير (وقد ورد فيه ـ يريد مقالي ـ ان الجامعات تشدد في الدراسة وتطيل مدتها نظراً لكثرة المتعلمين) .

ويلاحظ القارىء ان لفظ (ورد فيه) يوهم النص او ما يشبه النص في المنقول عنه . وفهم كونه النص المعني الذي فهم الكاتب مفهوم بعيد وقد راجعت كلمته حرفيا ووجدت الذي توهمت وجوده بعد قراءة كلمة الاستاذ وبعد المراجعة وجدت النص كما يأتي : « لان حاجة تلك البلاد في ابتداء الامر كانت تقضي بهذا التشدد الذي اقتضته كثرة المتعلمين » ثم يرد الاستاذ على مفهوم هذا الكلام بقوله « والواقع ان اطالة المدة نتيجة طبيعية للتقدم الفكري فعندما اتسع البحث العلمي وتعددت الرسائل الادبية والنظريات العلمية الخ » ثم يقول وليس الغرض من اطالة مدة الدراسة تعجيز الطلبة وصدهم عن التعليم فما من امة حية من الامم تحارب العلم او تضع في سبيله العراقيل الخ » فهل يريد الاستاذ ان يقنع القراء باني اردت من كلمتي السابقة انكار اثبات التقدم العلمي وتوسع نظرياته بتوسع البحث والمناقشة فيه وهل يريد ان يفهمهم ايضا اني اقول ان الامم الحية اصبحت تحارب العلم بوضع العراقيل في سبيله ؟ اما انا فلا اقر هذا ولا اثبته ولكني اقول ان الامم الناهضة كانت في بادىء امرها تكتفي بتزويد التلاميذ الذين تريد ان تستخدمهم في فرع خاص من فروع العلوم بأمس العلوم التي يحتاجونها لادراك ذلك الفن وبأمهات النظريات التي يتطلبها ذلك الفن ثم هي كلما سدت الفراغ في ذلك الجانب اخذت توسع وتمط دراسة هذه اللوازم تبعاً لحاجة البلاد واقرارا للموازنة بين السابقين واللاحقين .

واختلال التوازن هذا بين المتخرجين الجدد والمتخرجين الاول يجده المتتبع ملموساً عند امم الشرق لان الكليات لا تؤهل التلميذ لان يكون رجلا ممتازا يعتمد على نفسه ويسعى وراء عمل حر يقومه ويكسب به المجد الخالد فان هذه الكليات حتى الآن لم تستطع ان تخرج غير موظفين ممتازين يقومون بواجب الوظيفة خير قيام . ولذلك فكر أولو الامر فيما ذكرته من التشدد وهذا ليس صدا عن العلم ـ كما يقول الاستاذ ـ بل هو تعزيز للعلم وتركيز لمركزه وهؤلاء الذين فكروا في هذا التشدد بالنسبة الى الوطنيين رأوا انه لا حق لهم ان يقيدوا طالبي العلم من الاقطار الاخرى فسنوا نظماً لرواد العلم من غير الوطنيين غير النظم التي يتبعونها مع الوطنيين وهذا ان قال الاستاذ انه غير موجود بمصر فأنه موجود من غير شك في غير مصر من الاقطار الشرقية والغربية يجده الاستاذ اذا تفضل وبحث ، اما النظرية الحديثة في التربية والتعليم فهي فيما نعلم غير ما ذكر الاستاذ فان علماء التربية الحديثة ضد فكرة حشو ادمغة التلاميذ بالنظريات العلمية والمعارضات النظرية ـ على طول الخط ـ بل انهم يرون كل ذلك حشوا من الضرورة ازالته ورفعه وتدعيم الطرق العملية بالتمرين الكافي وقد استطردت في كلمتي حكاية عن تركيا في ابان الحرب . حيث انتخبت تلاميذ من دار العلوم وحضرتهم بدراسة مختصرة ليكونوا ضباطاً ، لأدلل بذلك على ان النظم والقوانين المدرسية ليست سوراً منزلة لا تحتمل

النقض والابرام ، كما اوردت غير ذلك من الدلائل التي اهملها الاستاذ للتدليل على نفس ذلك الغرض ولكن الاستاذ لم يعلق الا على هذه الحكاية التركية بما يأتي : « وها نحن الآن والحمد لله نتمتع بنظام قويم والهيئات الحاكمة الادارية والتشريعية والتهذيبية تقوم بأعمالها على خير ما يرام ولم يحدث اي فساد في الامن او خلل في النظام او نقص في الادارة او عيب في تصريف الامور يجعلنا نحس بخطر داهم او تقهقر قريب او نتيجة غير ذلك المثل الاعلى في الامن والسلام واحترام القانون الخ » .

وهذه شهادة لها قيمتها من الاستاذ رشوان تسجلها جريدة المدينة بالفخر والاعجاب لبلادنا الناهضة وحكومتنا الفتية واهتزينا لها طرباً حيث يرجع فيها الاستاذ عن قوله بالامس انه ليس من الامانة والحكمة تسليم سفينة النجاة لأناس لم يتخرجوا من الجامعات ولم يدرسوا على وفق برنامجها فان معظم الذين بيدهم دفة الامور في هذه البلاد هم من متخرجي مدرسة الحياة او مدارس الحجاز التي لا يعترف بها الاستاذ .

ويقول الاستاذ في سياق كلامه انه لا داعي اذن للعجلة مادام الامر كذلك وهذا حق وايراد نحن نورده ونسأل لم جعل زمن الدراسة في مدرسة تحضير البعثات ثلاث سنوات مع انه من المتبع ان يدرس برنامج البكالوريا في خمس سنوات هذا اذا صح ما علمناه من ان مدرسة تحضير البعثات تعد التلاميذ لامتحان البكالوريا اما اذا اخذنا كلام الاستاذ الذي اورده في هذا المقال وهو ان المدرسة لا تدرس إلا الدروس التي لها ارتباط وثيق بدراسة الطلبة في الكليات وهي مبادىء العلوم والرياضيات واللغة والرسم فنسأل لم هذه الدراسة التي تعتبر مختصرة على حد تعبير الاستاذ والامر كما ذكر .

اما شعورنا نحن نحو هذا الذي طلبناه هو ما ذكرناه من اننا قصرنا دون الامم التي كان يجب علينا ان نكون واياها في صف واحد في زمن مضى كانت فيه موجبات واسباب لذلك يجب علينا ان نغتنم فرصة هذا العهد السعودي عهد العلم والنور في الحجاز فنأخذ مكانتنا العالمية في الدنيا . وهذا ما أرادته معارفنا عندما اختصرت برنامج التعليم في مدرسة البعثات .

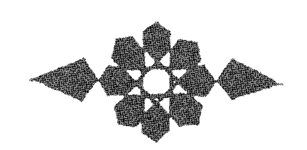
وليعلم الاستاذ اننا لم نطلب اصلا ان تكون الدراسة مخففة في فرع التخصص كما يقول بل نرى انه من الواجب على التلميذ أن يقوم بها كاملة كما يقتضيه الواجب ويحتمه النظام .

وينفي الاستاذ بالكلية في كلمته هذه ان الجامعة المصرية قبلت من الطلبة المصريين غير الحائزين على شهادة البكالوريا ونحن نورد للقارىء الكريم نص العبارة التي وردت في (كتاب الاسلام والتجديد في مصر) فيما يتعلق بالدكتور طه حسين عميد كلية الآداب « بعد أن تلقى طه حسين دروسه الاولى في مدرسة بصعيد مصر دخل الجامع الازهر وجاور فيه عدة سنوات الى ان فصل منه قبل تقدمه للامتحان النهائي لاستقلال رأيه وتقدم افكاره . ثم التحق بالجامعة المصرية وكانت قد بدأت تفتح ابوابها حينذاك الخ » ونكتفي بهذا لاننا مطالبون بعدم التطويل من ادارة الجريدة .

ولا بد لي هنا ان اناقش الاستاذ في مراهنته التي ختم بها كلمته جاعلا اياها خاتمة لكلمتي ايضا ، يقول الاستاذ انه لا يمكن للتلميذ ان يستعد لدرس فرع من فروع العلوم في سنة واحدة حتى ولو ان ذلك التلميذ يختصر التحضير فقط على العلوم الذي يحتاجها هذا الفرع الذي يريد ان يتخصص فيه هذا التلميذ ويقول انه مستعد لان يعطيه البرنامج الذي ينبغي ان يدرسه وان يجيبه على الاسئلة التي يوجهها اليه وان يحل المعضلات التي تقف عقبة في سبيله ثم يختبره بعد سنة كاملة باسئلة تضاهي اسئلة البكالوريا في هذا الفرع وحده الخ ، ونحن نرى ان هذا ممكنا اذا ضمن لنا شيئين نراهما اهم من كل ما ضمن الاستاذ بل لا حاجة معهما الى تلك الضمانات التي ذكرها وهما ـ ١ ـ المادة ـ ٢ ـ وضمان القبول في الكلية بعد النجاح .

ما هذا كنت اظن ... !

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على مقال الاستاذ رشوان في صوت الحجاز الغراء بعنوان رد على رد وفي الحقيقة اني بعد قراءة ذلك المقال لم استطع ان افهم منه كلاماً علميا صحيحاً الا انه يدل على عاطفة ثائرة في نفس كاتبه انحازت فيه عن العقل والعلم انحيازا تاما وكل مطلع يستطيع ان يفهم منه قصد الانتقام لا بيان الحقائق واذا كان قد تشفى الاستاذ بتلك الكلمات التي صورت لنا جانبا من جوانب نفسه وخيبت املنا في البحث عندما بدأنا هو بالمناقشة العامة تقول (من دق الباب لازم يكون مستعداً لسماع الجواب) فليهنأ بذلك التشفي ونحن لا حاجة لنا بعد هذا للبحث .



حـول مقـال

يذكر القراء انني وعدت في الاسبوع الفائت مناقشة الاستاذ رشوان مناقشة هادئة فيما سماه رداً على كلمتي الاولى بعنوان مدرسة تحضير البعثات وانني لا ازال مصراً على ان كلمة الاستاذ ليست رداً بالمعنى الذي افهمه ولولا عنوانها لأمكن تسميتها تعليقا لان الرد فيما نفهمه انما يكون مباينا للنقطة الاساسية في المردود عليه والاستاذ كما يرى القراء بعيد كل البعد عن النقطة الاساسية في الموضوع فانا انما كنت اتكلم حول هذا الموضوع بشعور خاص وفي دائرة محدودة جدا وموضوع البحث في كلمتي ليس هو تلاميذ مدرسة البعثات بل موضوع بحثنا كان (الشباب الناهض الذي اخذ قسطا صالحا من التعليم وفهم فهما كافيا للحياة وان لم يكن هذا التعليم متمشيا مع النظم الفعلية في عموم البلاد) وكنت اطلب ان تضاف حسنة اخرى الى جانب مدرسة البعثات وهي ارسال نفر من هؤلاء بعد التحضير المختصر الى الكليات العربية مع توصية خاصة من الحكومة بينما كان بحث الاستاذ يدور حول مدرسة البعثات وصحة نظامها وتوفيق سعادة مدير المعارف فيه ، ونحب ان يعرف الاستاذ اننا موافقون تمام الموافقة على كل ما جاء في مقاله مما يخص مدرسة البعثات . وقد نوهنا عن ذلك في نفس كلمتنا الاولى وان كان قد فات على الاستاذ هذا الامر ومن هذا يعرف بوضوح اننا لم نكن نعني بكلمتنا مدرسة البعثات ولكننا كنا نتكلم عن البعثات تحت عنون مدرسة تحضير البعثات باعتبارها الثمرة الاولى لفكرة البعثات عند معارفنا العامة .

والذي نظنه ان الاستاذ بصفته مدرساً بمدرسة البعثات عز عليه ان يتكلم انسان في موضوع البعثات تحت عنوان مدرسة تحضير البعثات وخصوصاً وهو يعتقد انه موضوع محكم لا يقبل النقض والاعتراض فأخذ القلم وشرع يكتب بهذا الشعور ، وهو شعور نقدره فيه ونغبطه عليه .

اذا علم القراء هذا يعرفون اننا انما نناقش الاستاذ على كلمته هنا في بعض نقاطها ليست باعتبارها رداً ولكن باعتبارها آراء تستحق المناقشة .

ويقول الاستاذ (ان مراجع الطب والهندسة والاقتصاديات تكاد تكون جميعها مدونة باللغتين الانكليزية والفرنسية في سوريا ومصر) ونحن نعجب كيف يقهقر الاستاذ مصر وسوريا فيصورهما لنا امتين مستعمرتين في علومهما وفي نفوس ابنائهما .

ونحن نعرف أن العلم لم ينزل على هذه الارض انكليزيا او فرنسيا ولكنه انزل مشاعا بين الامم والامة التي تشعر بكرامتها بين الامم تتعلم لغة الاجانب وتتقنها ولكنها لا ترضى اصلا ان تعترف للغتها بالعجز عن القيام بواجب الفنون والعلوم .

ولعل الاستاذ يعرف تماما ان اللغة العربية كانت في زمن ما مقدمة اللغات الحية بل كانت لغة العلوم والفنون في تلك العصور ومنها نقل الغربي كثيراً من علومه وفنونه التي يتمتع بها اليوم .

واذا كان الغربي قد جد فأكسب لغته هذه المزية العلمية في الوقت الحاضر افلا يقدّر للغته مجدها ويضرب عن دراسة اي علم من العلوم الا بها وهذا لا يمنع بالطبع ان يكون ملما بلغات الغرب اننا لا نشك ان الطالب الذي يتمركز في ذهنه ان لغته قاصرة عن اداء التعابير العلمية للعلوم والفنون المختلفة سوف لا يشعر بكرامة امته ويخرج من المدرسة وقد ضرب الاستعمار جانبا من جوانب نفسه فيعيش حربا على امته ينتقص كل شيىء فيها .

وما الذي تستطيع الامة ان تستفيده من انسان لا يحسن ان يكتب عمودا واحدا بلغتنا العربية الصحيحة بينما هو يفتخر بلغة هي حرب على امته ، ان رجالات الامم المستعمرة في تحتيم قراءة العلوم والفنون بلغات تلك الامم فقاوموا هذا الغرض بكل ما اوتوا من قوة وجهد ، فقد جاهرت مدارس حتى جعلت عموم الدروس تلقى في كلياتها بلغة البلاد الاصلية وكذلك كان في حيدر أباد وكذلك الامر في بنجاب ـ ان لم تخن الذاكرة ـ

وسوريا العربية لم ترضَ منذ تأسيسها كليتها ان تكون فيها دراسة العلوم والفنون بلغة غير لغتها ، وتشكر سوريا على ذلك فانها قد اثبتت كيانها العربي وقدمت مثالا عاليا للامة التي تحارب الاستعمار في اهم نقاطه .

والذي نراه ان مصر المستقلة سوف لا ترضى ان يبقى اي اثر للاستعمار في بلادها فتنتزع بكل جهد البقية الباقية من المحاضرات العلمية التي تلقى في مدارسها باللغات الاجنبية اما قول الاستاذ ان محمد علي باشا لم يبعث البعوث الا من متخرجي مدرسة الأنجال الثانوية فهذا حصر لا نستطيع ان نقر الاستاذ عليه لعلمنا ان مدرسة الانجال انما كانت مخصصة للامراء والنبلاء ، ثم ان مكانة مصر العلمية في ذلك الزمن لم تكن بالمعترف بها في بلاد الغرب فشهادة مصر الثانوية في ذلك الزمن لم تكن بأكثر اعتبارا في فرنسا من شهادة مدارسنا العالية مثل مدارس الفلاح والمعهد ودار العلوم الشرعية في مصر وسوريا اليوم وهذا يثبت دعوانا من ان فرنسا كانت تعطف على بعثات مصر وتقبل تلاميذها بدافع من الاعتبارات السياسية والاجتماعية الخاصة .

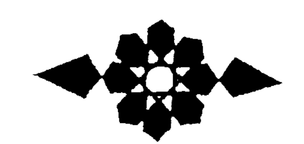
نعم كان لابد لأولئك التلاميذ من التمكن من اللغة الفرنسية لانه كان عليهم ان يعيشوا في فرنسا ويدرسوا بفرنسا وهم معذورون في ذلك فليس هناك اي بلد عربي في زمنهم ذاك يستطيع ان يأخذ بيدهم في الفنون التي يريدون ادراكها في مصر ولذلك انشئت في مصر مدرسة اللغات وما شاكلها من المدارس في ذلك العصر وذاك ظرف له سيئاته وحسناته .

اما اليوم وقد اخذت مصر مكانتها العلمية العالية وتبعتها في ذلك سوريا والعراق فلا يصح لنا اصلا ان نتمنى التعليم في الكليات الاجنبية وبلغة غير لغتنا .

واذا لم تستطع لجنة التأليف والنشر في مصر والمجمع العلمي بدمشق ان يقدما لنا الكتب اللازمة في ذلك فالامر جد عصيب .

اما قول الاستاذ انه «ليس من الامانة والحكمة ان نعد التلاميذ ليكونوا رجالات الغد الذين يقودون سفينة البلاد الى شاطىء النجاة رغم ما هنالك من نقص في معلوماتهم العامة ـ كما اشرتم» ـ فاني كنت اعني بالمعلومات العامة طالب البكالوريا بينما بعضها لا يفيده كثيرا ولا قليلا في الفن الذي يريد ان يتخصص فيه ـ وهذا في الحالة الاستثنائية التي اشرنا اليها طبعا ـ وقد ثبت فعلا انه كان من الامانة والحكمة تسليم دفة البلاد لمثل هؤلاء الناس الذين لا يحملون شهادة البكالوريا التي عنيناها .

فلم يوصل مصر الى ما هي عليه اليوم الا رجال لا يحملون شهادة البكالوريا وكانت بيدهم مقاليدها فقادوا سفينتها الى النجاة وبين رجالات الكلية المصرية الآن وعمدائها من لا يحمل شهادة البكالوريا . بين كتابها وكبرائها من هم كذلك وبين يدينا تواريخ هؤلاء العظماء التي تثبت انهم لا يحملون البكالوريا بل ان البعض تخطاها الى الشهادات العالية ولولا ضيق المقام لذكرناهم فردا فردا مع نص العبارات التاريخية التي تتعلق بحياة كل واحد منهم .
وان اراد الاستاذ ذلك فانا له لمجيبون .



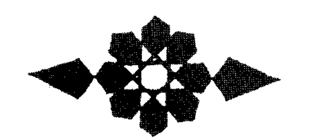
الدكتور عادل بك

ليس بعيدا عن أذهان قراء المدينة الغراء ذلك الوداع الحار الذي ودعت به المدينة النطاسي البارع الدكتور سعيد بك مدير الصحة السابق ، الامر الذي دل على مكانته في نفوسهم وحسن علاقته بهم ومحبتهم له .

ولقد اصبح قلب المدينة خائفا يترقب على هذا المركز الذي خلا بعد مغادرة ذلك الدكتور الفاضل والذي هو بالنسبة لحالة البلاد والصحية[1] اهم مركزا يرنو الى شاغله ابناء هذه البلاد وقد هدأ الروع وأمن الخوف عندما نشرت جريدة المدينة الغراء بالامس القريب خبر اسناد هذا المركز للدكتور النطاسي عادل بك محيش .

وعادل بك شخصية معروفة من المدنيين بدماثة الاخلاق وتقدير الواجب والعطف على الفقراء من ابناء هذه البلاد ، فقد اشتغل طبيباً بصحة المدينة فكان مثال النبل والتقدير من الجميع ويذكر القراء موقف سعادته الحاسم عندما اشتغل كوكيل للمدير ـ اثناء غياب المدير بالاجازة ـ حيث اصدر تعليماته بوجوب تغطية زفف المياه لتبتعد عنها الايادي القذرة وما قد تتعرض له من المكروبات وامر بوجوب معاينة عموم اصحاب الحرف واعطاء الاصحاء منهم وثيقة صحية ومنع اصحاب العاهات من مزاولة الاعمال خوفا من تسرب الامراض الى المجموع .

ونحن بهذه الكلمة الصغيرة نهنىء الدكتور بالمركز الذي هو جدير به ونرجو ان نرى ونسمع في زمن سعادته عن التقدم المطرد في موقعه الجديد وما ذلك على المجتهد بعزيز .



١ ـ الصحية : تعني الشئون الصحية كما تسمى الآن

تعليق على مقال

كان لكلمة الاديب المحترم الاستاذ السيد أمين مدني معنى قيم في تكييف الشعور السائد بين طبقات الامة الحجازية من خوف الاقدام على انشاء شركات المساهمة وهذا الشعور انما ساد ـ على ما نظن ـ على اثر انهيار شركة السيارات الاهلية على الخطأ الذهني في تفهم معنى الشركة اذ ان فهم معنى الشركة فهما تجاريا بحتاً لا يخلو من ان يكون فيه شيء من التحديد قد يخرجه تماما عن معنى المقصود الاصلي لهذه الكلمة .

فللشركة معنى اجتماعي اسمى يظهر جلياً واضحاً في العمل الاتحادي الذي يقوم به افراد الامة التي يؤسس ابناؤها هذه الشركة وفي قوة الارتباط بين الحكومة والشعب في العطف الذي توليه الحكومة على مشاريع الشركة العامة ولذلك فاننا لا نجد لشركة من اعظم شركات العالم الا ويؤلفها عنصر واحد وتحظى من رعاية الحكومة وعنايتها بما لم يحظ به اي عمل فردي مهما قصدت فيه المصلحة العامة ومهما بولغ في اظهارها وتثبيتها فيه .

ثم ان فكرة الشركة نفسها انما وضعت للامم الفقيرة التي لا يستطيع افرادها ان يقوموا بالاعمال الهامة التي تظهر فيها عظمة الامة ومقدار حضارتها والتي تحتاج رؤوس اموالها الى الملايين . ومن المعقول جداً . ان تقوم امة مهما ضعفت بطريق المساهمة والاشتراك ـ بعمل جليل قد يسطره لها التاريخ بمداد ناصع من التقدير والاعتراف ثم ما الذي يضر بشخص على فرض سقوط الشركة وانهيارها بالمرة ـ وذلك امر بعيد ـ ان تضيع له خمسة من الجنيهات مثلا في سبيل مشروع وطني كان يقدر له النجاح وهو الشخص الذي يصرف على ملاذه وشهوته اضعاف هذا المبلغ في ظرف السنة ـ ولو قام هذا الرجل وحده بالمشروع وقدر له الفشل ـ والفشل للفرد أقرب من الفشل للجماعة ـ فماذا يا ترى يكون اثر الفشل عليه؟! وهل فقدان المال كله يساوي فقدان دريهمات منه ؟!

ثم ان الفشل هل يصح ان يكون سبباً لترك السعي والعمل ان الذي قرأناه ونحن اطفال لما نبلغ الحلم بعد هو ان الفشل يجب ان يكون باعثاً قوياً للكر من جديد وقصة النملة التي يعرفها تلاميذ المدارس التحضيرية لاتزال ماثلة في كل ذهن على ان الفشل الذي اصاب شركة السيارات الاهلية الاولى هو نفسه السبب الوحيد في نجاحها مرة اخرى وكل الاعضاء أوجلهم في هذه الشركة الناجحة اليوم هم كل الاعضاء أوجلهم في شركة السيارات المساهمة بالامس .

وهذا الحذر والتوقي الموجود فينا اليوم والذي هو من اكبر اسباب النجاح هو نتيجة عملية للفشل الذي منينا به في شركة السيارات الاهلية والذي لولاه لكنا اقرب الى الفشل في اي شركة جديدة من النجاح الذي نقدره لها .

ان الحذر والتوقي يجب ان يكونا اساس العمل والهلع والخوف من الفشل يجب ان يكونا سبباً لدرس وتدقيق اسباب النجاح اما ان يكونا سبباً لتجنب العمل المشترك فهذا امر لا نوافق عليه اديبنا المحترم .

« وقيام كل فرد بواجب شركة » هذا امر لم نتعقله اذ انه لا يطلب في الشركة ان يكون كل فرد من مساهميها عاملا من عمالها بل على العكس يجب ان يكون لجميع الافراد اعمالهم الخاصة ولا يعنيهم من امر الشركة الا نجاحها المعنوي والمادي الذي اذا حصل كان لهم منه عظيم المجد وكبير الربح واذا لم يحصل لم يؤثر ذلك شيئا في عملهم الخاص وتحمل نصف او ثلث او سدس الخسارة . اضر بكثير من تحمل جزء من مائة ألف او مليون منها .

ان فكرة الشركة هي السبيل الوحيد للتدرج في سبيل التقدم والرقي ولا شك ان « الطفرة محال » ولان الطفرة محال يجب ان لا يزعجنا الفشل وان لا يكون سبباً لوضع فكرة « الشركة الزراعية ـ على الرف » تلك الفكرة التي قامت حولها هذه الضجة ووجدت من التعضيد والاقبال من عموم طبقات الشعب ما يعزي على التضحية والعمل .

اما ان نفهم ان انشاء شركة زراعية معناه « مشاركة الفلاح في مزارعه » واضعاف مورد عمله فذلك فهم يغاير تماما غرض انشاء الشركة الزراعية الاولى .

والعمل الفردي سواء كان المشتركين فيه خمسة او عشرة بعيد كل البعد عن المقصد والغاية التي تؤسس من اجلها الشركات والتي شرحنا بعض نقاطه والعمل الفردي لا تستحق الدعوة اليه هذه الضجة من القراء والكتاب بل ان الدعوة لمثل هذا العمل هي المصلحة الخاصة التي يرجوها القائمون بذلك للعمل والتي تتمثل في جميع المحال التجارية العمومية .

ان في الشركة معنى سامٍ يجب ان نتفهمه وان نسعى متضافرين في تكوينه شعورا عاما يزيده الفشل قوة ومناعة ويزيدنا الفشل حذرا وتوقيا من حصوله واغراء للقيام بالعمل من جديد ، وهل المجد الا في السعي المتواصل الحثيث .

ان فشل الشركة ـ على فرض وقوعه ـ فيه شيء للوطنية المخلصة وايقاظ للشعور العام ودرس عملي للقائمين بها وفي نجاحها ـ وهو المتوقع ـ صورة رائعة للاتحاد ومثل اعلى لسمو الفكرة الوطنية في الافراد والله الموفق وهو من وراء القصد .

يلذ لي ان يكون حديثنا هذه الايام في صحفنا الغراء حول مواضيعنا الاجتماعية والاقتصادية التي هي أهم ما يجب ان نعنى به كتابا وقراءا . والحديث في هذه النواحي من شأنه ان يوجه الرأي العام الى واجبه الاجتماعي نحو امته وبلاده وان يوري في نفوس المسئولين من رجال الاموال والاعمال جذوة الامل الخابي فيتسابقون الى توجيه الرغبة وتحقيق الامل ـ ولكن ـ رغم كل ذلك ـ ما كنت افضل ان يكون هذا الحديث في صورة نقاش مع صديق احب ان يبقى « بيت الود » بيني وبينه « عامرا » لان التجارب ـ والتجربة عند الصديق العزيز أكبر برهان ـ قد اكدت لي ان النقاش على الصحف بين كتابنا انما ينتهي بانتهاء مثل هذه الصداقة او بزعزعة مركزها على الاقل غير اني أؤمل ـ وموضع الامل كبير ـ في سماحة نفس الصديق ان يكون اثر نقاشنا ابعد مدى واوسع خطوات فنقف معا على الحقيقة التي يقولون انها بنت البحث ثم نتصافح ونقدمها الى الامة ثمرة ناضجة عنوانا للوفاء والاخلاص ويكون لي في ذلك دليل آخر على الصديق المحترم في ان التجربة في دورها الثاني ـ متى تغيرت اوضاعها ولوحظت مواضع الضعف والخلل فيها تنجح ايما نجاح وتثمر ايما ثمرة .

ونوقن ان البحث سيكون ـ الا في بعض نقاطه ـ مكررا لما سبق ان جرى الحديث فيه لان الاستاذ في كلمته هذه يصر على تكرار صدى كلمته السابقة في الموضوع والتكرار ـ كما يقول الاستاذ الانصاري ـ فيه تدعيم للفكرة وتقرير لها في الاذهان . ونحن نؤمن كما يؤمن الاستاذ (ان النتائج التي اسفرت عنها شركاتنا الخ) .

لكننا نكرر ايضا ان تلك الدروس لم تذهب سدى واننا قد استفدنا منها فوائد اجتماعية واخلاقية وادارية كثيرة .

ونجيب على الاسئلة الكثيرة التي اوردها الاستاذ بلفظة « نعم » و« نعم » بالخط العريض للكثير منها .

ومادام الاستاذ يريدنا ان ندع الخيال ونتمشى مع الحقيقة الواقعة فلنمسك القلم والدواة ـ فما نريد ان نكتب بقلم الخبير ـ ونضع الصفحة امامنا ونتحاسب بالارقام ! وليكن عنوان الصفحة هذا السؤال .

س ما هي الشركات والمشاريع العامة التي قمنا بها ! فاوجب علينا نتيجة امرها ان نتجنب سبيلها والتفكير في نهج جديد مأمون .

ج الشركة العربية للسيارات والشركة العربية السعودية للسيارات فقط وكان نتيجة هذا الفشل نجاحنا في شركة السيارات الاهلية وشركة التوفير والاقتصاد والشركة العربية للطبع والنشر وخصصنا من ربح هذه الشركات قسطا للمشاريع الخيرية .

ان الاستاذ يعلل حبوط مساعينا بعدم صلاحنا الشخصي لذلك وهذا ينتج السؤال الثاني في صفحة الحساب .

س : هل الانانية وبقية العلل الاخرى التي ذكرها الاستاذ تتمثل فينا حال قيامنا بالشركات العمومية وتسلب منا حال قيامنا بالشركات الخصوصية ؟! ثم ما هي الشركات الخصوصية هل معناها غير تساهم عدد معقول من الناس للقيام بمشروع عام .

ج : اننا لم نتعصب لرأي ولم نتحدث مفصلا عن موضوع الشركة الزراعية التي نود تأسيسها ولكننا مقتنعون ان الفشل « لا يسمع » ولكنه يتحقق بعد الوقوع واسباب الفشل التي ذكرها الاستاذ في الشركات العمومية واضحة جلية في ما يدعو اليها من الشركات الخصوصية وقد تحقق هذا الفشل فيما قام به بعض الاخوان مشتركين في زراعة الحب في العام الماضي .

ليت وهل تنفع شيئا ليت ؟! ليت الاستاذ يقتنع باننا صالحون للقيام بالشركات العمومية فنرى كيف يفجر لنا الاستاذ الانهار ويجري لنا العيون ويزرع لنا يمننا وحجازنا ونجدنا واحساءنا بمليون واحد من الجنيهات ونعرف قيمة هذا التقدير العملي الغير الخيالي الذي يقدره الاستاذ « فنربح المثل فنضرب بين هاتيك الاقطار المترامية الاطراف فيتضاعف الربح فنبني لنا اسطولا تجاريا نُصدِّر عليه الكميات الهائلة التي تزيد عن حاجتنا !!!

نحن لا نعارض في ان تقوم شركات متعددة تخصص كل واحدة منها بناحية من نواحي العمل المنتج فهذا ما نريده وما ندعو اليه للقيام « جماعة » للعمل المتضافر بالمساهمة معناه في فهمنا « الشركة » .

اما ان يحدد الاستاذ عمل الشركة الزراعية التي ندعو اليها بقوله « ان الشركة التي تؤسس الخ » فهو عمل لا نريد ان يكون هو العمل الخاص للشركة الزراعية التي ندعو اليها ونحن لا نريد بالشركة الزراعية ان نشارك الفلاح بل نريد ان نساعده بعموم انواع المساعدة ونريد ان نراقبه وندله على الطرق الصحيحة المنتجة على قدر الامكان ونريد ان نساعده في كل ما يعجز عنه .

ونكرر للاستاذ تعليقا على هذه الفقرة « فالجهود التي تبذل لدرء خسارة لا تؤثر وللحصول على ربح بهيج ليست هي الجهود التي تبذل لفائدة لا تذكر ولخسارة لا تهم » . انه ليس مطلوبا من عموم الشركاء ان يكونوا عمالاً في الشركة انما ببذل الجهود في اعمال الشركة اولئك الاخصائيون الذين تستخدمهم الشركة والذين يكتسبون مادة حياتهم من هذا الاستخدام .

والشركة هي التي تستطيع ان تشغل اكبر عدد ممكن من الايادي العاطلة والشركة هي التي تجعل الدريهمات القليلة كثيرة وصالحة للاستعمال . والعمل السريع لايتنافى مع الشركات العمومية ويمشي مع الشركات الخصوصية ــ على حد تعبيرك ــ بل هو عائد لذكاء القائمين به وكفاءتهم في احكام خططه وتسيير دفته .

اما تشغيل عموم الشركاء الشاغرين فانه ينافي المبدأ الذي قرره الاستاذ في صدر مقاله من ضرورة عدم مشاركة الفلاح ومزاحمته .

معقول جدا « ان المشاريع ودراستها شيء والنقد الادبي ودراسة الادب شيء آخر فهذا مجرد قول وذوق وخيال وذلك خبرة وتجارب وحقائق . فعلى الناقد الاجتماعي ان يتغلغل في صميم البيئة ويسير غورها » فاذا فات ذلك فيما مضى يجب ان لا يفوت في المستقبل .

نعود فنقول ان اغراض الشركة التي نرجو ان تؤسس لم توضع على بساط البحث وهي قمينة اذا صح عزم التأسيس ان تدرس دراسة وافية وان نحدد اغراضها ومراميها . اما « مؤازرة الفلاح ومساعدته وتمهيد السبيل له ليزرع » فأمر جوهري في الموضوع .

نحن حتى الآن لم نبد رأينا في خصوص الشركة حتى نتعصب له ولكننا عرضنا الحوادث عرضا واخذنا صورها من الحياة الواقعية اما قصة النملة التي اقررها لتلاميذي الصغار الذين اصبحوا الآن زملاء محترمين ــ اعني لي ــ فان مغزاها هو المعنى الذي سقناه له في سياق حديثنا السابق ــ وهو ان الفشل يجب ان لا يكون سببا لليأس وكثير من علماء الاجتماع يقرر ان الامم انما اخذت الكثير من نظمها من نظم هذه الحشرات والله سبحانه وتعالى قد ضرب للعالم اجمع لا لامة واحدة ــ مثلا بالبعوضة .

والاستدلال في الموضوع بما ورد (لا يلدغ المؤمن الخ) فيه تسامح لا يخفى على الاستاذ اذ ان هذا انما يقال للرجل يعمل العمل الذي اوذي فيه مرة اخرى مع وجود الملابسات والاسباب نفسها في العمل الاول ونحن ندعو الى تغيير الاسباب وتسديدها في التجربة الثانية .

وبعد فهل استطعنا ان نقنع الاستاذ وان نشرح الموضوع بطريقة سهلة واضحة ام لا يزال للبحث بقية : ؟!

تعليق على مقال
فكرة شركة المساهمة يجب ان لا تعرض للفشل من جديد

طالعتنا جريدة صوت الحجاز الغراء في عددها الصادر في يوم الاحد الموافق ١٠ شوال سنة ١٣٥٩ بالكلمة التي يظهر انها خاتمة للموضوع الذي تعرض له حضرة الاستاذ امين مدني بعنوان فكرة شركة المساهمة الخ ، ونحن ـ لولا شيء لا نريد ان نقوله ـ احتراما للعاطفة التي اوحت اليه ان يقول عنا في نفس المقال « انه صديق عزيز علينا » لما وجدنا للتعليق على هذه الكلمة رغبة في النفس ، ذلك لانها خارجة تماماً من موضوع المناقشة السابقة : ولولا هذا العنوان الذي لم يشأ ان يغيره حضرة الاديب ، اذ ان حضرته كان في كلماته السابقة يعارض فكرة القيام بشركة مساهمة جديدة ويدلل على صحة رأيه . اما في كلمته اليوم فهو يخرج عن الموضوع الى بحث علل الزراعة تحت هذا العنوان .

يظهر اني قصرت في تفهيم الاستاذ ان السؤال أو الاسئلة على الاصح في تعليقي الثاني كانت موجهة الى الاستاذ في الجانب السلبي منها واني اريد ان لا ادع في ذلك مجالا للشك الآن فاعيد تكرار الاسئلة عليه اذا كان غير موافق على ما نعرفه وكتبناه من الاجوبة عليها .

اما اذا كان موافقا على اجوبتنا باعتبارنا متبرعين بها فان جوابنا كان صريحا بان هناك مشاريع قمنا بها وكان نصيب بعضها الفشل ونصيب بعضها الاضمحلال ولكنها وهي لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ليست قمينة بان تكون سببا لان تلوي وجوهنا عن القيام بمشاريع اقتصادية بطريق المساهمة من جديد بل بالعكس هذا الفشل والاضمحلال يجب ان يكونا درساً قاسياً للتوقي من النتيجة الاولى والحذر من الاسباب التي أدت اليها في المشاريع الجديدة .

اما كلمتنا التي استند عليها الاستاذ في مقاله ووضع لها التحديدات الزمنية ليبرهن كيف استطاع ان يثبت ذهولنا ـ وهو ذهول يفتخر به الفلاسفة والادباء في دراسة هذه الاسباب التي صرحنا ونصرح بضرورة دراستها درسا وافيا وتجنبها بحذر ولباقة فيما ستقوم به الاعمال وليست ذهولا ـ مع الاسف ـ غير ان تفسير الاستاذ لها كان تفسيرا غير موفق .

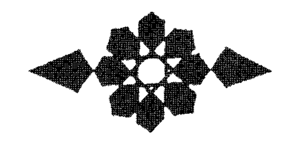
نحن اذا قلنا بضرورة تهويل العيوب فذلك ليس معناه قط ان نصل الى درجة عدم القيام بالمشاريع اذ ان ذلك اغراق (والمدح مثل الذم في الاغراق) .

ولقد فهمنا من استشهاد الاستاذ بقولنا « ان الواجب يقضي علينا ان نفتح عيوننا ونرى عيوبنا ونهول من امرها حتى نهول في نفس كل مرتكب الخ » ان الاستاذ كان يقصد في شدة الغارة على فكرة القيام بشركة المساهمة الزراعية تهويل الامر وتحذير القائمين به اجابة لرغبتنا وليس ذلك عن عقيدة بعدم صلاح الموضوع فنشكر للاستاذ قيامه بهذا الواجب .

يقول الاستاذ اننا كنا على رأيه في تعليقنا الاول ولم نخالفه في تعليقنا الثاني والصحيح اننا على طرفي نقيض في النقطة الاساسية ولعل التقصير عائد الينا في عدم امكاننا تفهيم الاستاذ ذلك ونورد هنا بصريح العبارة اننا نقول بإمكان القيام بشركة مساهمة جديدة يلاحظ فيها اسباب التقهقر والضعف فيما قمنا به من المشاريع سابقاً ، والاديب صاحب (فكرة شركة المساهمة يجب ان لا تتعرض للفشل من جديد) قول بوجوب عدم القيام بمشروع مساهمة من جديد ، فهل في هذا توافق ؟ نسأل القراء !

اما قول الاستاذ باني وعدت بملاحظة نصائحه في الشركة التي دعوت اليها وما ازال ادعو لها فاني اخبر الاستاذ بمزيد الاسف اني واياه في ايجاد الشركة والقيام باعمالها متساويان وكلانا « في الهوى سوى ــ اعني بياع نصايح وبس » والذين عندهم « الديباجة » شكواهم على الله .

وكلمة اخرى اريد ان اقولها وهي ان الاستاذ ذكر في مقالاته لفظ شبه المصرف ولم نفهم حتى الآن ماذا يريد الاستاذ بهذه اللفظة فان الذي نعرفه ــ ان كان المراد بلفظ المصرف هو البنك ــ انه ليس هناك شيئا سوى المصرف الزراعي ــ ويقابله لا مصرف زراعي ولعل الاستاذ استعمل لفظ شبه المصرف ليجذب اليه المصرف لأن شبيه الشيء منجذب اليه ــ كما يقولون ــ او عسى ان تصح الحيلة !!!
وقبل ان اختم هذه المناقشة اللطيفة اريد ان احيي الصديق العزيز الاستاذ امين مدني وأقدر اخلاصه لامته وبلاده وفقنا الله جميعا لما فيه صالح امتنا وبلادنا .



صديقي الفيلسوف

قلما يخلو اسبوع من اسابيع امسياتنا التي كنا نقضيها على قمة من قمم سلع تارة وعلى هضبة من هضبات دشم تارة اخرى من بحث وحوار يصل احيانا الى طور الجدل وكان يحلو لبعض الاخوان ان يزيد في اثارته ليرى الفيلسوف وقد خرج من هدوئه فتبعثرت شعرات لحيته وخرجت البصقات من بين شفتيه ويبدأ يسهب في البحث بوجه عبوس وجبين مقطب ، وكان بحث هذه الامسية يدور حول الحلال والروابط الاجتماعية للامة الاسلامية واهمال ما يدعو اليه دين الاسلام من تعزيزها واحكام روابطها حرصا على عزة الاسلام وتقوية اواصر الاخاء والمودة بين أبنائه ـ وتناقش الرفاق في ذلك فمنهم من رد اسباب الانحلال الى الجهل العام ومنهم من عزا ذلك الى الفقر وتنقلوا من سبب الى سبب والفيلسوف يسمع ولا يتكلم حتى وجه اليه السؤال احد أفراد الشلة ، وقطع الطريق صديق آخر قائلا « سأتولى الاجابة عن الفيلسوف لان الموضوع واضح لا يتحمل الفسلفة الجهل يا أصدقائي هو السبب الوحيد لما نحن فيه من انحلال وتدهور اضف الى ذلك ابتعادنا عن تعاليم الدين وتركنا التمسك به « وعرفنا من لمحات الفيلسوف المعبرة ان هذا الفضول من صاحبنا لم يعجبه » وتكلم متحمساً دون ان يعير اهتماما لما قاله الصديق « يبدو لي ان تدابير محكمة وعقول كبيرة قد نظمت محاربة سلبية للامم الاسلامية في عقر دارها فان متصفح التاريخ يلمس بكل وضوح عوامل الفساد والانحلال في مستقبل هذه الامة منذ عصر الاسلام الذهبي عصر الخلفاء الراشدين ، فما من حركة اصلاحية تقوم الا وتقابلها حركات هدامة تجعل من حركة الاصلاح نفسها حركة هدم وتدمير . اجل لقد تطاولت هذه الايدي الاثيمة حتى على تعاليم الاسلام فدست بين احاديث الرسول ﷺ احاديث هدامة استدرجت بها العامة واضطرت الخاصة للمجاملة الكاذبة فيها وفسرت الآيات والاحاديث الصحيحة تفاسير تضليل وافساد ، انك لا تكاد تستخلص مسألة من مسائل الفقه مثلا الا وجدت فيها الاقوال والتفاسير والاختلافات وليس هذا فيما يتعلق بالعقائد فقط بل لقد تعددت الخلافات حتى في تعريب جملة او تصريف فعل لقد بذلت جهود عنيفة لينصرف علماؤنا عن اللباب الى القشور فملأنا الدنيا كتبا وملئوها اختراعات وصناعات وبذلت جهود عنيفة لنبتعد عن الغاية والهدف ولنصبح أمة لا هدف لها ولا غاية اثبتوا في نفوسنا حب المادة فاصبحنا نؤمن انها قيمة المرء منا فبقدر اكتنازها يكون اعتبارنا بين الناس فعضضنا عليها بالنواجذ واستسهلنا هدم كل مبدأ في سبيل تحصيلها ، وسكت برهة يستجمع أفكاره ودار ببصره نحو الافق واسترسل قائلا « ان هذه الاساليب قد أرتقت برقي العصر واخذت مظاهر ثابتة مغرية في شكل مدارس تبث العلم ومستشفيات تبرىء السقم ومكاتب استعلامات ووزارات استعمار ! لقد تحملت الامم الاسلامية كثيرا من هذه الحروب الباردة ـ ولئن كانت الغفلة فيما مضى قد مهدت لاعدائها الكثير من القصبات فان اليقظة التي سادت

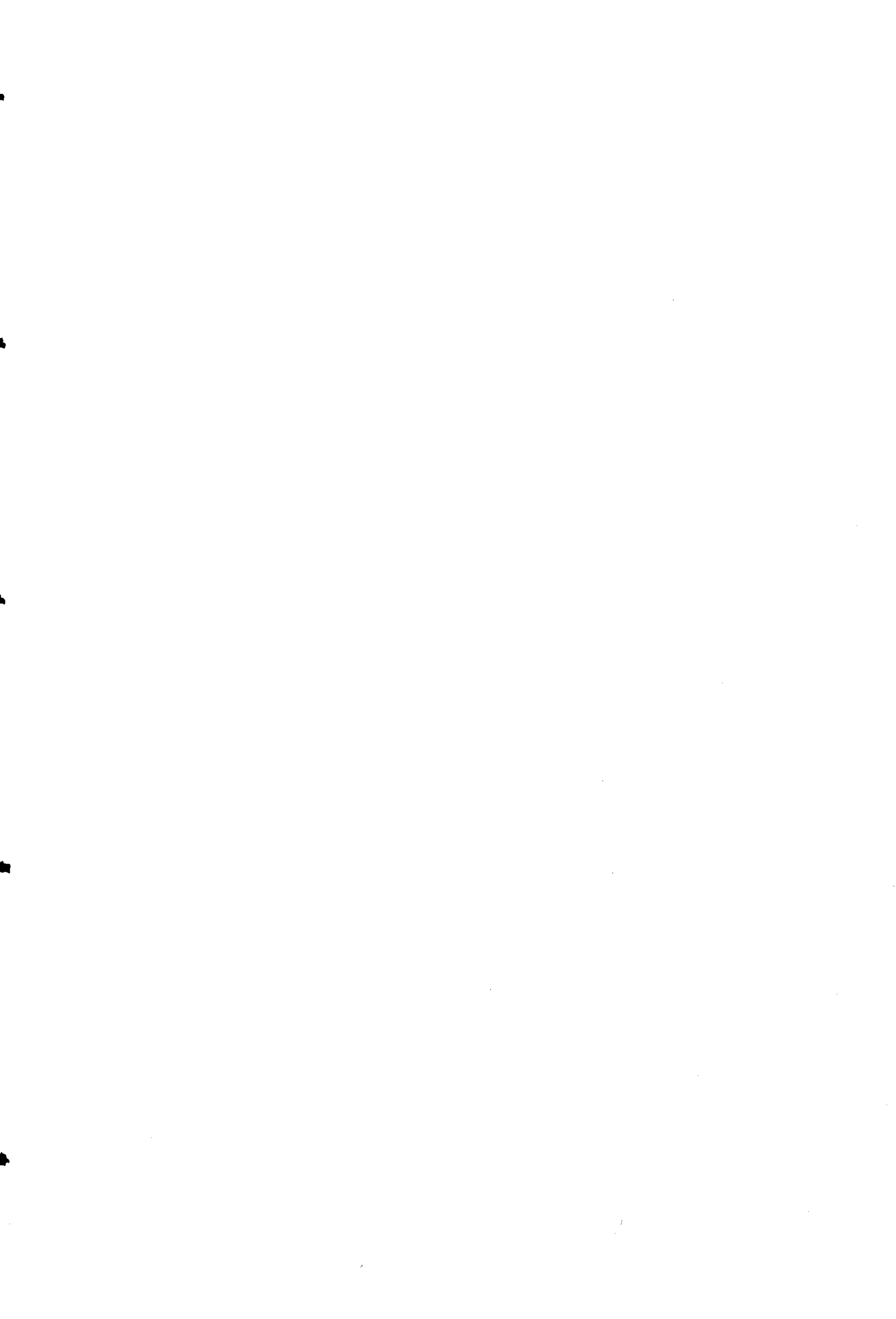
الشرق اليوم قد جعلتنا نعد العدة نحو هذه الآثار فلا مدارس ولا مستشفيات ولا دور حضانة ـ غير اسلامية في المستقبل القريب ان شاء الله ـ فهبوا ايها الرفاق للعمل فالوقت قد حان .

كنت ادعوه بالفيلسوف او على الاصح كانت الشلة تدعوه بهذا الاسم ولا ادري من منا الذي اختاره له ولماذا ؟ ولعل النفشة التي كان يتصنعها في حركاته وسكناته في قيامه وكلامه في سيره وجلوسه كانت السبب في هذه التسمية فقد كان ينفخ بقه ويمط شفتيه عندما يتحدث حتى في التافه من الشؤون وكان المقطع الذي يرتكز عليه بعد كل جملة حرفي الباء والهاء ينطق الباء مفخمة كأنها حرف الانجليزي (به به) ويرفع يديه مشيراً ـ الموضوع الفلاني بأنه موضوع عظيم ـ وعليك بعد ذلك ان تسمع محاضرة متسلسلة لا تنقطع اما الجبة والعمامة البيضاء فلم تكونا لتفارقانه لانه كما يبدو كأنه يعتبرهما رمز الشرق وعنوان كماله ـ واذا كانت الفلسفة هي النطق بالحكمة . والنظرة العميقة في شؤون الحياة وتحليل النظريات تحليلا منطقيا وتتبع حركات الناس وسكناتهم واستنتاج الحقائق من ذلك فان صديقنا الفيلسوف كان حاد النظر دقيق الدرس نافذ البصيرة هائما بالبحث والاستنتاج تعنيه شؤون الشرق لكل مشكلة من مشاكله عنده درس وتحليل واستنتاج وحكم ولكل زعيم من رجالاته تقدير وتعريف ومكان ـ غير اننا كثيرا ما نتلقى هذه الاحكام والاستنتاجات بهزة كتف وابتسامة فاترة لان بعض افراد الشلة كان يبدي ان هذه الفلسفة كثيراً ما تخرج عن حدها فلا نطيق احتمال احكامها ولا نستسيغ النظريات التي بنيت عليها فقد حدث مرة ان خرجنا للتمشية فمررنا على محطة السكة الحديدية وانتهينا من جولتنا فيها الى الحديث عن فخامة البناء وعظمته ودقة الهندسة وبراعة التخطيط ولم نكد ننتهي من البحث حتى بدأ الفيلسوف قائلا اهذا كل ما لاحظتموه ـ عجيب امركم ياشباب هذا العصر ألم تلاحظوا تلك الالوان التي صبغت بها ابواب ونوافذ المحطة انها الالوان التي يتكون منها علم امة مستعمرة كبيرة ـ انهم يسعون جهدهم لتأليف المناظر الاوربية فلا تشعر بغرابة اذا امتدت يد الاستعمار تلعب في بلادنا وقد فهم العالم كله اساليب الاستعمار فلا تقبله امة ولا يستسيغه شعب .. فتغامز الرفقاء وهززنا رؤوسنا ضاحكين .

ولا ادري أكانت هذه سفسطة بلغت حد الثرثرة من صديقنا الفيلسوف فاستحقت التغامز والتضاحك ام هي فلسفة عميقة لم تصل عقولنا بعد لادراكها .

ولصديقنا الفيلسوف آراء ونظريات من هذا النوع لا تخلو طرافة وفائدة واعتقد ان في تقديمها لقراء جريدة المدينة الغراء طرافة وفائدة ، وارجو ان يساعدني ظرف العمل فاقدم ما حوته الذاكرة من ذلك تباعا .

الفصل الخامس



حيـوا معي هذا الرجـل

حيوا معي كل رجل يغالب الفشل ثم يغالبه ثم يغالبه فيقهره ليصل الى قمة النجاح .

حيوا معي كل رجل وضع القرش على القرش ولم يأنف ان يعمل كل عمل شريف ليصل الى جيبه قرش شريف .

حيوا معي رجلا كسب من كفاحه مالا ـ ملايينا ـ ثم لم يملكه المال وملك هو المال .

انك لا تلام وانت تبدأ كفاحك ان تضع القرش على القرش وان تصرف بحساب دقيق لتوفر مما كسبت ثم ان تمر على هذا المتوفر كلما مرت الايام والشهور لتعرف مقدار ما ربحت لتتوسع به في كفاحك وعملك ثم توالي العمل حتى يبتسم لك الحظ وتدر عليك النعم ويصبح موردك اضعاف اضعاف ما تصرف على رفاهيتك ورفاهية اولادك .

انت قد بلغت قمة النجاح وبعد ان كنت طالبا اصبحت مطلوبا .

هذا الوطن الذي انشأك ورباك ودر عليك الربح الوفير محتاج . أتدري أي شيء محتاج ؟ محتاج إلى العلماء والعلماء إذا تفرغوا للعلم لا يستطيعون ان يدركوا ويتحصلوا القدر الكبير من العلم الذي يخدم مصالح الوطن العليا اذا شغلوا عنه في سبيل العيش . محتاج إلى العناية الصحية فهناك قسم كبير من المرضى والارامل والايتام وهناك تلاميذ اذكياء محتاجون الى الغذاء .

وهناك تلاميذ يسمونهم بطيئي الفهم يحتاجون الى تقوية معنوية بأساتذة مختصين ثقافيين ونفسانيين يساعدونهم على هذا النقص .

كل هذه واجبات الوطن تدعوك لتشارك فيها . قد تقول ان هذه واجبات والتزامات قامت بها الحكومة خير قيام . وانا اقول ان قيام الحكومة بواجبها خير قيام سوف لا يعفيك . انت مطالب ومطالب بالحاح . قف على قمة نجاحك واستشرف حاجات وطنك واد واجباته عليك فانت مطالب بالحاح والا فبئس المواطن تكون .

لقد وقف محمد ابوبكر باخشب على قمة نجاحه وعرف حاجة بلاده ودفع مليونا من الريالات ـ أكرر مليونا من الريالات لجامعة الملك عبدالعزيز الاهلية جامعة المواطن الصالح والابن البار وقد سمعته يقول سأدفع المزيد وانا وراء هذا المشروع حتى يتم ويحقق الله امنيتي فيه .

حيوا معي هذا الرجل . حيوا معي محمد ابوبكر باخشب باشا ـ وكان باشا ـ باشا في العمل الوطني الرائع الذي يسعى لتحقيقه .

فمن لي بمثل ابي بكر ؟! من لي بمثله ؟ اصيح من اعماقي يا مواطني الاعزاء ، افعلوا ما فعل محمد ابوبكر باخشب باشا وافتحوا حقلا جديداً من مشاريع الوطن ، طبعا غير حقل ابي بكر

مؤتمر أدباء وشعراء المملكة

كنت اتوقع أن يلقى مؤتمر الشعراء الذي انعقد في وزارة الاعلام بدعوة من معالي وزير الاعلام اكثر من صدى وان يعالج باكثر من قلم . فهذا المؤتمر يعد حدثا تاريخيا بالنسبة لهذا البلد فلم يسبق ان اجتمع شعراء هذه المملكة من الشرق والغرب والشمال والجنوب وجها لوجه وفي مكان واحد وفي ندوة تعد من امتع الندوات وأكثرها جمالا .

قال معالي وزير الاعلام وهو يفتتح الندوة ما معناه : ان الاذاعة تحس ان التجاوب بينها وبين ادباء وشعراء البلاد لم يكن متكاملا وان المسؤلين في الاذاعة حاولوا ويحاولون أن يكونوا على اتصال دائم بأدباء وشعراء المملكة وان يكون التجاوب الروحي بينهما ذا صلة قوية ومتينة .

اني اشعر ان على الاذاعة أن تكون ذات صبغة وطنية اصيلة وكم وددت أن كل ما يقال وينشر فيها يكون من انتاج ابنائها لتكون صورة صحيحة للبلاد العربية السعودية .

اني لأشعر بالمرارة حين اجد ان انتاج الاذاعة لا يمثل مائة في المائة الادب السعودي .

لقد قال معالي وزير الاعلام كلاماً كثيراً كان يتكلم بحماس ويدعو برجاء . ولقد كان صدق الانفعال في حديث معاليه قوياً مؤثراً فلم يملك كل شاعر واديب في الندوة الا أن يستجيب للنداء الوطني الحار وللامنية الكبيرة التي يتمناها كل مواطن وهي ان تكون الاذاعة السعودية عربية أصيلة في كل ما تقدم من الانتاج .

ان الانفعال الذي دارت به المناقشة في المؤتمر كان قوياً جياشاً وتوهمت ان يكون قوياً جياشاً في الصحف من جميع الحاضرين ..

ما زلت انتظر ان تتناول الاقلام .. اقلام الشعراء والادباء الذين حضروا هذه الندوة جميع البحوث التي اثيرت ودار فيها النقاش فهي جديرة بأن تمحص ويخرج منها الرأي الحصيف ويعمل به .

ووددت لو عرفنا اولا بأول من اذاعتنا الاستجابة العاجلة التي وعد بها شعراؤنا معالي وزير الاعلام .

العمل يبلغ الأمل

تنعش نفوسنا هذه الايام آمال كبيرة واسعة والجهود التي نبذلها حكومة وشعبا لتحقيق هذه الامال جهود صادقة وصادرة عن رغبة ملحة .

والنهضة الشاملة التي تعم بلادنا الواسعة الارجاء تشمل مرافقها كلها ..

غير ان هذا كله لا يعني ان نتعجل اقتطاف الثمار فقد عانينا وعانت ميزانيتنا الشيء الكثير من اعمال الارتجال ، فالارتجال مهما عمت فائدته الوقتية فان مداه قصير وقدرته على تبديد الاموال سريعة .

ولا بد من الاستفادة من التجارب وقد علمتنا التجارب ان نزن الخطى وان نتحسس موضع القدم قبل تثبيتها وان نقيس قبل الغطيس وان ندرك ان البذرة لا تثمر الا اذا وضعت في ارض حرثت وسمدت بعناية ثم انك ولا بد ان تصبر عليها وبقدر ضخامة الثمرة يكون الصبر. الصبر مع العزم والاصرار على مواصلة الجهد وتدعيم السياج الواقي من الاضرار التي يسببها اختلاف المناخ او مرض مباغت او قضاء لم يكن بالحسبان وليست مشاريعنا في كل حقل وفي كل وزارة الا بذوراً نبذرها ونرتجي ثمارها. ونحن مدعوون للعمل باستمرار وبصبر وثبات وبايمان واخلاص. والله لا يضيع اجر من احسن عملا.

المنبر العام

ان كل انسان مهما تحرى وتحايل وتباعد عن الناس فانه معرض لظلم الناس فقد قرر هذه الحقيقة الشاعر العربي حين قال:

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعله لا يظلم

فأنت ما دمت تعيش مع الناس فلا بد أن تتعرض لظلمهم وجحودهم ويزيد ظلم الناس وجحودهم كلما ابتعدوا عن المثل العليا وتغلغلت المادية في نفوسهم فابعدتهم عن الله، وعصرنا هذا قد غمر الناس بتيار المادة الجارف فاضلهم واعمى ابصارهم.

وقد تعودت او على الاصح عودت نفسي ان اتجنب طريق الظالمين وكثيراً ما يكلفني ذلك تضحية مادية ومعنوية فالتضحية لازمة من لوازم تجنب ظلم الناس للناس وليس اختياري لهذا الطريق لمزية في نفسي اتفاخر بها ولكن لاعتقادي انه الطريق الأسلم.

وفي هذه الحادثة التي جر اليها هذا البحث كانت التضحية ثقيلة وقاسية على النفس فلم احتملها وقدمت اشكو وحول سعادة القائمقام عريضتي الى مدير الشرطة واخذت العريضة في يدي وكنت في صحبة الصديق الاستاذ محمود عارف فقد حملته شهامته الى مساعدتي والاستاذ محمود ان كنت لا تعرفه يتحلى بصفات انسانية ترتقي الى التضحية والبذل ولا يطيق ان يرى هضماً او ظلماً الا وتدخل ليساهم في رفعه وحل مشكلته وكثيراً ما رأيته يتدخل عندما يرى شجاراً عارضاً او نعتاً بين اشخاص لا يعرفهم ويتدخل حتى اذا عرف ناحية الظلم تحمس وارتفع صوته حتى تظن انه يدافع عن أخ أو صديق.

وانما صحبني في جولتي هذه بدافع هذه الطبيعة الانسانية لعله يستطيع ان يساعدني، وهو استاذ جيل من ابناء جدة فلا يدخل ادارة من ادارات جدة الا وله فيها تلميذ او صاحب او صديق.

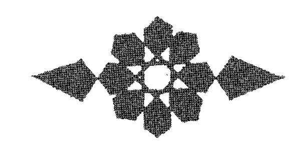
ودخلنا الى مدير شرطة جدة وكانت مفاجأة بالنسبة لي فمعرفتي بالسيد حسن شيبة معرفة قديمة حينما كان يعمل في المنطقة الشرقية . حييته وقلت له الحمدلله على السلامة اهنئك وارجو من الله لك التوفيق وتنفس الرجل وقال ان المهمة شاقة وليست مشقتها في اداء الواجب فالواجب حدوده معروفة ولكن مشقتها ان تجد الموظف الذي لا يكهربه المنصب فينسى ان الحكومة انما منحته شرف الجلوس على هذا الكرسي ليكون خادماً امينا للشعب .. إني اعتقد ان الموظف لا يستطيع ان يؤدي واجبه إذا لم يعترف في قرارة نفسه وبعقيدة صادقة انه خادم للشعب . هذه هي عقيدتي وبهذه العقيدة نجحت . انني لا استطيع حمل العبء اذا لم اجد من يعاونني على حمله على هذا المبدأ وبهذه العقيدة كان يتحدث وفي صوته نبرات

كان يتحدث وفي صوته نبرات الاخلاص في عينه علامات الحسرة والالم ـ ثم استطرد يقول ان كثيراً من الموظفين يظنون ان من تولى السلطة منهم قد تولى السلطان وهذا هو سبب البلاء .

فتحت عيني انظر اليه مشدوها ووددت لو حملته على عنقي وهو يتحدث ادور به على جميع الاقسام ليسمعوا في كلماته تجارب رجل خدم حكومته اكثر من ربع قرن وخدم امته وبلاده بعقيدة جعلته قرة عين الشعب والحكومة .

وخرجت من عنده لالتقي بمفوض المنطقة الثالثة وودت لو استطعت ان انقل اليه كلمات المدير واني لي ان افعل وأنا امام رجل لا يراني اهلا لأن اتحدث عن العدالة في مجلسه الكبير لقد اطعتك ايها السيد فلم اتكلم عن العدالة في مجلسك الكبير .

ودعني اتطفل عليها على صفحات هذه الجريدة . ان العدالة يا سيدي الكبير تتمثل في اداء الموظف واجبه كخادم امين للشعب فيحترم من اوقفته العدالة بين يديه ليسمع بقلب واع ويستوعب ما يقال ـ والعدالة يا سيدي في تركيز وتضييق نطاق القضايا ليصل المحق الى حقه من اقرب طريق . فتوسيع المجال والمساعدة على ايجاد المنافذ سبيل الى ضياع الحقوق وتشجيع لاصحاب المزاج في العكننة والتملص من الحق . الست معي ايها القارىء الكريم ؟



شـــيء في صـدري

في نفسي ان اتحدث الى القراء حديثا لا تكلف فيه ولا مجاملة اريد ان (اتبحبح ..) لا اريد ان أتطير بحدود صرفية او نحوية او لغوية ، فالحديث (المبحبح) قد يشجعني على الاستمرار في الكتابة فنفسي واقول لكم الحق (انصدت) من الكتابة ولو علمت اني عندما مسكت القلم لاكتب لجريدة المدينة اليومية لاول مرة مشجعاً ومشاركاً سأتعرض لغضب بعض الاخوان ودلع بعض المحبين ولوم بعض الناقمين وعداوة بعض المغفلين لما مسكت القلم ولو مسكته لما تطرقت لمناقشة المواضيع العامة وكان في البحوث الادبية مجالا واسعاً ، ومن يدري فلعل هذا الحديث نفسه قد يغضب بعض القراء ، ورضاء الناس غاية لا تدرك هذه مقدمة كان لا بد منها لابداء الحديث .

ايام زمان اعني الايام الاولى لصدور جريدة المدينة كان الكتَّاب محدودين جداً وكان القراء يقرؤن الجريدة ليقال عنهم انهم قراء وليس من المستغرب في تلك الايام ان تجد قارئاً يقرأ الجريدة مقلوبة العناوين بل لقد حدث مرة ان كتبت كلمة لم تسعها الصفحة الاولى في الجريدة فنقلت الجريدة الباقية في الصفحة الرابعة وكانت لا تزيد على أربعة اسطر في عمود واحد ، وقابلت صديقاً كان يعمل محاسباً في احدى الدوائر ـ وبعد التحية والسلام قال ـ شفت اربعة اسطر ونص في الجريدة وتحتها امضاءك ما عرفت ايش تقصد منها ، هل بلغ بكم هوس الكتابة في الجرائد ايها الشبان الى حد ان تكتبوا كلاما لا معنى له فقط لتروا امضاءاتكم في الجرائد ؟! وأجبته يا سيدي أنا أرسلت مقالة كبيرة للجريدة ولكن انت عارف أهل الجريدة ما ينشروا الا الشيء الذي يريدون به تكملة الوصلة الناقصة في الجريدة !!

هذه الحادثة وقعت لي وصاحبها قد توفي رحمة الله عليه . اما الذين يفهمون فكانوا اقلية صغيرة جداً وهم الشلة الذين كانوا يسمون بالادباء هم الذين يكتبون وهم الذين يفهمون ما يكتبون .. اما الذين لا يفهمون ما يكتب فكانت اكثرية القراء وما اكثر ما كان يتعرض الكاتب للنقد اللاذع النقد الذي يعرضه لمتاعب ومشاكل كثيرة منها ان يقابل بالازدراء والتحقير ممن كانوا يعتبرون انفسهم أهل الحل والعقد . وربما قادك الى السجن حرف من حروف العطف فإذا استعملت حرف الواو في بعض الجمل ثاروا عليك ووصفوك بالانحراف فهم يوجبون ان تستعمل ثم ، ولو قلت تدافع عن نفسك ان حرف العطف الواو لا يستلزم الترتيب قالوا لك اسكت يا ... وكان عليك ان تتحمل المسئولية كاملة ..

واليوم يبدو لي ان المفهومية ؟ قد انعكست تماماً فأكثرية القراء ـ واستطيع ان اسميهم الجمهور ـ اصبحوا يفهمون كلما تكتب وكلما تقصد وانك لتجد من بينهم من يشد على يدك مشجعاً شاكراً لانك عبرت عن خلجة من خلجات نفسه واثرت موضوعاً كان يريد ان

يكون موضع نقاش عام بل انك لتجد من بينهم من يستعمل دالة وطنيته عليك فيقول لك آمرا .. من الواجب عليك يا استاذ ان تطرق الموضوع الفلاني فهو موضوع يشكو منه الشعب ولا بد من توجيه نظر المسئولين اليه ، أما الجماعة الذين كنا نسميهم أيام زمان بالادباء وأصبح يقال عنهم المثقفون او قادة الرأي فمشكلتنا اليوم جاءت منهم ـ اي والله منهم ـ كيف ؟ ما ادري ؟ ولا تزعلوا علي انتم ايضاً واسمعوا مني فالكلام مداولة كما يقولون ـ وان كنت غلطان قولوا لي انت غلطان ؟ وبلاش زعل فإذا زعلتم انتم عليّ تبقى مصيبة واكون ما استطعت ان ارضى البائع ولا المشتري او يتحقق ايضاً لدي عندئذ ان مفهوميتي هي التعبانة واعدكم اني سأعتزل واترك الميدان للفرسان .

وقد بينت لكم كيف اصبح الجمهور يقابل ما يكتب وما يعالج من اموره على منبر الصحافة وانه والله شعور عظيم يقابله الكاتب بكل فخر واعتزاز ولا يبالي بعدئذ ان يضحي في سبيل هذا الجمهور الكريم بكل ما يستطيع وربما قلتم (زودتها) تضحية ايه ؟ ان تكتب كم كلمة تعالج فيها بعض المواضيع ..

وأنا اقول لكم والله (ما زودتها) فأي كلمة قد يكتبها الكاتب عن نية مخلصة فتسبب له مشاكل لا تتصورون مدى تأثيرها ، وقد يصل هذا التأثير الى اعتزاله الكتابة نهائياً مالنا بأطوالها ـ المهم في الموضوع هو شرح موقف الجمهور من الكاتب الذي يعالج مشاكله ، واعتزاز الكاتب بهذا الموقف الواعي المشرف ، بقي ان اشرح موقف الذين كنا نعتز « بمفهوميتهم » ايام زمان وأسأل الله ان يجعل كلامي خفيفا عليهم بعد صدور البيان الوزاري التاريخي المشهور هب الكتاب استجابة للدعوة الكريمة .. ومشاركة في تثبيت كيانها وتعزيزه ، هبوا يطالبون ويعرضون ويناقشون ، وكان النظام الاساسي وتطوير مجلس الشورى وتحسين اوضاع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة الاستغلال وانانية رأس المال تحقيقا للعدالة الاجتماعية ورغبة في تثبيت قواعد الاستقرار بين عموم افراد الشعب ، فإن الاستقرار الاجتماعي من أهم اسباب التقدم والازدهار بل ان الاستقرار الاجتماعي يكاد يكون السبب الوحيد للتقدم والازدهار فالعائلة المستقرة في وسائل عيشها تربي أبناءها تربية حسنة وتقدم للوطن ابناء صالحين يبنون ويرفعون ، والحكومة المستقرة تستطيع ان تحصر جهودها في الانشاء والتعمير والتقدم بشعبها الى المستوى الرفيع . وقد قابل الجمهور هذه المناقشات بالتهليل والترحيب واقبلوا على قراءة الجرائد التي تنشرها اقبالا منقطع النظير فماذا فعل الكتَّاب ؟ ؟

قال شيخ فاضل يرد على من كتبوا يطالبون تصحيح اوضاع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ ان هؤلاء الكتاب من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وهذا مثل مما قال

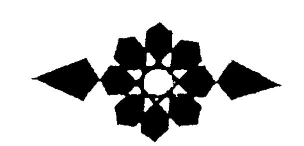
وليس كله ــ اعوذ بالله ؟ هل قرأتم ايها القراء شيئا من هذا فيما كتبه الكتَّاب . وجاء كاتب آخر يتحدث عن تطوير مجلس الشورى وانتهى به الامر الى ان يطالب بأن يكون هذا المجلس بالتعيين وان تتحدد صلاحيته في تقديم الشورى فقط .. الشورى التي يرى ان لا يلتزم بها جهاز التنفيذ فهل هذا من التطوير في شيء؟ ان حضرة الكاتب المحترم لو رجع إلى النظام الاساسي لمجلس الشورى لوجد ان الصلاحيات المعطاة لمجلس الشورى قبل ثلاثين عاماً اكثر بكثير مما يطالب به الآن .

وجاء كاتب آخر يدافع عن الشركات فقال ان الذين يناقشون اوضاع الشركات انما يناقشونها لغيظ في نفوسهم على هذه الشركات لانهم حرموا من عضوية مجالس ادارتها ــ وقال يؤلب الحكومة على هؤلاء الكتاب انهم يقصدون الحكومة ضمنا بأنها تقف بجانب الاحتكار والاستقلال .

وجاءت الشركات تدافع عن نفسها امام المطالبين بضرورة خفض التسعيرة لتقول ــ ان التسعيرة وضعت بقرار حكومي .

ومعنى هذا بالطبع ــ اسكتوا والا انتم تعارضون الحكومة ؟

هذه هي (مفهومية) المثقفين اليوم كما فهمتها أنا فهل فهمها القراء كما فهمتها ام انا الذي (مفهوميتي) ضعيفة ويجب ان اعتزل الكتابة وويل للشعر من رواته كما يقولون .



في الاخــلاق ايضــاً

قابلني صديق مساء اليوم الذي صدرت فيه جريدة المدينة المنورة الغراء فبادرني قائلا :

ايش هذا يا أخي ، شاقني مقالك في هذا العدد فجعلت اتتبعه بشغف ولذة وهي لذة الحلم الذهبي اللذيذ ، وما شعرت حتى اصطدمت اخيراً بتحاملك هذا على الدكاترة واظنك تعني الدكتور فلان فقد كان وصفك ينطبق عليه تماماً والحق انكم ايها الكتاب كثيراً ما تريدون معالجة المشاكل الاجتماعية ولكن تحفظكم وخوفكم الاصطدام مع من ترون الاصطدام معهم يوقع بينكم وبينهم مشاكل يـجرفكم عن المقصد ويضلكم عن السبيل .

وماذا تريد من دكتور قد انهك اعصابه العمل وانتهت مدة عمله ان يعمل مع اي مريض ألا ترى ان عمل الدكاترة عمل دقيق شاق قد يكون معناه بعض الاحيان الحياة او الموت ومن جهة اخرى فان هؤلاء اهل نظام . لنفرض ان الدكتور عاين الطفلة واعطاها الروشته فهل تظن ان الصيدلي سوف يصرف الدواء مستحيل جداً و ... فقاطعت وقد نفذ صبري .. قلت اسمح لي يا أخي ان اصارحك قال تفضل ولولا اني اريد ان تصارحني لما صارحتك .

إنه يؤلمني جداً ان يفهم الناس مثل هذا فأنا لم اوجه اللوم على حضرة الدكتور لانه لم يعاين الطفلة بل ولم اوجه اليه لوما من اي ناحية كانت وما كنت لاذكر الدكتور الا كمثال حضرني وقت الكتابة عن هذه الفضيلة الزائفة التي قل ما اعجبت بشخص وكانت له في حياتنا يد فعالة الا وجدته ـ وبعض الاحيان مضطرا ـ يستعمل هذه الفضيلة الزائفة بحكم المجاملة كما يسمونها فانت اذا خرجت الى الشارع لمست يداك ورأت عيناك في كل دائرة من دوائر العمل هذا الخلق متمكنا في كل انسان حتى ان بعض الناس يظنون ان الحيد عنه وقوف في موقف العداء .

ولنرجع إلى الدكتور . تصور دكتوراً اوربيا في موقف دكتورنا المحترم فماذا يا ترى تظن أن يكون موقفه ازاء هذه الطفلة الذابلة وهو يعتقد كما تعتقد انت ـ وانت زميل للدكاترة ـ انه رسول الرحمة وخادم الانسانية .

قل لي بربك الا يحمل الطفلة بين ذراعيه ويكتب لها الروشته ويذهب الى السوق لشراء الدواء لو كان غير موجود عنده على الفرض .

وان كان قاسي القلب تماماً يعني ـ كالحجر ـ الا يتلطف بوالد الطفلة ويخبره بانتهاء موعد المعاينة وهل في هذا ما ينهك الاعصاب ؟

الواقع ان مصيبتنا ليس كما قلت هي انحراف الكتّاب عن المواضيع التي يريدون البحث فيها وخوفهم من اناس يرون أن الاصطدام بهم ينشيء بينهم مشاكل تضر بمصالحهم الخاصة . ولكن مصيبتنا في الذين يعرفون الواجب ويقدرون الظروف ثم يحولون بين المرء وبين ما يريد من صلاح .

سيدنا محمد ﷺ

يدور الفلك دورته المستمرة فيطوي بين ثناياه السنين والشهور والايام وتتجدد صفحة الحياة فتنشر امام اعيننا صوراً فيها من العنف والقسوة ما تلتفت له القلوب الواعية وتضطرب له النفوس المتيقظة ومن اللين والطراوة ما يكون سبباً في تحجر القلوب اللينة وغفلة القلوب الواعية .

والحياة بين هذا الطي والنشر تعرض امام اعيننا في كثير من الرزانة والتعمق صور هذا الماضي الذاهب بما فيه من خير وشر ، لا تتحايل على الخير فتلبسه ثوب الخديعة والغرض فيظهر مشوها ممقوتاً ولا على الشر فتزين مظهره ليتقبله الناس كأنه الخير المحض بذلك ويقضون على الفضيلة في مهدها .

بل ان الحياة في عرضها تلك الصور حريصة كل الحرص ان تعرض امام النظارة صورة حية صادقة من صور الماضي ، لا تخشى في ابرازها في مجهرها المكبر خطيراً ولا اميراً ، تبرز الشر بما فيه من البشاعة والموعظة وترى صاحبه باخلاقه الصحيحة وسجاياه التي هي فيه من غير مواربة ولا رعب تعرض صفحة الخير مهذبة من شهوات الدساسين بعيدة عن يد الخديعة والغرض ، منزهة عن الرغبة والرهبة في ثوبها السليم الصادق . ثم هي تحكم بعد ذلك حكمها الصادق فتعلي صفحة الخير وتضمن لصاحبها الخلود والبقاء وان كان في حياته ابعد الناس عن التطلع الى الصيت او ذيوع الاسم مرغمة بذلك انوف اولئك الذين حاربوا ويحاربون المبادىء السامية معلنة لهم ان الفضيلة لا شك منصورة امام الحقيقة و التاريخ .

وتحكم على الشر فتخفض صفحته وتضمن لصاحبه سوء الذكر وان كان في حياته قد تمتع باطراء المنافقين والمخادعين المرائين قاهرة بذلك الشر واهله في نظر الحقيقة والتاريخ .

ولو اردت متابعة السنين والشهور والايام بل الساعات والدقائق لأستخلص للقراء الكرام في كل سنة تعرض وشهر تعقب وساعة تلمح من ذكرى الحوادث الهامة التي مرت في مثلها من السنين والشهور والايام والساعات والدقائق لعجزت ولعجز معي فحول الكتاب واساطين البلاغة ولكن هي في صمتها وسكونها تمر أمام المفكرين المتدبرين لابلغ افصاحاً واروع تأثيراً وأشد هولا من اي قلم يسطر ، واي بليغ يفحم ، واي كتاب يذكر . ﴿**ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**﴾

وفي صباح الثاني عشر من مثل هذا الشهر المبارك يهتز ايوان كسرى وتسقط شرفة من شرفاته وتخمد نار فارس بعد اثني عشر سنة لم تعرف فيها الخمود ويضطرب الناس ويؤكد العرافون بحصول حادث ذي شأن له اثره البليغ في تغير صفحة هذا العالم ـ ولم يكن ذلك الحادث الا ولادة آمنة بنت وهب ابنها الميمون بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وهاشم هذا

هو الذي انتهت اليه رياسة قومه فكانت له سقاية الحاج ورفادته فكان يطعم الحاج جميعه حتى يصدر عن مكة وهو الذي سن رحلة الشتاء والصيف وهو الذي عقد العهد على حسن الجوار مع الامبراطورية الرومانية ومع امير غسان فكانت قريش بسبب ذلك تجوب مواطن الشام في أمن وطمأنينة .

ويهرع البشير الى جده عبدالمطلب فيبشره بمولود ابنه وقرة عينيه عبدالله الذي افتداه ـ حين امكنه الفداء ـ بمائة ناقة من خيرة ابله وحزن عليه ولا يزال حين نزل به الموت وعجز هو عن تفاديه فهب يضرب قلبه ضربات الفرح وتتقلب امام عينيه صفحة الحياة الماحلة المليئة بالحزن واليأس الى صفحة خضراء ملؤها الامل وملء شفتيها الابتسام فيدخل الى آمنة وينظر الى المولود ثم يسمع من آمنة ما رأت وسمعت وشاهدت يوم الولادة فلا ينكر ولا يعجب ويحمل الطفل بين ذراعيه الى الكعبة فيطوف به ويحمد الله على ان ازال بهذا المولود الجديد ما انطبع في نفسه من الحسرة والألم على حبه ابنه عبدالله ثم يرجع به الى امه فيقول لها اني سميته محمداً ويدعو لها وله بالخير .

لم يكن هذا الاسم على ما ذكر المؤرخون معروف عند العرب ولكن عبدالمطلب رمزاً لما وقر في نفسه من الحمد والثناء لمولاه الذي سكن روعه وقشع عنه سحابة حزنه بهذا المولود الجديد اشتق له هذا الاسم من صيغة الحمد وكان هذا هو الاسم الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لآخر انبيائه واخلص اصفيائه فذكره في الكتب المنزلة على الانبياء المتقدمين .

ولد محمد ﷺ في امة بدوية يعيش اهلها على ما تنتجه لهم ماشيتهم من لحوم والبان واصواف لا يعرفون للاستقرار معنى ، ينزلون حيث ينزل الغيث ويرحلون حيث تضحك الارض من بكاء السماء .

وهذه الحياة مع ما فيها من جهد ومشقة ومجابهة للصعوبات فانها بعيدة كل البعد عن ان تتمخض بحضارة ثابتة الاركان باقية الاثر فالحضارة كما يقولون وليدة اجتماع متماسك وعمل متواصل في كل ناحية من نواح الحياة وانى للعربي الراحل مرة والثائر اخري ان يتصف بهذه الصفات التي تولد الحضارة .

وكان اختيار الله لنبيه من هذه الامة حجة الله على خلقه في ان ينتخب لرسالته من شاء من عباده لا يعترف في ذلك للملك وعظمته وللابهة ومفاخرها وللحضارة ونتائجها فلا يدل عليه اهل التيجان بتيجانهم ولا اهل الحضارة بحضاراتهم ﴿ **ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى** ﴾ **وبعد : فليس من احياء ذكرى محمد ﷺ في شيء ان تجتمع الجموع وتوقد الشموع وتقام المهرجانات وتصرف المبالغ في سبيل التفاخر والتكابر وان تقاوم باسم محمد تعاليم محمد ﷺ .**

ولستم من محمد في شيء ان لم تحيوا في نفوسكم بذكراه تعاليمه التي جاءكم بها وتردوا اليها روعتها وجمالها بالزهد والتقوى والسعي والكدح لله وفي سبيل الله وسبيل امتكم تحيون وفي سبيل امتكم تموتون .

التعارف سبيل الى الوحـدة

فلماذا لا نستغل هذا الظرف ؟

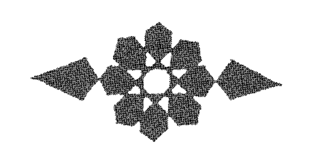
يشعر المسلمون اليوم في جوانب الارض بداء التفرقة ينخر كيانهم ويهدم بنيانهم ويقهقر صفوفهم ويضعف من قوة دينهم ويجعلهم هزؤا وسخرية بين اهل الارض اجمعين ، وهذا الشعور بضرر التفرقة ووجودها يكاد يكون عاما بين افراد المسلمين حتى العوام منهم ، ولكن ما فائدة هذا الشعور اذا لم نجعله عقيدة نجاهد في سبيلها ونتحمل في محاربتها الصعاب التي تحملها اباؤنا الأولون . أما ان تظل نتيجته التأوه والحسرة فذلك مالا نرضاه لامة تعتز بماضيها وتود ان يتمثل ذلك الماضي الحافل في حاضرها الراهن .

ولقد جد الغرب فحاربنا بهذا السلاح الماض وصبر وصابر واتخذ الوسائل الممكنة حتى ثبت في اخلاقنا مدح الفردية بجميع ما فيه من قوة وسلطان وجعلنا نتنزل درجة فدرجة حتى وصلنا الى آخر ما يمكن ان تصل اليه امة دب في نفوس زعمائها اليأس فنفضوا ايديهم منها وراحوا يتلاعبون بها في الزعامة كما راحت تجري وراء الضعف والاستهتار ، فمن وحدة اسلامية الى نزعة قومية الى اعتزاز بالقبيل الى انحياز عائلي الى تفضيل نفسي ثم الى زوال واضمحلال . فهذه المدارس التي يتبرع بتأسيسها المسيحيون وهذه المستشفيات التي يعلون بناءاتها متذرعين بالانسانية الرحيمة والاخاء العالمي المزعوم ليست الا معاول تهدم بقوة وثبات ما بناه ديننا العظيم من اتحاد ووئام . وفائدتهم في الهدم التخريب اكثر من فائدتهم في السعي في المحو فبحسبهم وان تكون الامم الاسلامية مرتعاً خصباً لمطامعهم الاستعمارية ، وسوقاً رائجاً لبضائعهم المزيفة وبحسبهم ان تصلح لان تكون صورة صادقة لتنفير سوادهم عن هذا الدين .

وخليق بنا وقد لمسنا اثر هذا الحرب الاجتماعي الاخلاقي السيء في نفوسنا ونفوس ابنائنا ان نجرد عليه حملة صادقة فنقلمه من اساسه ونرمي به في وجوه هؤلاء المخادعين الخاتلين وليكن سبيلنا الى ذلك هو نفس السبيل الذي يسلكه بنا هؤلاء الهدامون لنعش شرقيين ولنحترم شرقيتنا ولنحتقر كل من يحاول ان يتقمص الروح الغربية نابذا شرقيته وتقاليدها ولنسع كتلة واحدة لايجاد هذه الروح فتكون هي عقيدة المسلمين كما كانت من قبل في الشرق والغرب والشمال والجنوب وبذلك نمهد السبيل لوحدتنا الاسلامية التي ضاعت وضاع معها ديننا الحنيف .

والتعارف سبيل الى التفاهم والتفاهم ضروري بين رجالات المسلمين لايجاد هذه الروح التي نرى انها لازمة التمهيد لارجاع وحدتنا التي تصدع كيانها وانهدم بنيانها ، بل التعارف ذريعة لازمة للاتفاق والاتحاد ولذلك نرى امم الغرب تسعى بكثير من الوسائل المختلفة لايجاد التعارف فيما بينها ثم تنظم الحملة مرتبة منسقة على هذا الشرق النائم الكسول فهذه المؤتمرات

المختلفة التي تعقد تحت اسماء مختلفة في كل بلدة اوربية ليست الا وسائل يختلقها الاوربيون ليوحدوا كلمتهم ويسددوا سهامهم نحو ضحيتهم التي تآمروا على الفتك بها والحج فرصة طبيعية عند المسلم لتوطيد دعائم الاخاء وتثبيت روابط التعارف فلماذا نرى الحاج لا يكاد يقضي منسكه الا ويحمل حقائبه ويجري مسرعاً ليدرك اول باخرة تبحر من الميناء وكذلك نراه يتلمس في مجيئه اخر فرصة يمكنه من اداء النسك في اقل زمن ممكن وإنا نهيب بالحاج وقد صورنا له بعض حاجتنا الى التعارف والتعاون ان يفكر عملياً بان الاسلام دين اخاء ووحدة وتعارف ثم يسعى سعياً صحيحا لايجاد هذا التعارف والتآلف وقد وجد الفرصة الملائمة التي اتاحت له الاجتماع باخوانه المسلمين من عموم الاقطار ومن لوازم ذلك ان يتريث ويتريث هنا مدة تمكنه وتمكننا معه من ذلك التعارف المنشود ، وليس بضاره شيئا وقد صرف ما صرف ان يضيف الى ذلك دراهم معدودة في هذا السبيل . ومن الحق والانصاف ان نضع نصف اللوم في التقصير في هذا الباب على اخواننا الحجازيين فاننا نرى ان من واجبهم وان يكونوا واسطة عقد هذا التعارف بين رجالات العالم الاسلامي ويستغلوهم انفسهم هذا التعارف في سبيل الاتحاد الاسلامي العام ، وكم نحن مقصرون في هذا السبيل . هذه كلمة اقدمها بين يدي اخوتنا الحجازيين والحاجين على أمل ان نجد منهم اذنا صاغية فيعملون يداً واحدة على ايجاد التعارف المنشود ليكون سبيلا للوحدة المرجوة والله من وراء القصد ،



وتعاونوا على البر والتقوى

لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها «حديث شريف»

واليوم وقد مضت ثلاثة عشر قرناً ونيف على مبدأ الاسلام تغيرت فيها مقاييس الحياة، واستبدلت الخيل بالدبابات والمنجنيق بالطائرات، والسيف والرمح بالقنابل والقذائف، فإنه رغم كل مكابر «لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح اولها» وصدق الصادق المصدوق والعجيب ان يرى بعض المتفلسفين ان الرجوع الى ما كان عليه اول هذه الامة هو الرجوع الشكلي بما فيه من عادات وتقاليد ذلك العصر.

وأنا شخصياً أرى ان هذا غلطاً فاحشاً فصلاح هذه الامة لا يكون برجوعها الى الاتباع الشكلي الذي هو متعلق بالعادات والتقاليد في المآكل والمشرب والقيام والقعود فلست ارى ان نجاح الصحابة رضي الله عنهم في تقويم دعائم الاسلام كان سببه ما كانوا يتخذونه من القواعد والتقاليد الشكلية بدليل ما روي عنهم من التغيير في كل دور من ادوار الاسلام، فحالة ابي هريرة مثلا قبل الفتوحات كانت غيرها بعد الفتوحات وقل هكذا في كثير من الاصحاب رضوان الله عليهم اجمعين.

انما السر في تلك النفسية الاسلامية الصافية التي كانت ممتلئة شعوراً بالواجب الاسلامي في كل طريق من طرق الحياة وفي كل فرصة من فرصها واظنني غير محتاج الى توجيه نظر القارىء الكريم الى ذلك التسابق من الصحابة رضوان الله عليهم حين كان يدعو الداعي او تلم الملة، تلك النفوس التي كانت تكدح في الحياة بأشد مما نكدح ولكنها لم تستعبدها المادة في لحظة من لحظات هذه الحياة.

الم يحدثنا التاريخ عن تجارة عثمان رضي الله عنه وسعتها، ثم ألم يحدثنا عن تبرعاته التي ستهلع لها اذا ذكرت قلوب عبيد المادة من أبناء هذا الجيل الم يحدثنا القرآن عن خصائص تلك النفوس العالية بقوله تعالى ﴿ **ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾

وما أشد حاجتنا في هذا الزمن الذي طغت فيه المادة على كل شيء الى هذا الشعور العالي لنكون حقاً مسلمين تتمتع ارواحنا بوجوده فينا بالسمو الملائكي واجسادنا باللذة الدنيوية ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾.

ما من شك ان المادة (او السفلية) ان صح هذا التعبير كانت السبب الوحيد فيما نراه من التقهقر والاضمحلال في المسلمين في هذا الزمان.

وإلا فأية نفس مسلمة هذه التي لا تسرع ـ وهي تسمع من حوادث فلسطين ما يدمي العين ويفتت الكبد ـ الى حل كيسها لتدفع اقصى ما ملك في سبيل انقاذ اخوانها المسلمين في تلك البقعة المباركة.

اذا كنا ونحن نقرر الحقيقة السالفة في تقهقر المسلمين واضمحلالهم فمن الواجب فينا

وقد حبانا الله شرف القلم ان نسجل هذه الظاهرة المجيدة في الامة الاسلامية على العموم وفي الامة العربية السعودية على الخصوص ـ ظاهرة التعاون والتآخي التي طالما تألمنا لفقدها وسعينا في ايجادها لمساعدة فلسطين :

فهذا النداء في جريدة المدينة الغراء من الوجيه الشيخ عبدالعزيز الخريجي وهذه القائمة بالمتبرعين في صفحاتها وتلك الصيحات المدوية في جريدة المدينة وصوت الحجاز وذلك التسابق المتتابع من رجالات هذه البلاد المقدسة يبشرنا بحياة جديدة على ضوء الحياة الاسلامية الاولى .

ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها وصدق الصادق المصدوق .

حجوا قبل أن لا تحجوا

(حديث شريف)

شاء القدر المحتم ان تندلع نار الحرب في القارة الاوربية وان يتعالى لهيبها فيشرف على الدنيا ويرمي اناساً بالشرر ويكتنس آخرين في الطريق ويملأ قلوبا بالفزع والروع .

والحرب الاوربية كما تصور بالدعايات حرب بين الديمقراطية والارستقراطية ولكن الصراع المتفاني والالحاح في الخصومة كشف الغرض المستتر وبين المغزى واضحا صريحا فهو صراع تجاري تسري كل دولة من ورائه الى تقوية نفوذها والسيطرة على المواد الخام لتسد بها مطالب المعامل والفبارك التي هي في حاجة مستمرة الى اسواق للتصريف والانتاج .

ومهما يكن من امر فان هذا الظرف قد هيأ للشرقيين فرصة حميدة لتدعيم كيانهم والظهور بالمظهر اللائق كلمة ذات، شأن لها مكانتها الممتازة في مجرى الحوادث العالمية والمسلمون بالأخص قد اثبتوا لانفسهم في غير فرصة من الفرص في هذا الظرف الاوربي العصيب مكانة اجتماعية وادبية واستقلالية ممتازة فلم يلتفتوا الى هذا النزاع القائم ولم يعطوا هذه الحرب اهمية الا من ناحيتها الدبلوماسية ولذلك قد برهنوا على شخصية اسلامية ممتازة واظهروا تقدماً محسوساً في طرق تفكيرهم واساليب حياتهم وبرهن ملوكهم وزعماؤهم على اخلاص وتضحية يستحقان التقدير والاعجاب .

وموافقة شهور الحج لهذه الحوادث الاوربية المريعة هيأت للمسلمين فرصة جديدة لاثبات كيانهم وتدعيم التدليل على شخصياتهم المستقلة وابتعادهم الاكيد عن شوائب التأثر والانفعال .

ولقد صمد زعماء المسلمين في كل قطر وفي كل فج للدعاية عامة للحج بكل قوة وحزم ووضحوا هذه الحقيقة الناصعة لكل مسلم استطاع ان يفهمها ولكل مسئول استطاع ان يقدرها وساعد ملوك المسلمين في ناحية وفي كل قطر كل من اراد الحج وسهلوا له كل صعوبة عرضت فتضاعف موكب الحج عما كان ينتظر وكان في ذلك مظهر رائع من مظاهر التضامن والاستقلال .

ثم ان المسلمين في حاجة في هذا الظرف الى الانقطاع والتبتل والدعاء والانابة الى الله سبحانه وتعالى ليكسبهم الكثير مما خسروه وليعيد لهم مجدهم التليد ، وما اروع هذا المعنى وابهاه في هذا الموقف العظيم في عرفات .

والحجاز اليوم بفضل سياسة مليكه المحبوب الرشيدة وسهر حكومته الموفقة رغيد العيش مؤمن السبل فسيح الرحاب يجد فيه الحاج طمأنينة الحياة ولذة العبادة وهدوء النفس وراحة الضمير وليس لمن تخلف من عذر وقد دعى الداعي وتفتحت الابواب وازدهرت ايام العبادة وبدت ساعات التجلي تلمع في أفق عرفات .

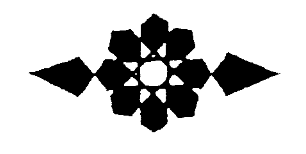
ايها المسلمون :

لقد أذن مؤذن الحج ودعى داعيه فهل علمتم انكم مطالبون في هذا العام بواجب اجتماعي الى جانب واجبكم الديني هل علمتم ان هذا العصر عصر الدعايات وعصر القوة وعصر الجرأة والإقدام وفي اجتماعكم بعرفات مثل رائع للدعاية الموفقة والقوة الموهوبة والجرأة التي يحسب لها الف حساب .

وقد وفقتم الى القيام بهذا الواجب الاجتماعي ازاء واجبكم الديني الاهم خير قيام فهنيئا لكم وثوابكم عند الله جزيل .

ايها المسلمون :

من استطاع ان ينتحل لنفسه الاعذار الموهومة وان يبرر تخلفه عن اجابة داعي الله بحوادث بعيدة عن الحقيقة والواقع فإنه لن يستطيع ان يموه على الله ، فلنكن كالمسلمين الاولين لا تزحزحنا الحوادث ولا يؤثر فيه الاغراء والتضليل .



التمر والحلوى في العيد

مناسبات الاعياد هي من اروع المناسبات التي تتجلى فيها المظاهر النفسية والميول الدينية والشعور الوطني للأمة التي تقدس هذه الاعياد وتعتبرها فرصة سعيدة لمظاهر الحرية والابتهاج وزمنا مطلقاً من القيود والرسميات للتهييص واللهو البريء وبعبارة واضحة يوم العيد هو صفحة من صفحات حياة الامة تتميز عن صفحاتها الاخرى بما تتضمنه من المعاني الحقيقية التي تمثل الامة تمثيلا صحيحاً بعيداً عن التكلف الزائف الذي يريد المتقعرون ان تظهر به وان تتكلف معناه وهي صفحة مكتوبة بالخط العريض يستطيع ان يقرأها كل من استطاع ان يلقي اليها بنظرة سريعة والمتأمل يستخرج من هذا المنظر الرائع صورا حية للامة ترتسم فيها ميولها وآدابها واخلاقها وديمقراطيتها وبذلك يستطيع ان يحكم عليه حكماً صحيحاً مستنتجاً من قواعد دينها وتربيتها وآدابها وحضارتها ، وربما كان هذا الحكم ـ في بعض الاحيان ـ غير موافق لهوى الامة التي تريد ان تتزيف فتدعي لنفسها ماليس فيها وتتمسك بآداب وتقاليد ليست هي من آدابها وتقاليدها في شيء ثم تريد بما تطلى عليها من الادهنة والالوان ان تفهم الناس او تغالط نفسها على الاصح انها محافظة على الصميم من عاداتها وتقاليدها .

ذلك لان يوم العيد يوم بهجة وسرور وقل ان تحتفظ النفس بتوازنها اذا اندفعت في سويداء القلب معاني البهجة والحبور ، وانك اذا اردت ان تمتحن أقعر المتقعرين واردت ان تستجلي نفسه واضحة ـ كما خلقها الله ـ منسية عن التصنع والتكلف تحس مواضع الطرب والانبساط في نفسه ثم جره اليها وخذ بعد ذلك صورة واضحة جلية من تلك النفس وقد يريك صدق المخبر صورة منعكسة تماماً عما كان يحاول ان يريك اياها ذلك الشخص الموهوم وليست الامة في هذه الظاهرة الا مجموعة افراد يجري عليها الحكم الذي يجري على افرادها ومن ثم كان من الواجب على الامة التي تريد أن تعطى لنفسها صورة مشرقة للناظرين والمتأملين ان تتمسك بآدابها واخلاقها ومظاهر لهوها وتقاليدها وأن تكون في ذلك شديدة الاتصال بماضيها الحميد وقوميتها المكينة .

وعلى هذا القياس نجد الامم المتحضرة تتفانى في التحفظ في مثل هذه المناسبات بتقاليدها القومية الصحيحة التي تمت الى تاريخهم القديم بالصلة الدينية والاجتماعية والاخلاقية وقد كنا قرأنا بالامس القريب التقاليد الغربية التي امتثل لها ملك الانكليز في عيد تتويجه ، فلم نستطع ان نفسر ذلك الا بالتمسك بالماضي في مناسبة عزيزة واحكام صلة الأولين بالآخرين واعتراف من الابناء بحقوق الآباء في ذلك الظرف التي تبتهج فيه النفس فتوحي اليها النعرة الغريزية الاعتزاز بالاباء والأجداد وللنفس في ذلك لذة ايما لذة وامتاع ايما امتاع .

والمدينة المنورة تحتفظ في عيد الفطر السعيد بتقاليد وعادات هي من اروع ما يجب ان تتمسك به امة جديرة ان تحتفظ بمكانتها الدينية والاخلاقية والاجتماعية ومظهر التزاور والتعاطف الذي تكاد تلتمس فوائده العامة في ايام العيد من اجمل هذه المظاهر .

وقد ارادت جريدة المدينة الغراء او على الاصح اصحابها ان تضيف تقليدا جديداً على مجموعة التقاليد في هذا اليوم السعيد فوجهت دعوتها لاستعمال التمر بدل الحلوى في هذه المناسبة وكانت دعوتها ترمي الى فكرة اقتصادية محضة ما اكثر ما شرحتها ووجهت النظر اليها .

والغريب ان هذه الدعوة التي لا نشك ان الاعمى يستطيع ان ينظر الى فوائدها من عموم النواحي قد أوجدت مجالا للتضامن بين الداعين لاستعمال التمر والمتشبثين باستعمال الحلوى والاعجب والاغرب ان بين هؤلاء المتشبثين شباب مثقف وشيوخ ناقمون .

يقول البعض من هؤلاء

ما الذي يا ترى يستفيده الفلاح من هذه الدعوة وما هو المقدار الذي يمكن ان تصرفه المدينة في هذا الظرف والتمر موجود في كل بيت ونجيب هؤلاء بأن المدينة في الواقع لا تصرف شيئاً من التمر في هذه المناسبة ولكنها من غير شك تحفظ مئات الجنيهات الحجازية من التسرب الى الخارج .

وسلوا ان شئتم تجار الحلوى فانكم ستسمعون منهم ما يهول ! ! !

ويقول آخرون

امنعوا الكولونيا وامنعوا ... وامنعوا ... وما هذه التافهة التي تصدرتم لها ! اهي الحلوى كل ما يجب ان تحاربوا من الواردات الخارجية .

ونجيب هؤلاء بأنه من الواجب علينا ان نحارب كل ما نستطيع من الواردات الخارجية ولكن ليس معنى هذا ان نقوم بالحرب على الكل او ان نسكت على الكل فليس هذا طريق الاصلاح ، فالخمر وهو النجس شيء لم يحرم في الاسلام الا بعد زمن طويل والطريق المعقول للمصلحين هو البدء بما يستطاع سبيلا وجعله الى مالا يستطاع .

واغرب من هذا ان الناس يقولون : ان مناسبة العيد في السنة مرة واحدة والتمر في وجه المدني في كل يوم فهو انما يتفكه في هذا اليوم بالحلوى ويستدلون على رأيهم هذا بأن كثيراً من كبراء الداعين الى التمر لا يأخذون التمر بل يكتفون بوضع ايديهم عليه .

وجوابنا لهؤلاء غريب كغرابة رأيهم إلا أننا نحب ان يفهم هؤلاء الافاضل ان الناس في غنى عن حلاوتهم التي يظنون ان الناس يقضون العام في انتظارها فقرش او قرشان يغني النفس بالحلوى وليس التلهف ورغبة أكل الحلوى هي التي تدعو الناس الى زيارة منازلهم في العيد وانما هي عوائد وتقاليد والتمر والحلوى في الموضوع سواء . ثم تقول ان الذين يضعون ايديهم على التمر يضعون هذه اليد الاستغنائية على الحلوى نفسها .

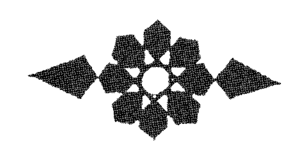
اما دعوتنا نحن للتمر فتشمل الفكرة الاقتصادية والفكرة التقليدية والدينية التي سبق ان نوهنا عنها في صدر هذا المقال .

نحن نقول ان التمر يجب ان يكون شعار العروبة لانه من اهم منتوجات بلاد العرب وتمر المدينة بالخصوص يجب ان يكون شعاراً للعالم الاسلامي عموماً لما جاء فيه من الاحاديث النبوية والآثار الاسلامية فإذا كان استعمالنا للتمر في هذه المناسبة مبني على هذا الاساس واستطاع العربي والمدني بالاخص ـ ان يقنع نفسه ان استعمال التمر في هذا اليوم امر محتم لابد منه للاحتفاظ بشعار العروبة في اعز مناسباتها يستطيع بمرور الزمن ان يثبت في نفوس افراد العالم الاسلامي بضرورة مجاراة هذا التقليد في هذا العيد ـ وعمل اهل المدينة حجة عند البعض فان اثبات هذا التقليد عند جميع المسلمين جدير ان ينفق تمر المدينة كله في هذا الظرف كما ننفق نحن الان حلوى المعامل ـ وفي هذا ينتهي سر هذه الدعوة ويتوضح مغزاها .

واما فيما ورد من الاثار عن نصح الرسول ﷺ في هذا اليوم دعاية اي دعاية ومن آثار السلف في استعمالهم التمر في هذا اليوم ملجأ أي ملجأ .

وبعد فاننا لا نرى بدا من ان نسجل بالتقدير والاعجاب ما ابداه صاحب المعالي امير المدينة المنورة الامير عبدالله السديري من التأييد والتشجيع لفكرة استعمال التمر بدل الحلوى وجعل ذلك رسمياً في عيد الحكومة وفي ذلك دليل واضح على ما يتغلغل في نفس معاليه من حب كل امر من شأنه اعلاء شأن هذه البلاد .

ونحيي كل فرد شجع فكرة التمر وحارب في سبيلها فهو جهاد في سبيل الله والوطن وفقنا الله جميعاً لما فيه نفع بلادنا وأيد مليكنا المحبوب وأمد في عمره وحفظ ولي عهده المحبوب ونائبه العام .



على هامش العادات والتقاليد

تقاليد الزواج واجبنا نحوها

لست من المجذين للفكرة القائلة بضرورة القضاء على فكرة اقامة الحفلات العامة في مناسبات الزواج وماشاكلها من مناسبات الافراح فانا ارى ان الانسان انما يعيش ليتمتع ، وما فائدة المال والسعي لجمعه ان لم تظهر بعض نتائجه في مثل هذه المناسبات التي هي اعز مناسبة يحب الانسان ان يصرف فيها ولكنني في نفس الوقت ارى ان الواجب الاقتصادي والسير مع ضعفاء الامة عملا بالاثر سيروا بسير ضعفائكم يقضي حتى على الاغنياء المتمولين ان يهذبوا هذه الحفلات ويشذبوا حواشيها ويجعلوها حفلة فرح وابتهاج اكثر منها حفلة صرف وتبذير وكثيراً ما كنت افكر لو استطاع رجالنا ان يخففوا وطأة الاعباء التي يخرج بها بعد اسبوع الزواج والدا العروسين وخصوصا الفقراء منهم فنفكر في طريقة تختزل فيها مصاريف العقد والزواج وتتوسع فيها البساطة ووسائل الابتهاج . وما ضر الناس لو اجتمعوا على سمر ولعب وقصائد ادبية وخطب اجتماعية وتفننات فيها من وسائل الضحك والابتهاج على قدر ما يتسعه المجال والمقام، تدور فيها كؤوس القهوة والشاي المعقول . بدلا من ان يجتمعوا على الاكل والشرب ويكلفوا اصحاب الحفل بالاثقال المادية المرهقة .

وكثيراً ما عن لي ان اقترح على اصدقائي الاعزاء ان يتضامنوا في ضم حفلة العقد وحفلة الزواج الى حفلة واحدة يدعى لها ليلا الاحباب والاصدقاء وتمتد إلى الساعة السادسة مثلا يتفنن فيها اصدقاء الطرفين في ايجاد الالعاب المناسبة والخطب والقصائد وتنتهي بدخول العريس في هذه الساعة على عروسه . وفي الصباح يقيم أهل العريس حفلة عائلية تعارفيه يجتمع فيها اقرباء العريس والعروس للتعارف وبذلك تتم وليمة العرس المسنونة .

والعجيب ان هذه الفكرة التي ترددت في خاطري كثيراً ولم تواتيني الظروف لابدائها قد عمل بها في زواج نجله صاحب العزة الشيخ يوسف بصراوي والسيد عبدالله حافظ في زواج كريمته المصونة فكانت فكرة موفقة وزواجاً ميمونا .

ولا غرو ان يبدأ بهذا الشيخ يوسف بصراوي فكل من يعرف الشيخ يوسف من الشباب يعرف فكره الثاقب ونظراته الصائبة وآراءه القيمة في حياتنا الاجتماعية واكثر من هذا فقد علمت ان والديّ العروسين وقفا كالصخرة الصماء امام اصدقاء الوالدة ومن يريد ان يفرح في ابنتها العزيزة فلم يقبلا ان يوضع على ابنتهما العزيزة حاجة واحدة (عارية(١)) لا عقد ولا .. ولا .. (البسوا بنتنا ما عندنا ، الشيء الذي اذا لبسته لا تحتاج الى خلعه) وكان اخذ ورد على هذا التشبث الفارغ في نظر الاصدقاء الذين يريدون ان ينتهزوا هذه الفرصة ويفوزوا بالجميل فتمتا وكان المراد فوقيا نفسيهما شر العارية ووقيا اصدقاءهما ذل السؤال .

الا حي الله الشيخ يوسف بصراوي والسيد عبدالله حافظ واكثر الله من امثالهم في رجالنا الناهضين .

(١) العارية : من الاعارة حيث كانت الأمهات يستعرن بعض الحلي ليلبسن بناتهن في الحفلات او الزواج اذا لم يكن لديهن ما يلبسنه لهن .

في موكـب الأفـراح

هذا الشعور المتدفق وهذا التهليل العميق الذي قابل به الكتاب والصحافة تعيين الاستاذ السيد احمد جمجوم وزيرا للدولة وعضواً في مجلس الوزراء فيه دلالة واضحة على الفرحة التي عمت بهذا الاتجاه الجديد في تقدير العاملين .

فسر البعض هذا التقدير بأنه اتجاه نحو الشباب الجامعي وفسره آخرون بأنه تقدير للعلم والمعلمين وأنا لا أنكر على الشباب جهادهم في سبيل الحصول على الشهادة الجامعية ولا انكر على المثقفين من غير الجامعيين ما احرزوه بكفاءتهم من مكانة علمية عالية ، لكنني احب ان نستخلص من هذه المناسبة حقيقة فاتت على الكثيرين منا بحكم حداثة نهضتنا نحسب ان الشهادة صانعة المركز العالي المرموق ، وحق على الامة والحكومة ان تستقبل حملة الشهادات لترفعهم على اكتافها وتجلسهم على عرش الوظيفة المرموق .

ان الامم المتمدنة لا تحسب التعليم الا امرا محتماً على كل فرد ليكسب به صفة الانسان الذي يعيش في هذا العصر ويستطيع ان يثبت وجوده بين سكان هذا العالم وان لم يفعل فلا فرق بينه وبين اي كائن حي لم يرتق الى درجة الانسان على ما أظن فسبيل العلم والمعرفة هو تناول التهيؤ والاستعداد . وكل ما بين صاحب الشهادة وبين اي انسان من فرق هو ان صاحب الشهادة العالية قد استعد لاستقبال الحياة بسلاح استخلصه من دراسته لعلوم الحياة وفنونها واكتسب خبرة وتجارب الاجيال من قبلنا واستنار بها . اما من لم تتح له سبل التهيؤ والاستعداد فنزل ميدان الحياة اعزلا فإن سبيله الى النجاح ما يمر به من حوادث وتجارب تتكيف كيفما هيأتها البيئة والظروف . فالفرق بينهما من هذا الوجه كالفرق تماماً بين الجندي النظامي المدرب الذي نزل ميدان الحياة بسلاحه وعتاده وبين المحارب الساذج الذي دفعته الى ساحة الميدان ضرورات الحياة فتصدى لها واستوحى من وقائعها اسباب نجاحه .

وكلا الرجلين في نظري معرض لاسباب الفشل والنجاح فاننا لا نستطيع ان نحكم على حامل الشهادة بالنجاح بمجرد استقباله للحياة العملية اذ قد يفشل وقد يكون فشله ذريعاً لكنه فشل مضاء بنور العلم يستمد منه الهمة والعزم للكفاح من جديد ـ وقد يفشل الرجل الآخر ولكنه فشل مظلم يؤسس الحقد والكراهية في نفس صاحبه فينفث سمومها على المجتمع البريء . وكما يكون فشل المثقفين مضاء بنور العلم فكذلك يكون نجاحهم ـ فالمثقف المتحلي بالخلق العالي لا يمكن ان يكون نجاحه ابداً سببا للانتقام والتشفي لان العلم سيكون سبيله في تقدير الخصومة الشريفة وتقدير التضحية الفردية في سبيل المجتمع العام .

وكما يكون فشل غير المثقفين من الناس فشلا مظلماً يؤسس الحقد والكراهية في نفس صاحبه فكذلك يكون نجاحهم فقد يقودهم هذا النجاح الى التشفي والهدم وحماية وتمكين من

يتوهمون انهم من المخلصين الاوفياء فيقوون بذلك في المجتمع عنصراً خفياً من المرتزقة والمنافقين والهدامين .

ما اردت ان اقوله واستطردني البحث الى غيره هو ان على الشباب ان يفهموا ان الشهادات العالية والثقافة الواسعة ليست هي سبل الثقة والتقدير وانما السبيل المحتم لذلك هو الجهد والجلد والاخلاص والخلق العالي والانتاج .

وعلى قدر ما أفهم فان الحكومة لم ترفع الى هذا المنصب الجليل السيد احمد جمجوم لثقافته الواسعة وشهادته الجامعية فحسب بل كان الحساب الاول في هذا التقدير هو ما اثبته هذا الشاب المكافح من الجهد والصبر عليه والاستقلال في الذات والترفع عن المباذل والتضحية في سبيل الوصول الى الهدف !

لقد بدأ هذا الشاب حياته مديراً مساعداً لضريبة الزكاة والدخل فلم يتأفف ولم يتشدق بل نزل ميدان العمل بجهد صامت حتى اذا ابرز عملا صالحا ارتقى به الى كرسي المدير العام وهو مركز كما نعرف جميعا تهون دونه المطالب لدى الكثيرين ! ولكنه لم يفكر فيه ولم يتشبث به عندما دعاه داعي الوطن لكفاح من نوع جديد .

كفاح لا يضمن نتيجة حاسمة ولكنه قمين بوجوب التضحية من اجله فلبى النداء ووضع غير آسف سنين خدمته وثمرة جهاده على كرسي الرئاسة وغادرها الى ميدان العمل الحر فكافح ونجح ! وكان هذا النجاح طورا شامخاً على ارض الوطن لا يمر بساحته انسان واع الا ويرفع يده بالتحية ويذكر العاملين فيه بالاعتزاز والفخر والاعجاب .

انك اذا اردت ان تتلمس سر النجاح في العمل فتلمسه في خلق وجلد وكفاءة واخلاص العاملين فيه .

وهذا السر في نجاح معمل الاسمنت هو الذي رفع صاحبه الى مرتبة أكبر في قلوب المواطنين .

ان الذي اريد ان اقوله للشباب الذي تسيطر عليه فكرة التطلع الى المراكز العليا بشهاداته التي يحملها . ان الشهادات لا تعني الا ان تكون سلاح الجهاد فابدأوا بها السلم من اوله وابرزوا بنتائج اعمالكم وهذه النتائج هي التي ستخطو بكم الى الصدارة .

﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ .

لو كانت الشهادة العالية وحدها هي الوسيلة الى المقام الرفيع لكان لها جامعيون سابقون ولنال التقدير من لا يستحقه .

وتحياتي وتقديري واعجابي لمعالي السيد الوزير احمد صلاح جمجوم .

رمضــان .. ايام زمــان

تدور عجلة الزمن فتنهي في دورتها اثنى عشر شهراً لنستقبل شهر رمضان المبارك ، شهر الخيرات والبركات ، ولقد كان لهذا الشهر المبارك صولة وجولة في نفوس اكابرنا حدثونا عنه حديثاً كله بر وتقوى وتجرد . فقد كان اغنياء الحارة في كل بلد من بلدان هذا القطر المقدس يجندون انفسهم وامكانياتهم لعمل الخير ، الخير بكل معانيه فكان كل كبير في الحارة يتحسس بنفسه حاجات جيرانه وابناء حارته ويسعى بجاهه وماله ليسد كل مطالب أصحاب الحاجة من الاقارب والمعارف والجيران ـ فيهيئون الغذاء والكساء والرخاء للمعيلين والفقراء ـ فكانت الزنابيل تملأ بالارزاق ـ ليطرق حاملها الابواب المعنية فيوصلها الى أهل الدار هدية رمضان المبارك ، وكثيراً ما كان أهل الدار لا يعرفون عن المرسل شيئاً وربما كان ألصق جار بهم . ولم يكن هذا سعيهم فحسب بل كانوا يتحرون اصحاب الديون العاجزين فيسددون ديونهم ويتابعون المحكوم عليهم بالحبس والغرامة فيتوسلون بجاههم وما لهم لاطلاق سراحهم وادخال السرور على عوائلهم وأطفالهم .

وكان الحكام يتجاوبون كل التجاوب مع هذه العواطف فلا يردون سعي ساع او يخيبون امل آمل بل كانوا يشاركوه بالتسامح والمال والتوسط لدى من هم اعلا مقاما منهم ـ وكانت عاطفة الخير تطغى على الكثيرين فيقف عند بابه كل يوم قبل موعد الافطار بوقت كاف ليرجو عدداً من جيرانه ان يشاركوه طعام الافطار ولا يرضى حتى يجتمع على مائدته نفر ألزم بهم نفسه كل يوم ـ وكانت هذه المشاركة بهذه الروح العالية الكريمة تُنسي الفقير فقره والمهموم همه والمعيل ثقل عياله فيعم الابتهاج ويكثر التزاور وتذوب الفوارق ويعيش المواطنون وقد سمت نفوسهم وتقاربت أرواحهم ، ولم يرض احد منهم ان يبقى بينه وبين خديد له ورفيق سوء تفاهم او انقطاع مودة فيسعى المخطىء والمصيب الى دار رفيقه لتصفى نفسه ويعيد اسباب المودة المنقطعة ويودع كل منهم الآخر فيقول رمضان كريم ، ويشكر المتخلف السابق على فضل السبق .

وكان التجار حين يعرضون بضائعهم التي تستوجبها تقاليد هذا الشهر يتوخون ان يستطيع صاحب العيال المقل فيأخذ كفايته مما هو في حاجة اليه بكل وسائل التساهل والتسامح وهكذا كان هذا الشهر المبارك شهراً ميمون البركات عام الخيرات يهلل له الكبير والصغير ويرفل في خيراته الغنى والفقير ، فلياليه كلها محافل وساعاته كلها ساعات مرح وبشر وحبور ، المساجد ملأى بالمصلين والبيوت ملأى بالزائرين ، تضج الحارات بالاطفال من كل سن يلعبون ويمرحون لا تهدأ الحركة من بعد صلاة التراويح حتى صلاة الفجر في فرح ومرح وابتهال .

(وما نحن فيه اليوم)

ونحن وان لم ندرك كل ما رواه لنا الاكابر فقد ادركنا شبحه الماثل في كل رمضان استقبلناه في صدر الشباب فان جائحة الحروب المتتالية حدت من مواقف البذل والتضحية ولكنها لم تمح الآثار تماماً .

واليوم وقد طغت المادة على كل شيء فإن آثار هذا الشهر المبارك قد بدت باهتة خفيفة الظلال لا تكاد تلمس ، فالفقير والمعيل تثقل همومه وتكبر حاجته وتقل قدرته فلا يكاد يحس بروحانية ولا ينتظم له حساب والغني المترف تثقله التخمة فلا ينفك في نهاره من الاستعداد بأصناف الطعام وفي ليله من تخمة الطعام من كثرة ما يأكل والتاجر يجمع كل طاقاته لينتهز فرصة مطالب هذا الشهر فيشتد ويقسو ليربح اكثر ـ لقد تناسى الناس انهم يعيشون على هذه الارض امدا محدوداً وتناسوا انهم في حاجة الى ما يقدمون من حسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون ـ نسي انه جاء الى هذه الدنيا قطعة تافهة لا يملك من امره شيئاً فسخر الله له من عنى بأمره وأكمل رجولته ثم اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

يخيل الي اننا نبتعد عن الله كلما فتحت لنا الدنيا ابواب كنوزها وفجرت لنا الارض ينابيعها ـ انه مطلوب من كل منا في هذا الشهر المبارك ، ان يسأل نفسه : لماذا أنا أعيش؟ ما هي رسالتي في الحياة؟ احقاً جئت لآكل وأشرب وأجمع المال ثم اموت جيفة كما يموت الحيوان ؟! لا .. ان الانسانية تتنافى مع هذا فرسالة الانسانية في هذه الحياة هي البناء والتضحية وفعل الخير للخير ..

ان الذي يكد ليجمع المال ويكدسه ظنا منه انه يبني مجد أبنائه قد خاب في ظنه فمجد الانسانية في الجهد والكسب والعطاء والبذل ان الذي يفعل هذا محروم من جهده وكده ، فكما هو مطلوب منك ان تترك لولدك من المال ما يستطيع ان يجعل منه وسيلة لكده وجهده .. مطلوب منك ان تقدم لآخرتك مما كسبت يداك فهو خير ثمرة تجنيها من هذا المال ـ هذا اذا كان المال حلالا صافيا ـ اما اذا اختلط فيه الامر فقد يكون فعل الخير فيه تكفير لسيئاته وتخفيف عنك من عذابه انه مطلوب منك ايها المواطن ان تعيش مع الله في هذا الشهر المبارك فتعيش رحيما عطوفاً باذلا معينا . لا تتردد ، فما تبذله في هذا الشهر المبارك سيضاعف اجره وتعوض مادته انه فرصة القادر ، انه نور الايمان يشع في قلوب المؤمنين القادرين .. ﴿ **اللهم لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ، انها لا تعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ ـ ان هذا الشهر المبارك هو فرصة القادرين ومفتاح سعادة المعذبين الحائرين فلنجهد الا تضيع علينا هذه الفرصة العزيزة الغالية فقد تكون ساعات العمر المحدودة قاب قوسين ولات ساعة مندم .

رمضان .. الشهر المبارك .. وما بعده

عهدي بهذا الشهر المبارك يمتاز بين شهور العام بروح الطيبة والسماح والقناعة والتعاون التي تسود بين الناس فانك اينما ذهبت خاصة في ساعات النهار تكاد تحس بهذه المعاني وتلمسها لدى التاجر والبياع والحامل والعامل ـ تحس انهم جميعاً يشاركونك في العبء ويتحملون معك مسئولية الحياة فالتاجر لا يغالي وانت لا تساوم والبياع والعامل والحامل لا يطمعون ولا يعاندون ويتم التفاهم في هدوء ورضى .

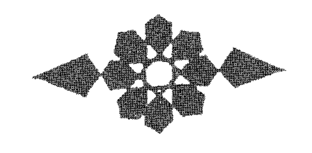
وعهدي بالناس من كل الطبقات يتوجهون بكليتهم في هذا الشهر المبارك الى الله فيحرصون على حضور الصلوات الخمس في المساجد ويسمعون دروس الوعظ والارشاد فيزيد صفاء نفوسهم وتسمو ارواحهم حتى لتكاد تنعدم العلاقة بينها وبين المادة التي تحجب العيون وتثقل النفوس .

وعهدي بالحكام يحاسبون انفسهم ويلجأون الى الله خائفين تائبين ضارعين يسألونه التوفيق والهداية .

وعهدي بالعلماء والمرشدين يطلقون السنتهم ويفتحون قلوبهم فيخلصون الوعظ والإرشاد ويتفانون في الهداية والتذكير وبهذا التفاني من ناحيتهم وبذلك الاقبال من ناحية الجمهور تضيء معالم رمضان وتتسابق فضائله في الظهور فنحيا حياة مثالية نود لو لم تنته وتجري على الألسنة في براءة وطهر هذه الامنية ياليتك يا رمضان ثلاثين في ثلاثين . كنا نود ان يكون هذا المظهر الرائع الذي اختص به هذا الشهر المبارك يستمر تأثيره حتى نهاية السنة في كل شهورها ولكن مع الاسف الشديد قد بدأ يضمحل هذا المظهر وتخبو جذوته في هذه السنين الاخيرة ـ وافتقدنا روح الطيبة والسماحة والقناعة والتعاون بين الطبقات وافتقدنا توجههم نحو الله فلم يعودوا يعمروا المساجد كما كانوا يعمرونها ولم تعد للنصح والنصائح والوعظ والوعاظ تلك الجاذبية والقوة التي كانوا يقودون بها الناس الى التوجه الى الله والسمو بأنفسهم وارواحهم .

فهل نحن مصرون على انصرافنا الى المادة هذا الانصراف المجنون .

اللهم انا نعوذ بك من شرور انفسنا . ومن سيئات اعمالنا .



(ماذا ننتظر للعالم الاسلامي والعربي (ماذا في عام ١٣٨٨ هـ) ؟

هذا سؤال تقدمت به (المنهل) جريا على عادتها في كل مناسبة تريد به الانارة والتوجيه كما جاء في خطاب رئيس تحريرها . وأنا بدوري اقول : هل سأل السيد رئيس التحرير نفسه هذا السؤال ولو سئل فماذا كان يجيب ؟ هل يتنحنح ويستقيم في جلسته ليقول أوه ان التفاؤل يجب ان يكون اساسا في هذا الجواب ، نعم ان مستقبل العالم الاسلامي والعربي زاهٍ وزاهر جداً . ستكون الفتوح وستكون الانتصارات وسيسير كل شيء على ما يرام؟ ام ان رئيس التحرير يعتزل بنفسه ويخفض رأسه في تفكير وتأمل عميقين يستعرض فيهما حال العرب والمسلمين وما هم عليه من تفكك وتفتت وتفرق شمل ومجانبة في الاقوال والاعمال ، ثم يكون الجواب صريحاً صادقاً مدوياً يصدع فيه بالصدق والاخلاص قلب كل عربي وكل مسلم ليستيقظ من غفلته ويستنكر كل ما يفعل مما لا يتفق ومبادىء الانسانية . ومبادىء الانسانية ليست الا مبادىء الاسلام .

لقد مضى على المسلمين عصراً كانوا فيه تحت ضغط الاستعمار المباشر ، فالاستعمار هو الذي كان يخطط ، وكانوا هم المنفذين ولقد وجد في هذا العصر الاستعماري بعض العلماء الذين كان الاستعمار يلجأ اليهم لاصدار الفتاوى لصالحه وللضغط على كل عالم قد لا يرضخ لبحبوحة الاستعمار وسعة العيش عنده فيصدع بالحق ويوجه الى الهول الذي يجر اليه الاستعمار ، وبذلك ينخفض صوت الحق ويرتفع صوت الضلال !

ومر هذا الدور والمخلصون العاملون من المسلمين في كبت وحرمان وتشرد ، وصب المستعمر امواله على الجهلة والزائفين وسودهم واعطاهم حق الامر والنهي في الخاصة والعامة فساروا على منهاجه وضيعوا واضاعوا ، كان هذا العصر أسوأ عصور الاسلام في تاريخه الحديث .

واليوم وقد تبدلت احوال الدنيا ولم يعد الناس يطيقون حياة الفرقة التي كان الاستعمار يسخر بوساطتها عامة الشعب لمصالحه وغايته لم يستطع الاستعمار ان يقابل ثورة الثائرين وعناد المعاندين فشد رحاله ومضى ولكن التركة التي تركها تركة ثقيلة يائسة والاصابع التي تركها تلعب خسيسة دنيئة ، فتزاحم اكثر الحكام بعد الاستعمار على الرئاسة والحكم يدعي انه المصلح النافع ففي الهند مثلا وجدت دولة الهند والباكستان ووضعت عقدة كشمير لتكون محل النزاع الدائم والانانية الخبيثة . وفي الشرق العربي وجدت اسرائيل لتهدم كل بناء وتحرم كل بلد من بلدانه الهدوء والاستقرار . وفي افريقية وفي كل بلاد عربية ومسلمة صور من هذه العقد لم يبخل الاستعمار عن تنميتها وتغذيتها في كل لحظة وفي كل مناسبة .

اذن فحال العرب والمسلمين اليوم أسوأ وأسوأ : خصام بين الحكام ومطامع لا حدود لها فيما عند الغير ، شيوخ في يأس وعزلة ، وشباب في قلق وحيرة وانغماس في تيار الشهوات ، تسابق لاقتناء المال من غير سبيله وتهور في الاستخفاف بالقيم والاخلاق ، غلو في البعض ، وتفريط في البعض ، هذه يا عزيزي القارىء حالة المسلمين والعرب ولا يصلح المسلمون مالم يصلح العرب ولا يصلح العرب مالم يصلح المسلمون . الاستعمار بجميع اشكاله بدأ يغزونا بعقائد نوَّع اسماءها : ديمقراطية واشتراكية وشيوعية ، هذا الاستعمار الذي اسس الفرقة المغرورة الجاهلة في الشرق بل وفي كل دول الاسلام ، اوجد هذه العقائد لتكون موضع النزاع الدائم بين افراد كل أمة ، بل كل بلد وسبيل ؛ حقد دائم ، ونزاع لا ينتهي ، وبهذا ضمن المستعمر اسباب الهدم وموجبات عدم الاستقرار . ان مستقبل أمة هذا شأنها يتوقف على مساعي أولي العزم من الرجال .. هؤلاء الرجال الذين لا يخلو منهم زمن مهما طغت شروره ، وكثرت آثامه ، ان الفيصل في دعوته للتضامن الاسلامي وبذله الرخيص والغالي في سبيل تحقيقها يضع اسس البناء للامة الاسلامية الحديثة . فإذا اجتمع اهل الحل والعقد من المسلمين والعرب ، وعرف كل منهم مشاكل الآخر ، وعالجها ، بلطف واخلاص ، فان الامل كبير في انشاء مجتمع اسلامي حديث بأيد مسلمة مخلصة تثبت دعائم الاخلاق الاسلامية ، في النفوس وتحيي البيئة الاسلامية الفاضلة في عصور الاسلام الزاهية ، لتحل محل بيئة انشأها الاستعمار ، وبذر في نفوسها الحقد والكراهية ، والتكالب على المادة ، نسيان كل حق لله في سبيل قرش يدخل الجيب .

ان الطموح الى مستقبل اسلامي عظيم يجب ان يبتدىء داخل كل بيت عربي واسلامي : البيت الصغير قبل البيت الكبير يجب ان تدخل التربية الاسلامية في كل بيت ، يرضع الطفل لبانها منذ يرى النور حتى يشتد ويقوى .

ان التي سترضع رجال المستقبل مبادىء الدين والاخلاق والفضائل هي الام . فعلينا جميعاً دون تخلف او استثناء ان نعتني بالأم : ام الدول الاسلامية الحديثة ، وام الدول العربية الحديثة . ان العناية بالام يجب ان تكون المطلب الاول لاصلاح المجتمع العربي والاسلامي . فيجب ان نخطط لتربيتها تخطيطاً دقيقاً شاملا بعيداً عن العقد والتزمت والاسراف والتقتير .
ان أم المستقبل يجب ان تكون متفتحة واعية سمحة واسعة الافق لا يعتمد على توجيهها للاستقامة بالقوة بل بالخلق .

وبعد فهل تراني اجبت على سؤالك يا عزيزي رئيس التحرير ! انه يسعدني ان كنت قد فعلت فاني اتوق من كل قلبي ان تكون لي يد في عمل يهدف الى الانارة والتوجيه ـ كما قلت في رسالتك ـ وان لم استطع فهذا جهدي ، والعذر بعد الجهد عند خيار الناس مقبول .

السعادة والدين الاسلامي

كنت كتبت سلسلة محاضرات تحت هذا العنوان لا ادري كم هي ؟ أواين هي ؟! وعفواً ايها الافاضل فلعلكم لم تسمعوا حتى الآن : بانسان يساق سوقاً الى الكتابة والتفكير ، وهو في جموحه في هذا الباب وعزوفه عن الكتابة ، واصرار اصدقائه وتحديهم اياه اشبه ما يكون بجمل جافل يصر صاحبه على تحميله ؟ ويصر هو على (البرطعة) فتارة يشتد على صاحبه وتارة يشتد صاحبه عليه ، وكذلك شأني مع اصدقائي الذين يريدون مني ان اكتب وتصر نفسي على النفور ! واشد الناس وطأة عليَّ هم جماعة المحاضرات فانهم رتبوا برنامجهم ، ونفذوه بدكتاتورية جبارة ، ومن جاء دور الكتابة عليه تكفي اشارة اليه من سكرتيرهم ، وليس هناك بد من الاطاعة والرضوخ !

وليس هذا العزوف عن الادب وعن الخوض في مباحثه الطلية ، ناشىء في هذه النفس ! عن بغض للادب نفسه ، اذ طالما سهرنا الليالي على دراسته وقضينا مجالس السمر عن البحث في مكنونات اسراره ، غير ان هذه النفس الفتية التي كانت في بادىء أمرها تنظر الى الادب نظرة تسلية وسلوى ، تطرب وترقص لبيت من الشعر الغزلي الرقيق ، وترتفع وتنحط للحكمة في قطعة من قطع النثر ، تتحمس لهذا الشاعر وترتفع به الى أعلى مصاف الانسانية ، وتتحزب على ذاك فتنزل به الى اسفل الدركات ، وهذه النفس التي كانت في بادىء امرها تكتب المقال فلا يكاد ينشر في الصحف ، وتتناوله ايدي القراء ، حتى تمشي في الارض مرحا ، تكاد تخرق الارض مما هي فيه من الزهو والكبرياء ، اصبحت بعد هذا الدور دور الفتوة والايقاع تنظر الى هذا الادب نظرتها الى كل شيء في هذا الوجود ، نظرة جد وتحقيق ، لا نظرة لهو ولعب ، نظرة يقتضيها سن الرجولة وعقل التفكر والتأمل في هذه الحياة ، هذا التأمل والتفكر اللذيّن أُمرنا بهما في كتابنا العزيز فلا تكاد سورة من سوره تخلو من آية تحث على التأمل والتفكير ﴿ **ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ ﴿ **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾ ومثل هذا كثير .

وبذلك أصبح هذا الادب الذي كان ينظر اليه الفتى اللعوب نظرة تسلية وسلوى بعين هذا الرجل المفكر ، اداة اصلاح ومعول هدم جبار أداة اصلاح في معالجة الامراض الاجتماعية العامة ، ومعول هدم للتقاليد البالية التي تنشأ عن جهل الامة وبعدها عن تعاليم الدين الصحيحة فالاديب الحق في نظري هو الذي يستطيع ان يعالج بقلمه ـ في كل كلمة يكتبها ـ عادة اجتماعية مرذولة او اي حالة من حالاته النابية بكل قوة واخلاص ولا يجوز للاديب ان يتغزل او يتوصف ، او ان يطرق اي باب من أبواب الأدب الاستمتاعي ، ما دامت امته بحاجة الى الاصلاح والهداية (ولأن يهدي الله بك رجلاًواحداً خير لك من حمر النعم) .

وعلى الاديب بعد ان يبلغ بأمته الخير ان يحلق في سماء الخيال فيخلق من الأدب الاستمتاعي ما شاءت له قريحته الناضجة للأمة حتى لا تضحى فريسة للامراض الاجتماعية وقد نشأ قبلنا أدب التشاجر والغزل الرقيق (حمادين الغرام) (حماك الذي انشأك للناس فتنة) هذا الادب الذي انشأ مجتمعاً مع الرخاء المادي ذلك الجيل الذي ضيع نفسه وضيعنا معه فقد تهيأت له الفرص فلم يعرف ان يستفيد منها كما استفاد غيره من ابناء جلدته كمصر والعراق والشام ذلك لان ادباءه لم يوجهوا نظره في زمن الفترة الى الخطر ولم يدعوه للتسلح بسلاح العلوم والفنون لمكافحة الطوارىء بل ساعدوه بالغزل الرقيق على الطراوة واللين فضاع وأضاع .

بهذه العقيدة مارست الادب وبهذه الفكرة كتبت ما كتبت من المقالات ما نشر منها وما لم ينشر ، ولكن بعض اخواننا الذين لم يقدر لهم ان يتمتعوا بحرية الفكر واستقلال الرأي والذين كتب عليهم بسبب بعض الظروف ان يبقوا تحت تأثير الماديين لم يطيقوا ان يسمعوا كلمة الحق يصدع بها صريحة وضاءة ولم يتحملوا ان يقوم نفر من هؤلاء الشباب يفند تقاليدا جروا عليها ولذلك كانت الحملة عليّ شديدة قاسية لم تستطع النفس ان تتحملها وراحت تتلمس العذر في قول الرسول ﷺ « اذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً فعليك بخويصة نفسك » ولذلك عدلت عن الادب ما دام العدول ممكنا وعزفت عنه ما دام العزوف مستطاعاً .

هذه كلمة لم اكن لأقصدها لولا ان التمهيد للموضوع جر القلم اليها جراً . اذن فلنرجع الى موضعنا الاصلي .

السعادة . اذكر اني طرقت هذا البحث فتكلمت عن الموضوع من شتى نواحيه واستخلصت في النهاية رأياً شخصياً احسبه مغايراً لما ذكرته من اقوال العلماء والادباء وخلاصة هذا الرأي هي ان الله سبحانه وتعالى القادر الحكيم قد أوجد هذا الانسان على هذه الارض . واوجد معه في نفسه وفطرته مفاتيح السعادة في هذه الحياة ، ولكن هذا الانسان بضلاله وتنكبه عن الطريق السوي ، قد اضاع فرصة استعمال هذه المفاتيح وراح هائماً يبغي السعادة في الدنيا بغير مفاتيحها فلا يجدها مع انها وهي كمينة بين جنبيه وهو في تفتيشه عنها ينطبق عليه المثل العامي القائل (ولده في عبه وهو يدور عليه) وهذه المفاتيح تتلخص في ثلاث كلمات ، هي استعمال الفضائل النفسية ، واستغلال الكفاءة الشخصية او الميل النفسي والاستمتاع بملاذ الحياة بأقصى حد معقول ودعوني اشرح لكم ما اريد من هذه الكلمات فاني ارى نفسي غير مقتنعة بهذا الاجمال الذي قد يكون مخلا .

الفضائل النفسية كثيرة جداً ، منها حسن اليقين والحلم والكرم والاستئناس .. الخ ما تعرفونه من ذلك ولا شك ان الانسان يولد مزوداً بفطرته بهذه الفضائل لا يميزه عن غيره من

بني الانسان اي تمييز ، ويصح ان تجد بين مولود ومولود مغايرة في القوى الجسمية والعقلية ، ولكن لا يصح ابداً ان تجد فرقاً في الاستعداد الفطري الكلي للفضائل وما تغرسه البيئة من العادات والتقاليد فنفس الطفل صافية كالمرآة او كعدسة المصور تعكس كلما يضعه امامها الابوان ، وكلما تضعه امامها البيئة ، اما الميل النفسي او الكفاءة الشخصية فانك لا تجد انسانا على وجه البسيطة مهما كان يميل الى الادب وبكرا يميل الى الرسم وهكذا وهذا الميل في الانسان مولود معه ومفطور فيه يقويه حسن الاستغلال ، ويضعفه الهجر وعدم التوجه ، وميل الاستمتاع بملاذ الحياة الى اقصى حد ممكن يكاد يكون ملموساً في كل انسان فانه هو الفطرة الوحيدة التي ضللت الانسان . وشهوة الاستحواذ عليها بدون تأمل او تفكير هي السبب الوحيد لشقاء الانسان في هذا العالم .

وبالله عليكم ألا يشعر اي انسان تجتمع فيه هذه الصفات بالسعادة ترفرف بأجنحتها عليه ، وبالامن والاطمئنان يقربه الى ساحل النجاة ، افلا يكون سعيداً ذلك الشخص الذي استطاع ان يستغل فضائله النفسية فلا يضجر ولا ييأس لانه حسن اليقين ولا يغضب ولا يسخط لانه حليم قنوع ولا يجفو ولا يكيد لانه انيس سموح ، ومع ذلك فانه قد أخذ حظاً وافراً في فن من فنون الحياة ونبغ فيه واستطاع بمساعدة ذلك له ان يستخلص لذة الاستمتاع بهذه الحياة بأوفر قسط ممكن .

والسعادة بهذا الشكل ، ارى ان ديننا الاسلامي الحنيف ، قد ضمن لنا اياها خير ضمان فنحن مأمورون شرعاً باستغلال الفضائل النفسية الى اقصى حد ممكن ، وبالابتعاد عن السفاسف والرذائل بكل وسيلة ممكنة أليس نبينا ﷺ هو الذي يقول إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ـ ﷺ ـ ويقول له ربه ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾ وغير ذلك كثير بين ثنايا القرآن العظيم ، وفي قوله ﷺ ـ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه) اشارة ملموسة الى ان فطرة هذا المولود سليمة صافية كالمرآة ، ومن خصوص ضرورة الانتباه للميول النفسية ، والسعي الحثيث لترقيتها واستغلالها ، فقد حث ديننا الحنيف على ذلك بين ثنايا تعاليمه الصحيحة منها قوله تعالى ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله** ﴾ ومنها آيات التدبر والتفكر والحث الكثيرة الورود في كتابنا العزيز ومنها قوله ﷺ اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي قوله ميسر لما خلق له اشارة لطيفة من الشارع من ان كل انسان ولد وفي نفسه ميل خاص الى ناحية من نواحي هذه الحياة يجب عليه ان يحسنه ويرقيه حتى يبلغ به اعلا درجات الكمال .

اما التوفر على الاستمتاع بملاذ الحياة الدنيا ، أفلا يكفيهم فيها قوله تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾

واحسبني قد اطلت وامللت فلا بد إذن من ايقاف القلم والاستسماع من حضراتكم على هذه الفرصة الثمينة التي استخلصتها من حياتكم .

واجبـات الرابـطـة الاسـلاميـة

الرابطة الاسلامية عليها واجبات كبيرة وكثيرة للمسلمين فما هي واجبات المسلمين نحوها اقول ذلك بمناسبة صدور العدد الاخير من مجلة (الرابطة الاسلامية) الشهرية .

الواقع ان الامم الاسلامية تعاني في كثير من الدول ـ وخاصة الدول التي منيت بالاستعمار ـ تعاني جهلا تاما بحقائق دينها وانغماسا عجيبا في التمسك بتقاليد واوضاع على انها من عقائد الاسلام والاسلام منها براء .. فتقديس دعاة الدين المزيفين الى حد غير معقول والالتجاء بهم والتبرك بقبورهم بل مفاجأتهم وانتهاج اوضاع خاصة في الدعاء والذكر والانصراف عن العلم والعمل الى الكسل والجمود .

ان كثيرا من المسلمين في كثير من البلاد الاسلامية وخاصة البلاد التي منيت بالاستعمار يعيشون كالانعام ـ فقدوا شخصيتهم وضاعت معالم الاسلام في اعمالهم واقوالهم واشكالهم انهم قد تفرقوا شيعا ـ هذا تابع لهذا الشيخ وهذا تابع لذلك وهو عدو لهذا وذلك عدو لذاك انها حالة تدمي القلب وتدمع العين .

ان بلادنا منبع الاسلام وحكومتنا حامية حماه ومسئوليتنا عظيمة تجاه كل مسلم قتله الجهل واذله الاستعمار وذوب شخصيته الدجالون في كل قطر اسلامي .

لقد تحقق الحلم الكبير بتأسيس الرابطة الاسلامية في مهد الاسلام وتبلورت واجباتها وعرفت مقاصدها ولكن قل لي بربك ايها المسلم هل انت مؤمن بدور الرابطة بالكلام والكلام فقط ؟ لقد اجتمع المسلمون عدة اجتماعات واستعرضوا الداء ووضعوا الدواء .

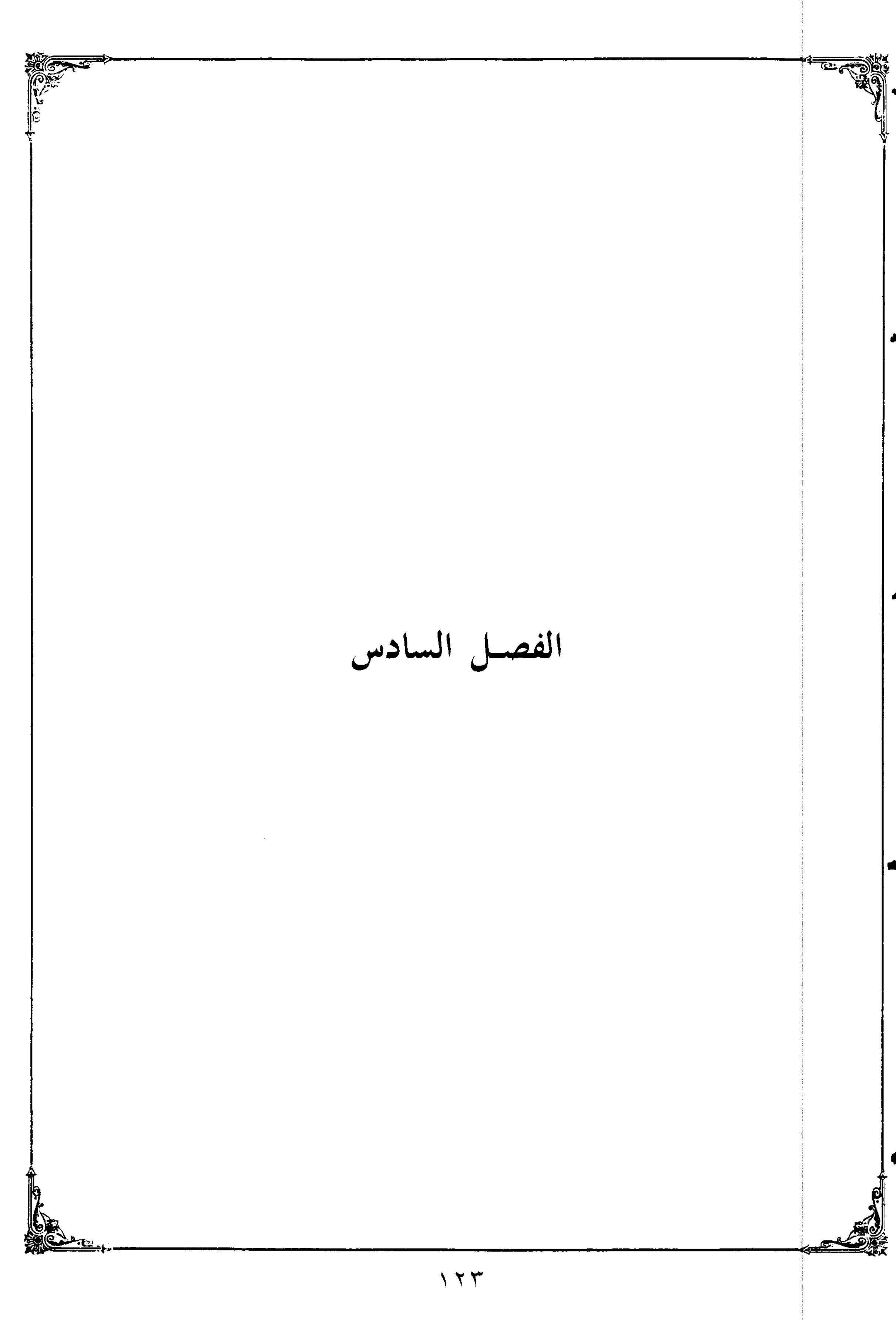
فهل هذا يكفي ـ كلا ان واجبات الرابطة الاسلامية واجبات ضخمة ولضخامة هذه الواجبات تتأكد حاجتها الى الرصيد الضخم من المال فهل دعا المسلمون الممثلون في هذه الرابطة حكوماتهم واثرياء بلادهم لتهيئة المال اللازم لاداء الواجبات الكبيرة التي القتها الخطب والمقالات على كاهل هذه .

ان حكومتنا قد بذلت وتبذل بسخاء لسد حاجات الرابطة المادية ولكن هذا لا يكفي فلا بد ان تشترك في ميزانية الرابطة الاسلامية كل الدول الاسلامية وكل ثري مسلم فبالمال وحده وبالمقدار الضخم منه تستطيع الرابطة ان تنتشل المسلمين من هوة الفقر والجهل التي اوقعهم فيها الاستعمار واعداء الاسلام .

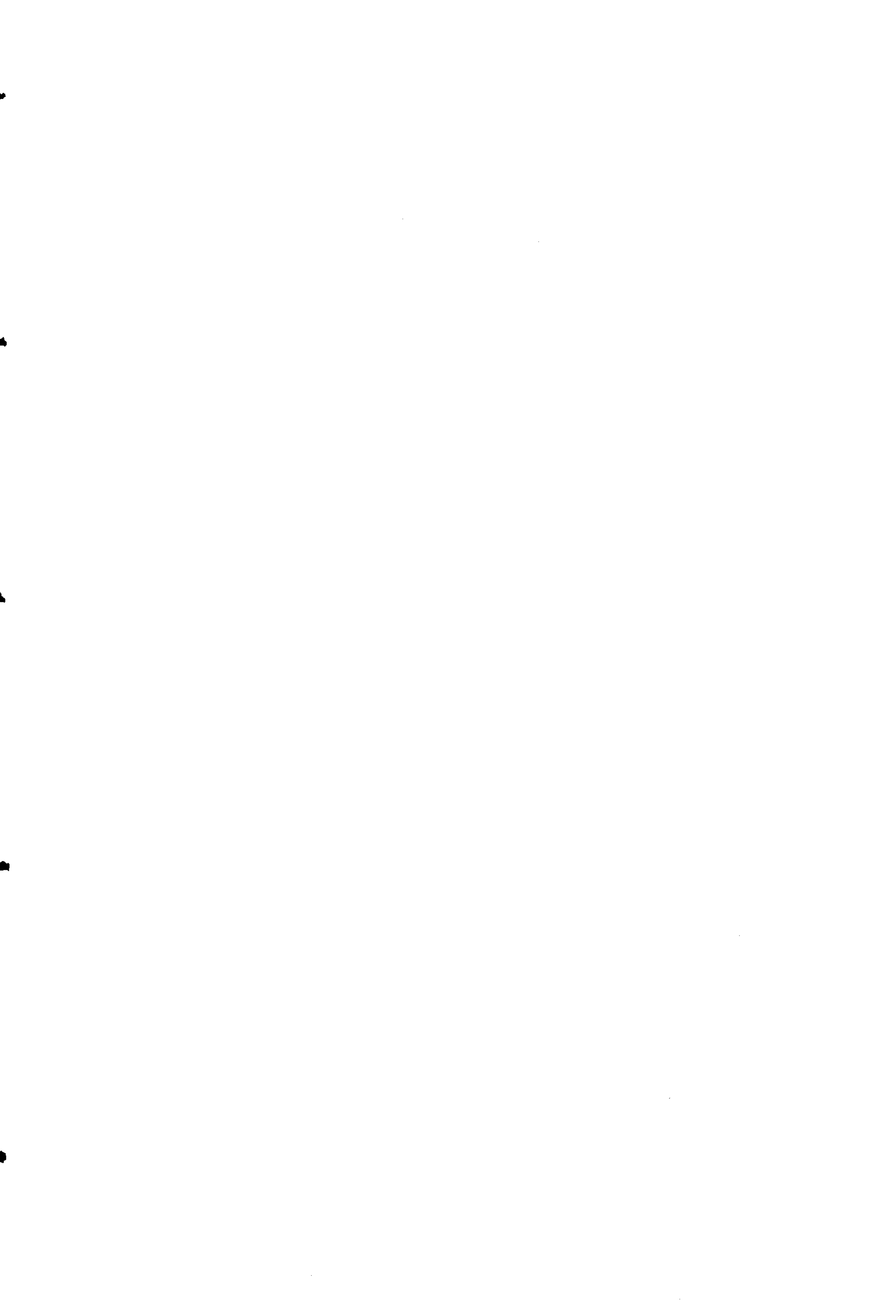
بالمال ايها المسلمون والمال وحده ستكون الرابطة الاسلامية ذات موضوع وذات جدوى .

ابذلوا للاسلام ما بذل ابو بكر وعمر وعثمان ومن نحى نحوهم من الابرار . ان الواجب عظيم والثواب كبير والاجر محتوم وفقكم الله .

محمـود الصـواف



الفصل السادس



كتاب وكاتب

كتاب يستحق التقدير وكاتب يستحق التشجيع .. الكتاب (ظلمات ونور) والكاتب الاستاذ على حسين بندقجي ، عرفت الاستاذ بندقجي منذ عام ٧٠ كان يعمل في مستشفى جدة وكنت مفتشا ماليا مركزيا بجدة وبحكم عملي كنت اقضي في المستشفى اياما كل شهر – ليس مريضا اعوذ بالله ! – ولكن مفتشا على الحسابات والمستودعات وكان الاستاذ البندقجي من الموظفين الذين الفتهم فكنا نتبادل الاحاديث ونناقش المواضيع وكان اهم موضوع يأخذ من اهتمامنا حق المرأة في التعليم .

ومضت الايام وتلاحقت السنون ولم ير احدنا الآخر وبالامس جاءني وفي يده كتاب وجعل يذكرني بالماضي فقد ظن اني نسيته !

وقدم لي الكتاب – ظلمات ونور – من تأليفه والحق اني لم اعرف الاستاذ البندقجي كاتبا : واخذت الكتاب في مجاملة ظاهرة . واحس هو بشيء من البرود في مقابلتي لنبأ الكتاب ودفعني الفضول الى مطالعة الكتاب وانسقت في مطالعته بانسجام .

يقول المؤلف في المقدمة : كتابي هذا (ظلمات ونور) هو خلاصة دراستي في كلية الحياة تسعة عشر عاما وما تعرضت له خلالها من خير وشر الى ان يقول (وانا انقل هذه القصص دون تغطية او تغليف سوى اظهارها في هذه الكبسولات لتكون سهلة الهضم) .

والكتاب انفعالات وتجارب مارسها المؤلف او استطاع ان يصورها للقارىء في فصول الكتاب (الوطنية المعذبة) و(قتل الانسان ما اكفره) والطابور الخامس والرؤساء المستهترون . والقسم الثاني من الكتاب صفحات فخر واعتزاز سجل حافل لرجالات هذا البلد الذين تفانوا في خدمته وشاركوا في اعزاز نهضته والسير بموكبها الى الامام .

والكتاب جدير ان يقرأه كل شيخ وشاب وأنا ادعو قراء المدينة لقراءته وتشجيع كاتبه فتشجيع القراء هو الدافع الاول لظهور العبقريات .

الامم المتحضرة تعتبر واجبا وطنيا ان يشتري المواطن كل مواطن اي كتاب يصدر لاي مؤلف مواطن لان في شراء الكتاب وقراءته ومناقشة آرائه مهما كانت ومن أي نوع كانت دفعا للطاقات الأدبية للانطلاق وبالتالي للتبلور والاندفاع ومن هنا تنطلق شهرة الكاتب ليصبح من كبار الكتاب ويعتز الوطن بكبار كتابه ويفخر ان فكرة استعارة الكتاب لقراءته فكرة هدامة ملعونة فابنوا ايها المواطنون كيان ادبائكم وكتابكم بشراء مؤلفاتهم والاقبال عليها وريالات قليلة لقيمة كتاب لا تؤثر على ميزانية المواطن مهما كانت ضعيفة وان ما يصرف على الدخان والملاهي اكثر بكثير واقترح على كل من جاء ذكرهم في هذا الكتاب ان يساهموا بشراء نسخ منه حسب طاقتهم لاهدائها لاصدقائهم وللمكاتب وارجو ان يستجيب المواطنون ويدركوا واجبهم نحو ادبائهم وكتابهم .

كلمتان في سجل الوطنية الخالدة :

كلمتان قرأتهما في هذا الاسبوع ملأتا نفسي فخرا واعتزازا وغرورا واعادتا الي الثقة التي كدت ان افقدها ـ لقد بدأ يتسرب الى نفسي منذ عهد غير قريب شعور غامض باليأس كلما احسست بهذا الفارق الكبير بين ما نقول وما نفعل ـ وبدأت هذه الاسئلة تتجاوب في دخيلة نفسي ـ هل انتشار الصحف وكثرتها دعاية وتفريج عما يعتمل في نفوس الكتاب والقراء !؟ ام هو توجيه لصرف الجهد في القول ليتسع مجال العمل للمضللين ولتطول في غمرة اساليبه اسباب البت في أمر الاصلاح !؟

وفي هذا الحوار الداخلي كان اليأس يتطرق الى نفسي فيكاد يغلبني على امري وأزهد في كل شيء وتمر بي تجربة قاسية وحياة بلا أمل !

وقرأت هاتين الكلمتين ضمن ما قرأت في هذا الاسبوع فشعرت بنفسي تتفتح وشعرت بالامل يطرق بابها من جديد انهما كلمتان تستحقان التسجيل والتعليق وانه يشيع من خلال سطورهما نور الوطنية الخالد وروح التضحية والفداء في سبيل الصالح العام وان في تسجيلهما وفاء وتقدير للمواطن الصالح واشعار له بما يستحق من تقدير المواطنين ووفائهم .

وقد يكون في تسجيلها ايضا فتح لباب الامل من جديد في نفس كل مواطن مرت به تجربة قاسية كتجربتي فأوقفته على ابواب اليأس ، قرأت احدى هاتين الكلمتين في رسالة صديق كبير ألزمه الأطباء التوقف عن العمل حرصا على صحته وقد كنت كتبت له ارجوه كمواطن وصديق ان يعطي نفسه حقها من الراحة رحمة بها وابقاء لخدماته المخلصة في سبيل امته وبلاده وهذا نص ما جاء بتلك الرسالة .

« ان نصيحتكم الاخوية لي بعدم الجور على نفسي وجسمي وضرورة الترويح عن النفس بتغيير الجو اشفاقا منكم على صحتي ومحافظة عليها فاني مع شكري وتقديري للدوافع التي حملتكم على ابداء هذه النصيحة فاني اعتقد ان هذا ليس في مقدوري حيث اني اعتبر نفسي مجندا لخدمة هذا الوطن الحبيب وفي سبيله ما أنا قائم به الآن وقبل الآن وليس يهمني بعد هذا ان يذكرني او ينساني احد ويكفيني عزاء ان يكون مجهودي المتواضع في خدمة بلادي وامتي مثل هذا التقدير من المواطنين المخلصين وان التاريخ لن يهملها في صفحاته الغراء » .

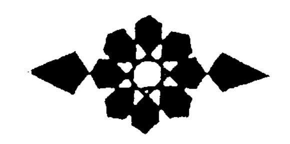
هزتني في هذه الكلمات وأنا اتلوها صدق العبارة ومطابقتها من كل الوجوه لحالة الصديق العزيز فهو يحسب مركزه الكبير قادراً على ان يقضي اكثر من اجازة في اجمل مصايف الدنيا وان يشترك في اكثر من مؤتمر في المؤتمرات الكثيرة التي يشترك فيه رجالاتنا وهو سبيل مشروع للسياحة والترفيه وهو بمكانته الادبية المرموقة قادر على ان ينتهز كل فرصة لينشر ما يبذل من جهود وما يقوم به من عمل متواصل ولكنه لم يفعل وقضى ويقضي حياته في عمل مجهد صامت واني اذ لم اذكر اسمه هنا فانها محافظة مني على تواضعه ومبدؤه في العمل الصامت

ويدخلون بابها الكبير بشتى التفاسير والتأويلات لقد اثبت هذا الموظف الكبير اننا ما زلنا بخير وسنصل الى القمة ان شاء الله .

واني اسجل للصديق العزيز وللموظف الكبير في امانة العاصمة على صفحات جريدة المدينة الغراء تقدير الوطن والمواطنين جهادهم المخلص وموقفهم النبيل .

وهو رغم ذلك معروف فالمجاهدون المخلصون جوهو نادر والجوهر النادر لا يخفي شعاعه المضيء .

اما الكلمة الثانية فقد قرأتها كما قرأها غيري على صفحات اليمامة الغراء بعنوان « العظة والعبرة » تلك الكلمة التي قرأنا بين سطورها شعور العزة والكرامة والخلق العالي ذلك الخلق الذي طالما افتقدناه فلم نعثر له على اثر فلقد اثبت هذا الموظف الكبير بأمانة عاصمة الرياض بترفعه عن المحاولة الدنيئة ، محاولة الرشوة التي اعتاد الناس ان يجروا اليها بعضهم بعضا



الشباب المدني
عوامل تكوينه ماهو عليه اليوم وما ينبغي أن يكون

مقدمة

ان الاشياء لا تاتي من فراغ ولكنها دائما ترتكز على دعائم اقلها الاعراف بين الناس . وفي الاعراف تتكون التقاليد ومن التقاليد تأتي العادات ومن العادات ما هو سيىء ومنه ما هو عظيم والاشياء ربما تكون احداث جسام وربما تكون قرارات وانظمة وحياة شعوب ، وفي كل الحالات هناك الدائرة التي ينطلق فيها الزمن ويصبح فيه الحاضر مستقبلا ومن ثم ماضيا وكل ماضٍ يصنع التاريخ والأمة التي ليس لها تاريخ انما هي امة تعيش الضياع لأن رجلاً بمفرده لا يصنع تاريخ وانما يربط سلسلته بمن سبقوه واروع الاجيال تلك التي تضيف من براعة حاضرها الى عظمة ماضيها شيئا يمزجهما معا فتقوى الايام على احتضان الأمم فيبقى الجمال متغلبا على جوانب الظلمة التي لابد وان يعايشها اي من ابناء آدم .

كنت وعدت منذ شهور واسابيع ـ لا اذكر بالضبط ـ ان اكتب في هذا الموضوع اجابة على رغبة صديقي الاستاذ ضياء الدين رجب ، وانا وان كنت مدينا لجماعة المحاضرات بهذا الوعد فانه جدير بي ان اصرح هنا باني طالما ترددت في الوفاء به واخترت النكوص عن الاستثقال بعبئه وذلك لما يتطلبه هذا البحث من المس المؤلم لكثير من جوانب حياتنا العامة التي لها اثرها الفعال في تكوين الشباب المدني الذي هو عليه اليوم وما يكلفه هذا المس من اثارة الرأي العام وما توحيه هذه الاثارة لبعض المغرضين للنيل والتشويه من سمعة الكاتب الباحث وما يوحيه الحكم على ان الامر لم يقف عند هذا الحد بل ان الكلام عن الشباب لابد ان يجر بطبيعة الحال الى الكلام عن الشيوخ باعتبارهم مكوني هذا الشباب وعليهم وحدهم تبعة ما فيه من نقص وعيب كما ان لهم وحدهم ما عليه هذا الشباب من موجبات الفخر والزهو ، ولا أظن ابدا مهما غالطت نفسي وحاولت من القلم لطفا ورقة ان اكتسب الرضا من اثارة هذا الموضوع .

على ان التردد نفسه عيب من عيوب النفس وهو في جملة المآخذ التي نريد ان نأخذها على شبابنا الناهض فلا يصح ابدا ان نتصف به ونكون عند حد قول الشاعر : طبيب يداوي الناس وهو مريض : ومع هذا فاني واثق باني لا اعدم عطفا وتقديرا من بعض هذا الشباب الذي ادرك ما بنفسه من العيوب وسعى بجهد لانتزاعها من نفسه تغالبه في ذلك العوائد والتقاليد ، بل انا على يقين كبير بأني ولابد واجد من بين الشيوخ انفسهم من يعطف على هذه النزعة ويقر بأن هذا الزمن يتطلب من الشباب غير ما اعدوهم له وهم على ذلك محزونون أسفون ، وهذا يكفي لأن يحملني على الاقدام وتحمل المسئولية ولا ادعي العصمة في البحث

بل اني حريص كل الحرص على أن افتح باب البحث على مصراعيه واستثير بكلمتي هذه كتابنا الافاضل من شيوخ وشبان فتتبارى في بحثه وتمحيصه اقلامهم لنتمكن بعد ذلك من تلافي النقص ونقوي موجبات الكمال في شبابنا الناهض ، غير اني اقول بملء شدقي ان رائدي في هذا البحث هو الاخلاص وحب الاصلاح « ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » .

من التمشي مع الحقيقة بل من الانصاف لشباب المدينة ان نحلل الظرف الذي نشأ فيه والعوامل التي كونته وان نذكر العوائد والتقاليد التي هيمنت على تكوينه هذا التكوين المشوب بالضعف والانحلال قبل ان نفتح شفتينا بالحكم عليه او له .

الظرف الذي كون شباب المدينة الذي يصح لنا ان نتكلم عنه كمثير لهذه الكلمة وباعث لها ينقسم الى ثلاثة اقسام او بعبارة أدق يتكون من ثلاثة ادوار يختص كل دور منه ببواعث وموجبات مباينة كل المباينة عن مثلها في الدور الثاني وهذا الاضطراب في البواعث والموجبات كان من اسوأ ما مني به ابناء هذا البلد بالنسبة الى البلاد الاخرى التي حلت عليها مثل هذه البواعث وذلك لمحل هذه البلاد وانعدام وسائل المادة فيها .

الدور الاول

ويبتدىء الدور الاول من اواخر حكم الاتراك فمعظم الذين نعني بالبحث عنهم في هذه الكلمة هم من مواليد ذلك العهد ، وجدير بنا ان نمهد للكلام على ذلك العهد بتقدمة من كلام الاستاذ احمد امين العالم الاجتماعي المصري المعروف ، يقول الاستاذ احمد امين في مقال كتبه في الرابطة العربية تحت عنوان (الشرق يتطلب اخلاقا جديدة) « اصيب الشرق من قديم بأنواع من الحكم اتلفت نفسه وافسدت خلقه ، فحكم الاتراك لبلاد الشرق كان اشبه بحكم الاقطاع ، يعينون الوالي على الشام او مصر او العراق وهو يلتزم لهم بمال يؤديه كل سنة ثم هو بعد مطلق اليد في التصرف فكأن كل قطعة مزروعة يؤجرها المالك لمن رسى عليه المزاد وليس يهم المالك شيء مادام المستأجر يدفع الاجرة فأساس الحكم عندهم منفعة لانهم يرون سطوته لا حد لها ولا يرون سلطة اخرى تحاسبه على عمله : فلا يرون وسيلة للمحافظة على أرواحهم واموالهم الا بالاستكانة والملق والغش والكذب والخداع ثم الكسل والخمول لأنهم لم يأمنوا ان تكون ثروتهم لهم وان تكون نتيجة سعيهم وكدهم لأنفسهم فيكفي الوالي ومن يلوذ به ان يشتهي مصادرة غني في املاكه فيتم له ذلك في هدوء وسكون كأنه عمل مألوف مشروع ومن اجل هذا ساءت الزراعة وكسدت التجارة وتعطلت الاعمال ومن اجل هذا ايضا كان الناس يحمدون الله على الفقر اكثر مما يحمدونه على الغنى لانهم يرون كل يوم احداثا تصادر فيها اموال الاغنياء وتدبر الدسائس والمؤامرات لاغتيالهم ، اما الفقير فيحمد الله على السلامة وانه لم يكن

موضعا لنظر الولاة وذوي النفوذ . فنتيجة كل هذا ان تسود في الامة اخلاق العبيد فخير الاخلاق عندهم التواضع وخير ما في الدين الاستسلام لقضاء الله وقدره وخير علاقة بين الرئيس والمرؤوس هو الامر من الاول حسبما يشتهي لا حسبما ينبغي والطاعة العمياء من الثاني . ومن يعرف الاستاذ احمد امين ويعرف مكانته العلمية العالية ودقة نظرته في شؤون الشرق الاجتماعية يعرف ما لكلمته هذه من الوصف الصادق والاثر الصحيح لذلك العهد الذاهب .

واذا كان هذا شأن الولايات التي كانت تستغل الدولة اموالها فما بالك بالولاية التي كانت تعطيها الدولة ولا تأخذ منها .

كبار الرجال

ما هي الخصائص التي تميز كبار الرجال عن غيرهم ؟

لو ألقي علينا هذا السؤال مفاجأة وطلبت الاجابة عليه حالا وباختصار لأجبنا :

اولا : شدة حساسيتهم وسعة مداركهم .

ثانيا : خصوبة خيالاتهم وسعة مداركهم .

ثالثا : قدرتهم على الصبر والاحتمال والاستمرار في العمل لتحقيق الهدف .

وهذه الصفة الاخيرة هي أهم الصفات الثلاث وقد يستغرب البعض اعطاءنا الاهمية الكبرى للصفة الاخيرة اذ ان المعروف ان من ابرز صفات الاذكياء التعجل وعدم القدرة على المداومة والاستمرار . ويتميز ثقلاء الفهم بالجد والجهد والاستمرار في العمل وهذا صحيح فلو أردنا ان نضرب الامثال لاستطعنا ان نعين كثيرا من الاذكياء يتصفون بالتعجل وضيق الصدر وسرعة الملل ـ ولكننا لا نجد شخصية واحدة من بين المشاهير لم تكن حياتها كلها جهدا وعرقا مع الذكاء وحسن الفهم .

وفي تتبعي سير المشاهير ودراستي لتاريخ حياتهم وجدت ان الصفة التي تكاد تكون لازمة في حياة كل عظيم هي العمل والجهد والاستمرار واعجب ما يلمسه الباحث في تاريخ هؤلاء الكبار ان ايامهم الاخيرة تمتاز بالجهد والكد والاستمرار وتكون ختاماً لاعمال جليلة ذات آثار خالدة .

وقد اصبحتُ بعد هذه الدراسة أؤمن بان الجهد والعمل المستمر هما صفة الرجل الكبير .

وعندما يذكر عندي بالثناء شاب ظهرت عليه دلائل النبوغ فأول سؤال اسأله عنه . هل هو دائم الاستمرار على العمل . فاذا قال نعم امتلأت نفسي اعتزاز وفخرا به .

أيها الشباب ان الجهد والعمل والاستمرار هما صفة الرجل الكبير فاعمل باستمرار لتكون رجلا عظيما .

الجنسية ، الوطنية ، وموقفنا إزاءِها
جهود الحكومة في هذا السبيل

لا تكاد تقرأ لمؤرخ من كتاب العصر الحديث الا وتراه يعزو بكل قوة وتأكيد اسباب التأخر والانحطاط الذي لازم الحجاز في ادواره الاخيرة في القرن الفائت الى تفكك الروح القومية في سكانه تفككا محا الروح الوطنية الصحيحة فيهم ، وابعدهم كل البعد عن الالتفاف حول الغاية الوطنية المقدسة والفناء والاضمحلال في سبيلها وهذا بالطبع عندهم راجع الى الاختلاف العنصري في سكان الحجاز الذين نزحوا اليه للغاية الدينية المحضة ثم استكانوا بحكم الظرف والواقع الى ما يبذله ـ للغاية الدينية نفسها ـ رواد هذه البلاد من مصالح وخيرات فعاشوا عيشة زهيدة كانت في بدء امرها اقرب الى الانقطاع عن الدنيا منها الى الاحتفاء بها وكثيرا ما حافظ كل جنس من هؤلاء النازحين على اسلوب حياته وتقاليده في بلاده لييسر للرواد من ابناء قومه امر قيامه بينهم ويخفف عنهم وطأة الغربة والسفر ، ثم هو في نفس الوقت يضمن بذلك عطفهم ورعايتهم اكثر من لو انسلخ عن تقاليده ومزاياه الجنسية وبذلك ضاع التمازج والتآلف وتكونت مجموعة هي ابعد ما تكون غاية واغراضا واقرب ما تكون تنازعاً وشقاقاً وهذا الكلام وان كان يبدو وجيها في ظاهره فاننا نعتقد انه على النقيض تماماً مما يراد به ، فما كانت الجنسية يوما تمحو الوطنية او حتى ان تبدوا اثراً واضحاً فيها بل ان امتزاج العناصر المختلفة في الوطن الواحد ادعى في نظرنا الى ازدهار الحضارة القومية فيه واثبت في تعدد مظاهرها من اي حضارة اخرى ذلك لان كل عنصر من هذه العناصر المختلفة يحتفظ بميزة قل ان تجدها في غيره ، فالعنصر المغربي مثلا يمتاز بالشجاعة والاقدام بينما يمتاز العنصر الهندي بالفلسفة والدرس وهكذا دواليك ولا يشك احد ان هذه المميزات متى عملت مجتمعة فانها سوف تنتج ارقى الحضارات العالمية .

ولماذا نذهب بعيدا فهذه الحضارة الاسلامية التي كانت ولاتزال صاحبة المقام الاول بين الحضارات العالمية المختلفة ازهى حضارة عرفتها الامم حتى الآن ولا اخالك الا مقررا معي ان ذلك انما يرجع في الفضل الى الترابط الاسلامي الذي انشأ كتلة مختلفة الميزات متحدة المقصد والغرض فأنشات ما نسميه اليوم الحضارة الاسلامية .

والسبب الوحيد في جمود الروح الوطنية التي يقرره المؤرخون المتأخرون في الشعب الحجازي في رأينا يرجع الى اسباب سياسية تتصل بالخلافة وامرها اكثر مما تتصل بالوطنية الحجازية واختلاف عناصرها فقد كان رجال السياسة في تلك العهود يطاردون كل فكرة وطنية ويعدونها جرماً لا يغتفر جزاؤه الا ان يكون في دائرته السياسة المحدودة وقد ابدع رجال ذلك العهد كل الابداع في تكييف الوطنية على حسب الطلب واستعملوا الطرق العملية في

افنائها ومحاربتها فقتلوها شر قتلة ومزقوها شر ممزق ، ولا ارى المجال يتسع لاكثر من هذا التفصيل ، وكان من جراء ذلك ما عاناه الحجاز اشد المعاناة في هذا الباب من التفكك وركود الروح الوطنية فيه الى اقصى حد وانبعاث عوائد وتقاليد كانت كفيلة لابقاء كل هذا يتغلغل في النفوس مدى الزمن ويهيأها لايجاد بذور الفتنة والشقاق كلما عنّ للمصلحين ان يعالجوا هذا الامر .

بقى علينا فيما نظن ان ندلل على قولنا انه ليس هنالك تعارض بين الجنسية والوطنية ونثبت ذلك بدلائل حال واقعية قد لا يستطيع القارىء انكارها ولو انه استطاع تحويرها وتدويرها .

جرت سنة الله في خلقه منذ نشأ الكون ان اودع في النفوس حب التحول والانتقال ثم انه اودع فيها حبا لبعض البقاع وتفضيلها والتفاني في سبيلها وبذل النفس والنفيس في ترفيعها وترقيتها فما كانت امر يكافي الاصل منشأ لهؤلاء الذين يسكنونها اليوم والذين يمثلون في مجموعتهم اكثر اجناس الدنيا بكل ما فيها من معنى الاختلاف لكن حضارتهم مع ذلك ارقى حضارة عصرية وحكومتهم اعز وامنع حكومة على وجه الارض .

ولو لم يكن محمد علي في مصر ممن نشأ على ارضها ولكنه هام حبا فأنشأ حضارتها الحديثة التي تبني عليها مجدها اليوم وتملأ شدقيها بالمفاخرة بها في كل وقت وحين وهكذا قل في الامويين بالنسبة الى سورية والعباسيين بالنسبة الى بغداد والعرب بالنسبة الى الاندلس وهكذا قل في انتساب كثير من الادباء والشعراء الذين طبق ذكرهم الآفاق ، فالوطنية على هذا القياس تستند الى الجهود المستمرة التي يبذلها الوطنيون في سبيل الموطن الذي نشأوا فيه ، وبقدر هذه الجهود ولمعانها في تاريخ هذا الموطن يكون صدق الوطن والتهاب عقيدته الوطنية وكثيراً ما يرفع هذا الجهد الى الذروة ــ في تاريخ بلاد ما ــ اسماء ابطال لم يكن لهم حتى شرف المولد في هذه البلاد وكثيراً ما يطرد هذا التاريخ اسماء رجال عريقين في انتسابهم لموطن ما بسبب خيانتهم لذلك الموطن وموقفهم الموقف السلبي ازاءه في احرج ساعاته .

والحجاز مهجر العالم الاسلامي وموطن شعائره الدينية لا يمكن ان تتحقق الوطنية فيه ــ في رأينا ــ الا بهذا المعنى الذي فصلناه وهو معنى سام لو صرفنا الجهود متحدين الى اقتطاف ثماره واستغلال مواضع الاستفادة فيه .

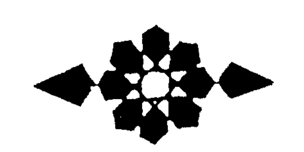
وقد احسنت الحكومة عندما شرعت في تطبيق نظام الاقامة الذي اصدرته سنة ٥٦ فهو خير كفيل لضمان الوحدة الوطنية بالمعنى الذي شرحناه فكل انسان رغب بطوعه واختياره ان

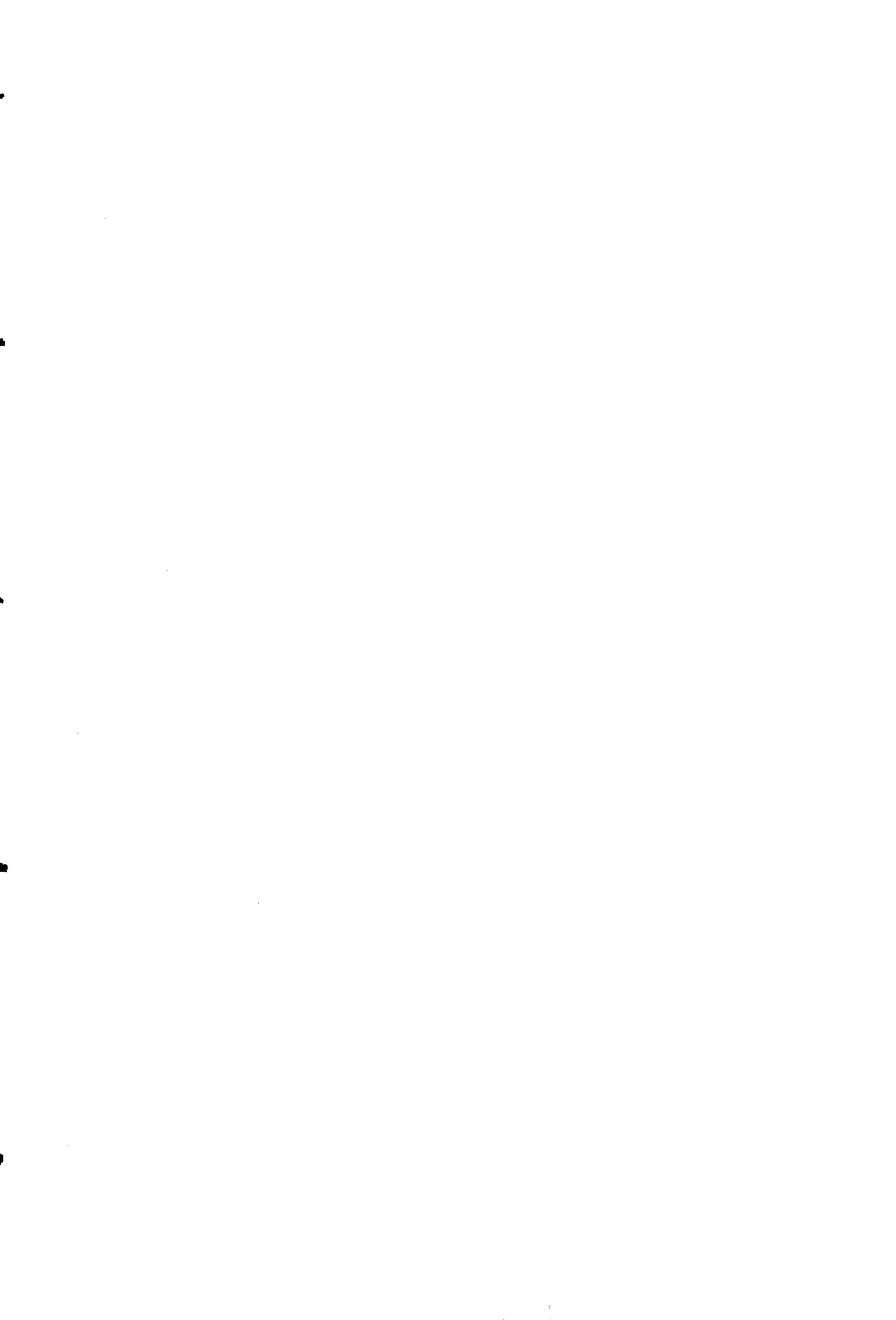
يدخل في تبعية الحكومة العربية السعودية يجب عليه ان يتنازل بطوعه واختياره ايضا عن النعرة الجنسية ويوجه جهوده الوطنية الصادقة في خدمة وطنه الاسلامي العام الذي اصبح بدخوله في تبعية حكومته وطنا خاصا له .

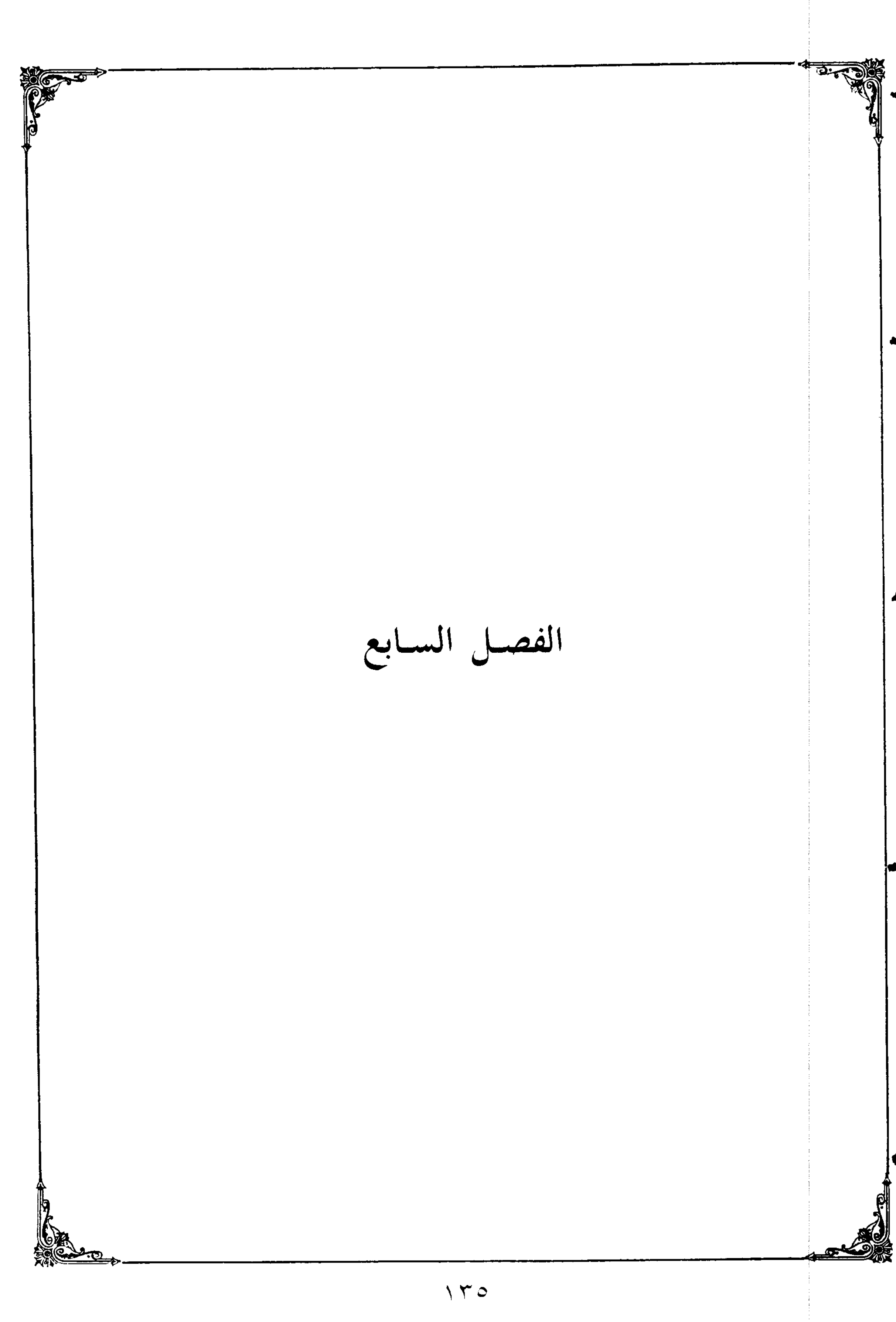
ان مستقبلنا يتوقف بصفة خاصة على جهودنا في ايجاد الوحدة الوطنية واثبات عقيدتها المقدسة في نفوس النشء والشباب والشيوخ على السواء .

يجب علينا ان نفتح اعيننا لنرى مدلولات الزمن ففيها الدرس القاسي لكل من تصفح آياتها البينات . ان التغاضي عن الحقيقة الواقعة واغماض العيون عن رؤيتها لا يغير من جوهريتها ثم هي ان لم تقابل بالشجاعة والاقدام قمينة بان تنتج اسوأ النتائج وتؤثر اقبح التأثير .

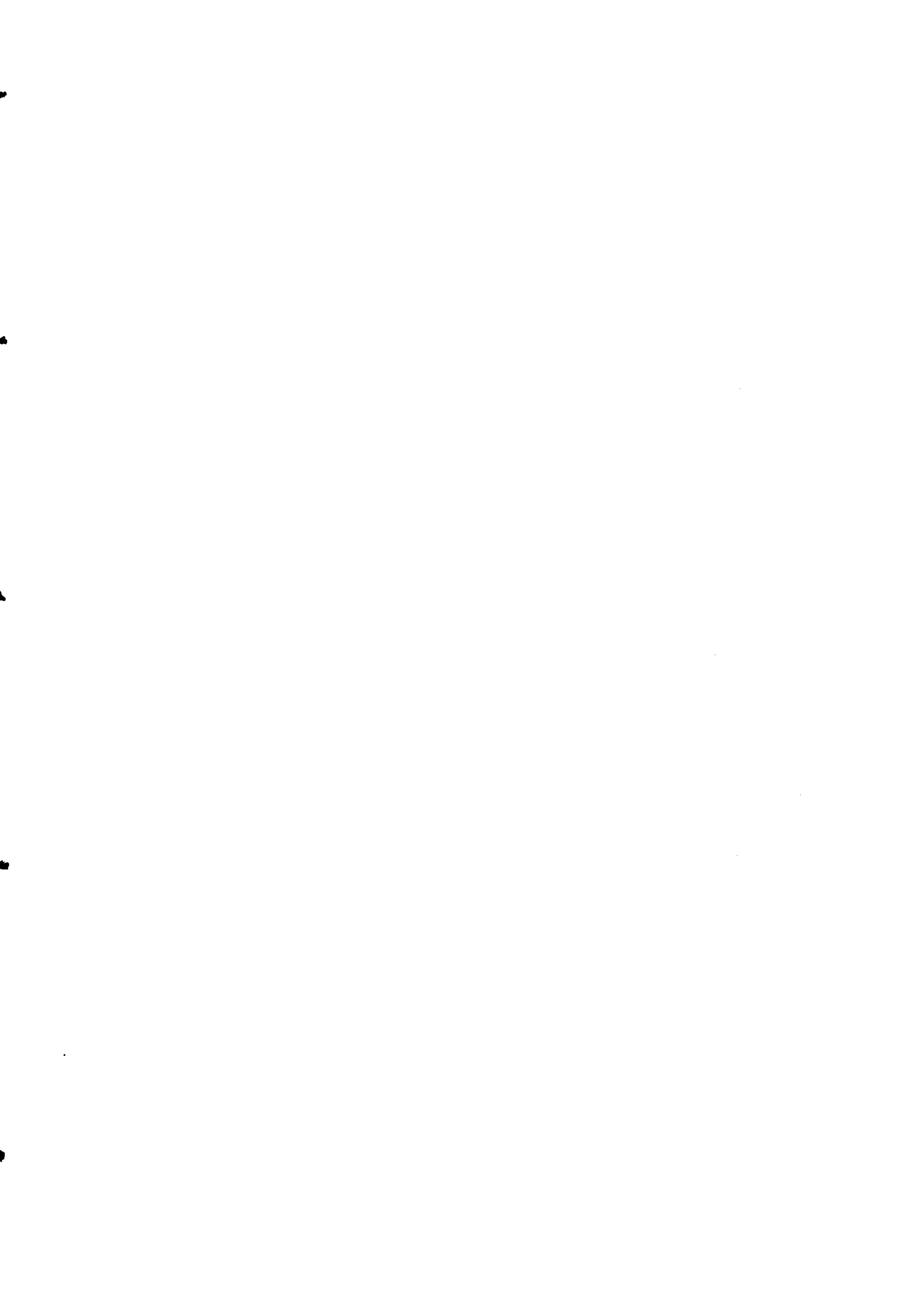
ان الواجب يقضي علينا ان نكون عمليين فقد كنا بعيدين عن ادراك المخاطر التي تحاك حولنا وذلك كان السبب الاول في بقائنا في غفلاتنا اما وقد كشف الزمان لنا القناع وكتب لنا بحروف بارزة ما كان وما يظن ان يكون ولم يبق حتى من المبتدئين في التهجي منا من لم يقرأ ذلك فما علينا اذا الا ان نكون عمليين في ايجاد الوحدة الوطنية فلا نفرق بين اي فرد وفرد ممن يحمل تبعية حكومتنا فعلى هذه الوحدة يتوقف تسلحنا ضد الطوارىء مادة وادبا فقوة الامة في قوة عقيدتها ونجاحها انما يكون بقدر تضحيتها واخلاصها لعقائدها المقدسة .







الفصل السابع



جامعة الملك عبدالعزيز

اليوم ستمتد يد ضخمة تدق باب التاريخ الكبير لتدخل منه امة نامت طويلا واستيقظت لتجد نفسها متخلفة ، يجري العالم وهي تتلكأ . اليوم ستضيء أمنية كبيرة هي امنية الشيخ الذي فاته الركب فكرس ما بقي من حياته ليضيء لابنائه الطريق .

اليوم يوم كبير ستتحدث عنه الاجيال في تاريخ هذا البلد العظيم .

لقد كانت فكرة انشاء الجامعة الاهلية في المنطقة الغربية فكرة جريئة لان الجامعة اي جامعة وفي اي بلد لا يمكن ان تبني ليشاهد الناس ضخامة بنائها او ليتفنن المهندسون في رشاقة ترسمها ان الجامعات تبنى لبناء الرجال .

ومتى فكر المواطنون في بناء الرجال فقد فكروا في كل شي لموطنهم العزيز ـ اعطونا رجالا وخذوا منا كل شيء ان الذين يفقدون الرجال يفقدون كل شيء ! لقد عشنا اجيالا نغط في نوم عميق وكلما كانت تبدو بادرة صحو كان الشعبيون وحكام الاستعمار يضربون ضربتهم ليعيدونا الى الوراء مئات السنين . لقد كان المخلصون والعلماء النابهون مُطاردين . لقد كنا نقدس من يدعونا الى عبادة القبور وننفر من يدعونا لعبادة الله نقدس من يتكلم الاعجمية ونستهين بمن يدعو الى لغة الضاد . هكذا عشنا دهرا طويلا نخرب بيوتنا بأيدينا ونركن الى الخمول والجهل ونمد ايدينا ليتصدق علينا الناس نطلب الجراية من مصر ونستجدي العالم الاسلامي بجيرتنا لبيت الله والمدينة التي هاجر اليها الرسول عليه افضل الصلوات والسلام . واخيرا جهدنا وبعد جهد جهيد سطع النور وسمع صوت الحق في قلب الجزيرة ودعا الداعية الكبير محمد بن عبدالوهاب الى الرجوع الى مبادىء الدين الصحيحة وقام الى جانبه آل سعود يناصرون الدين ويدعمون دعوة الحق واستيقظت الامة العربية من سباتها وعرفت الكائدين لها والمجرمين الذين يريدون ان يطفئوا نور الله وعمت اليقظة وتفتح الوعي وتقدمت الجموع نحو النور .

نعم ان ما يعم الجزيرة اليوم من نهضة علمية وعمرانية واقتصادية هو شعاع من ذلك القبس المضيء . واليوم التاسع من شهر جمادى الثانية عام ١٣٨٤ هـ الذي يجتمع فيه الفيصل العظيم بخيرة رجالات هذا البلد يوم مشهود وامتداد لليقظة المثيرة .

اننا في هذا اليوم سندخل التاريخ من اوسع ابوابه وسيسجل التاريخ بأحرف من ذهب لكل مواطن مد يده ليضع لبنة في بناء الجامعة الاهلية . اليوم يوم العلم اليوم يوم النور اليوم يوم الوطنية المخلصة الصادقة الهادفة .

فاثبتو يارجال وحققوا الامال الكبار حققوا للاجيال المقبلة بناء الصرح العظيم صرح العلم والمعرفة صرح الخلود واكتبوا اسماءكم في صفحات الخلود . هذه دعوة مخلصة من مواطن

مخلص واني لواثق كل الثقة انكم ستجيبون . سيتبرع كل رجل بما يستطيع وكل امرأة بما تستطيع لبناء الجامعة الاهلية (جامعة الملك عبدالعزيز) .

وبهذه المناسبة فاني اوجه نظر هيئة الجامعة الى مبالغ كبيرة كانت قد جمعت في مناسبة وطنية لبناء مدرسة نموذجية وكان من اعضاء هيئة جمع التبرعات المرحوم محمد الطويل وخيرة من رجالات هذا البلد وجمعت مبالغ كبيرة لهذا الغرض ـ حبذا لو بحثتم عن هذه المبالغ وادرجتموها في ميزانية (جامعة الملك عبدالعزيز) .

حقق الله الاماني وسدد الخطى .

مدرسة النجاح في تكوينها الجديد

المدينة تتصدر للواجب في أدق معانيه وتتحمل العبء في احرج الظروف

يقول الانكليز في امثالهم ما معناه (في كل غمامة مظلمة بارقة وضاءة) يريدون ان كل نازلة تحمل بين طياتها اسبابا قوية لحياة جديدة زاهية والواقع ان في المصائب دروسا محتمة النتائج في حياة الامم والافراد .

فكثيراً ما تطغي حياة الترف وحسن التوفيق أو الحظ ـ ان شئت ـ على بعض الافراد فتجعلهم يعيشون عيشة خيالية لا تتصل اسبابها بالحياة الواقعية التي يحياها معاصروهم وابناء جلدتهم ولكنهم لا يلبثون ان يتدرجوا وهم في غرورهم من درك الى درك حتى يجدوا انفسهم في آخر الامر في الدرك الاسفل من الحياة فيفتحون عيونهم فيلتمسون الواقع بقساوته والحقيقة مجردة عن الزخرف والزيف ويريدون عندئذ ان يتصنعوا التكيف بالواقع ويجاهدون لاصلاح ما افسده الحظ او حسن التوفيق ولكن في الوقت الذي انهارت فيه جميع الاسس وانهدم فيه كل البنيان .

وكذلك شأن بعض الامم التي تطغي عليها حياة المجد وتسيطر على ماضي تاريخها صفحات البطولة فتعيش ثملة بذلك المجد الخيالي وتلك الحياة الماضية الرائعة ممعنة في الاستمتاع والرفاهية متدرجة في الهبوط والانحطاط النهائي .

والذنب في ذلك كله انما هو على حسن التوفيق المتسلسل او ان شئت على الحظ الموافي . اما الامم التي تعيش تحت « السندان » تنبهها الاحداث كلما اوشكت ان تغمض العين وتستسلم لحياة الرفاهية ومعاني الخيال فهي اثبت الامم رسوخا في الحضارة واقدرها على الاستمرار على السير في المقدمة ، ولا شك ان افرادها يكونون اصلب عودا واقوى احتمالا واجدر بالاستمتاع بمعاني الحياة السامية في جميع مرافقها الجديرة باللذة والاستمتاع .

والنازلة التي نزلت « بمدرسة النجاح » بسبب استقالة مديرها وخلو صندوقها من المادة لاشك انها قاسية المفعول جديرة بالتأسي ، مفعمة باسباب الايلام ولكنها قد انتجت هذه النتائج الباهرة جديرة بان تقابل بالصبر والشجاعة والانتباه .

اجل لقد كانت اسباب الحياة ـ على رأي المثل الانكليزي في هذه النازلة قوية وباهرة الى ابعد حد ، فقد برهنت على شعور وطني نبيل وتوافق على خدمة المصالح العامة وعدم اكتراث للاسباب والنتائج الشخصية جريا وراء الصالح العام ، وهذه اول فرصة للامة الحجازية من هذا النوع تظهر فيها بهذا المظهر الرائع نسجلها مقدرين مفتخرين فقد قامت قيامة الادباء وراحوا يكتبون في الموضوع طوال المقالات بشعور نبيل وعاطفة ملتهبة وافسحت الصحف صدورها فهيجوا النفوس الكريمة واثاروا الشعور الوطني الكامن فانتدب المخلصون من البلد الامين وسعى المندوب يقطع القفار ليشترك في تدعيم البنيان واصلاح ما أفسدته حوادث الزمن واجتمع المخلصون من ابناء هذا البلد وفي يوم وليلة تدعم البنيان ودخلت مدرسة النجاح في دور التكوين الجديد مفتخرة مباهية بأن كانت السبب الوحيد لكتابة صفحة من صفحات الوطنية الخالدة لهذا الوطن المجيد .

لقد تفضل آل الخريجي فشملوا المدرسة برعايتهم واخذوا مسئولية تسييرها على عواتقهم ، ومعنى هذا في العرف العام والخاص ان مدرسة النجاح اصبحت جزءاً من تاريخ آل الخريجي كما اصبح مشروع الخرج جزءاً من تاريخ معالي وزير المالية الجليل وكما اصبحت دار الايتام في مكة والمدينة جزءاً من تاريخ حياة سعادة مهدي بك المصلح ويكفي لرسوخ المشروع ان يكون جزءاً من حياة كبير وعظيم ولا نرى بدا من ان نسجل بالتقدير والاعتراف المساعي المخلصة التي بذلها الاستاذ الفاضل السيد حسين طه وصديقنا العزيز والسيد مصطفى عطار والوطني الكريم الشيخ عبدالحي قزاز والاستاذ النبيل حسني بك العلي « مدير دار الايتام » ورجل المصلحة العامة الشيخ ابراهيم العلي التركي ـ في تدعيم بنيان المدرسة وحفظ مركزها العلمي وما أبدوه حضراتهم من الحب والحنان على هذا المشروع العلمي العام واننا نؤكد ان مؤسس دار النجاح ومديرها السابق هو اغبط الناس لهذه النتيجة الحسنة التي تركزت عليها مؤسسته العلمية حيث قدر له ان يرى مصيرها الثابت في حياته ويطمئن الى صفحة العمل الخالد يسطرها التاريخ للعاملين ورحم الله الشاعر حيث يقول « جزى الله الشدائد كل خير » وبعد فاننا لانشك ان الامة الحجازية وقد أبدت هذا الاهتمام الكبير بهذه المؤسسة العلمية سوف لا تقف عن السعي والعمل والدعاية لايصال الخير الى هذا المشروع العلمي العام .

ونعتقد ان العالم الاسلامي الذي اثبت في كل فرصة حدبه وعطفه على هذه البلاد الاسلامية المقدسة سوف يبرز هذا العطف وهذا الحنان بأروع معانيه في تدعيم هذا المعهد العلمي الذي اثبت وسيثبت ان شاء الله اخلاصه وثباته في خدمة العلم في هذه البلدة المقدسة .

مشــروع للتبـنـي

الطلبة في كل مكان وزمان وفي كل امة ودولة محل اهتمام خاص . لماذا ؟ ... ان الطلبة هم عدة المستقبل فبصلاح تنشئتهم وتوجيههم وتربيتهم تسير الامة من صالح الى اصلح ، فطلبة الامس هم رجال اليوم الذين يسيرون الدفة ويشمرون عن ساعد الجد لرفع مستوى البلاد فمن تراهم اليوم يمسكون الاعمال ويوجهون الادارات كانوا بالامس طلبة مدرسة كانت تسمى في فترة من الزمن ــ مدرسة تحضير البعثات ــ واخرى كانت تسمى بالمعهد العلمي وثالثة سميت كلية الشريعة ــ هذه المدارس اتت اكلها واخرجت لنا ابناء نعتمد عليهم ونفتخر بهم . وبقدر ما كان الاعداد مخلصا صادقا كان الانتاج نظيفا طيبا .

وتتسع اليوم دائرة الوعي وتتعدد الغايات ويكثر الطلب وتكثر مجالات الاهتمام وكما اتسعت دائرة الوعي اتسعت اسباب اللهو والاغراء وارتفعت نسبة الثراء فاصبح الشباب يجد اينما ذهب اسباب الانحراف والانزلاق .. وما خسرت الامة ولن تخسر اكثر من شاب طلب العلم ثلث عمره او ثلثيه ثم جذبته اسباب الانحراف فانحرف ! اننا نخسر بانحرافه ثمرة قرب اقتطافها وجهداً بذلنا فيه الكثير من الدم والمال . ولقد ادركت الامم المعنية بأمرها فداحة الخسارة من انحراف الطلاب فكرست جهودها لجذب هؤلاء الى الطيب الصالح وفتح ابواب الاغراء السليم واللهو البرىء امام حيويتهم المتفتحة وشبابهم الجياش ليمنع الانزلاق والانحراف .

وحكومتنا عرفت كبر مسئوليتها امام الطلاب فأنشأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومن اهم اغراضها رعاية الشباب وتوجيهه فصرحت للنوادي الرياضية والاجتماعية ووضعت انظمتها وخصتها باشرافها .

وقابل بعض طلبة جدة معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية وعرضوا على معاليه فكرة ١١٧ طالبا لانشاء ناديا باسم نادي الطالب يقضون فيه اوقات فراغهم ويمارسون فيه نشاطا أدبيا واجتماعيا ورياضيا ورحب معاليه بفكرتهم ونظم لهم اللائحة وصدقت عليها الوزارة واعطى لهم تصريحا بفتح ناديهم . هؤلاء الطلبة اليوم في (حيص ــ بيص) ان افتتـاح النادي ودعوة المواطنين للاشتراك فيه وشرح اغراضه يحتاج الى بضع الاف من الريالات ويحتاج الى رواد ومرشدين فهم في حاجة الى : ــ

١ ــ ألـف ولا اقل من خمسمائة كرسي .
٢ ــ بناء مسرح للنادي لعرض نشاطات المشتركين فيه .
٣ ــ مكينة عرض سينمائي لعرض الافلام الثقافية والاجتماعية .
٤ ــ لعب مختلفة .
٥ ــ مكتبة .
٦ ــ أفلام علمية واجتماعية .

لقد وقف نشاط الطلبة مؤسسي نادي الطالب عند هذه العقبة فكيف نذللها ؟؟
ان نوادي الطلبة في امريكا قامت بخدمات جليلة للطلاب لا تقدر عجزت عنها كثير من الاجهزة المختصة وهذه الخدمات تنقذ ما يقارب المليون طالب في السنة من الزلل والانحراف ونادي شيكاغو وحده يضم سبعة عشر ألف عضو من الطلاب هذا غير المشجعين والمتطوعين من كبار رجال الدولة ورجال الاعمال والعلماء والمثقفين واني ادعو على صفحات جريدة المدينة كل مواطن على حده ادعوه ان يشارك في تدعيم نادي الطالب بجدة ادعوه ان يساهم باستطاعته ماديا ومعنويا فهو تجربة جديدة لرفع مستوى الطلاب .
اني التمس من مولاى صاحب السمو الملكي الامير فيصل العظيم ان يشمل الطلاب بعطفه ورعايته وادعو امراء الاسرة المالكة والوزراء للاشتراك في هذا المجال .

وابـاني مدرستـاه

ارجو من القارىء الكريم ان يملك اناته ليعرف من صلب المقال صلة هذا العنوان بالمقال .

لقد جل المصاب وتعاظم الخطب فشرد الفكر الحاضر ونضب معين القلب الفياض وتعثر في مشيته هذا القلم السيال .
ايها الفكر المذهول الا ردك الله ان لم يكن لك اليوم في هذا الطرس مجال ، ايها القلب المحزون لا اقال الله عثرتك ان لم تمد اليوم من معينك فتترجم عن معاني الحزن والاسى المتغلغلة في سويدائك ، وانت ايها القلم لا افاض الله عليك من معاني القوة والحق ان لم تفض بما علمت من معاني القوة والحق في حياة هذا الرجل العظيم .
« مات السيد احمد! » « صحيح مات السيد احمد » « مات السيد احمد هو نفسه ! »
« نعم مات السيد احمد فما بالك يا أخي ان الموت حق لقد مات سيد الكائنات » صدقت ان الموت حق ، وانا لله وانا اليه راجعون .
لعلك تظن ايها القارىء الكريم ان هذا الاندهاش لسماع خبر موت هذا الرجل العظيم كان من كاتب هذه الكلمة لما بينه وبين الراحل الكريم من صلات الاستاذية والتلمذة والابوة والبنوة .
ولكن لا ـ ان هذه الكلمة انما صدرت عن رجل قد لا يعرف من السيد احمد غير اسمه ارتجع صداها في اذني كما ارتجع من غير شك في آذان الكثيرين الذين كانوا يقفون الى جانبي ونحن نصلي على الراحل الكريم .

هذه هي مكانة الراحل في نفس رجل الشارع فما بالك بها عند الذين يدركون قيمة ما قام به هذا الرجل العظيم من خدمة وتضحية في سبيل امته وبلاده وما بالك بها وهي تتلألأ ناصعة بيضاء في جبين التاريخ .

لقد هاجر السيد احمد سنة ١٣١٦ مع والده واخوانه من بلاد الهند فارا بدينه من بلاده المنكوبة بالتفرنج والاستعمار فر بدينه الى موطنه الاول مهاجر جده ﷺ وقد كان يمني نفسه وهو من خريجي دار العلوم الدينية ان يجد في بلاد جده العظيم مدارس للعلوم الدينية فيجاهد الاستعمار بتعزيز مركز الدين .

خاب الامل فان المدارس في ذلك الوقت كانت تسير في التعليم على طريقة سنتها حكومة ذلك الزمن لتضمن في سيرها النجاح لخطتها السياسية المرسومة . لابد اذن من انشاء مدرسة تخدم الاسلام وتحارب التفرنج والاستعمار . نشأت هذه الفكرة في ذهنه فسعى لها السعي الحثيث على قدر المستطاع ولكن كان الجواب ان الحكومة قائمة بواجب التعليم ولا ترى حاجة الى مدارس جديدة ، اما العلوم الشرعية فالمسجد فيه للطالبين المجال الفسيح .

خبت تلك الجذوة المستعرة في نفس صاحبها ولكنها كانت الشغل الشاغل لتلك النفس الكبيرة وذلك الفكر الجبار فكان يتشاغل عنها ويترقب لها الفرص السوانح .

اشتعلت نار الحرب العامة فتشتت اهل هذه البلدة واغتربوا في نواحي البلاد وكان السيد احمد احد المنفيين الى الاناضول . ووضعت الحرب اوزارها ورجع السيد احمد وهو اشد ما يكون املا وحماسة لمبدئه وفكرته التي اشتعلت في جوانب نفسه .

ان الحكومة الهاشمية هي اول من يشجع علوم الدين ، هيا فقد حان الوقت ولكن كيف السبيل اليه وقد رجع اهل المدينة من غربتهم وهم اشد ما يكونون من الضيق والحرج ولا بد لتوجيههم نحو العلم من سد فراغ الحاجة والفقر اللذين خلفتهما الحرب العامة واذن لابد من الجهاد لاقناع الاغنياء من المسلمين الذين ادركوا حالة أهل المدينة ورغبوا مساعدتهم وذلك بان خير مساعدة لهم هي ما كانت عن طريق التعلم وآتى هذا الجهاد ثمرته الطيبة ووضعت اسس المدرسة الجديدة في ٢٩ محرم سنة ١٣٤٣ بادخال عدد محدود من التلاميذ في احد الكتاتيب لحفظ القرآن وتعيين مساعدة مادية لكل منهم تعطى لهم كل اسبوع بعد امتحان يعقده الفقيد في داره كل يوم جمعة . وفتح الله فتوسع مدى هذه الحركة باستئجار خربة وتعيين استاذ خاص لهؤلاء التلاميذ ثم في سنة ١٣٤٤ فتح فرع للعلوم العربية .

وما كاد يذاع نبأ هذا الفرع حتى وصلت للفقيد برقية بامضاء اكبر رجال ذلك العهد بضرورة اغلاق هذه المدرسة الجديدة وافهام مديرها ان في اروقة المسجد مجال واسع للعلوم الشرعية . لم يشأ هذه المرة السيد احمد ان ينتظر فرصة اخرى وقد مضى من العمر اكثره وضاع من الامل كل ما كان يرجوه فجلس بتلاميذه في رواق باب المجيدي .

توحيد الزي
خطوة عملية للتوحيد الاجتماعي العام

توحيد الزي خطوة عملية في طريق التقارب الاجتماعي والاتحاد الروحي الذي ينشده كل انسان احس بكيانه القومي وواجبه الديني وليس من شك ان هذا الزي « المشكل » الذي يقع عليه نظرك صباح مساء في كل بلد من بلدان الحجاز لا يسر المفكرين الناهضين بل تهلع نفوسهم من مدى تأثيره السيء في الشيوخ والناشئين .

واذكر ان الاديب المفكر ابا عبدالمقصود أثار مرة هذه القضية على صفحات الجرائد ونالت الفكرة استحسانا وطلبت المعارف العامة الموافقة من المقامات العليا على توحيد الزي في المدارس الاميرية وفعلا تمت الموافقة واختير الشكل ، وهل ساعد اولياء التلاميذ المعارف العامة فلبوا النداء وفصلوا لابنائهم الزي المطلوب ما ندري ؟ ولكن الذي لا نشك فيه ان بعض الاباء تعسر عليهم اجابة الطلب لضعف حالتهم المادية غير ان هؤلاء مهما كلف الامر عليهم فلابد انهم ـ تحت تأثير العوائد والتقاليد ـ صانعون لابنائهم بدل العيد فاذا كان لابد من البدل الجديدة فلماذا لا تكون البدل الرسمية التي اختارتها المعارف ولماذا لا يجاري الاغنياء الفقراء فيقتصرون هم ايضا على هذا الزي (تغايير) لابنائهم فيواسون الفقير بالمساواة معه في الزي ويخطون خطوة وطنية في نفس الوقت ويساعدون المعارف في تنفيذ مشروعها ويرضون ابنائهم باللباس الجديد .

وما على الاغنياء لو تبرعوا بمناسبة العيد للفقراء من الطلبة بهذه الثياب الرسمية فيؤدون زكاة اموالهم ويكسبون الثناء من الله والامة والوطن ، وما علينا نحن الكبار لو خطونا خطوة ثانية فتكاتفنا ـ كما تكاتفنا على استعمال التمر ـ على استعمال زي مخصوص للعيد لا يكلف الفقير ولا يحط من ابهة الاغنياء فحسبنا ما نراه من المآسي التي يتقرح لها القلب ويندى لها الجبين وكلها في سبيل « تغييرات العيد »

واعتقد ان الطريق العملي لهذا هو اتفاق الاغنياء على لباس اقتصادي مخصوص والظهور به امام الجمهور وازدراء ومقاطعة كل من خالفه في هذا اليوم .

فهل يا ترى تجد هذه الكلمة البريئة اذنا صاغية من الوطنيين الاغنياء فترى عيني في هذا العيد السعيد ذلك الغني المتبوع الذي برز للناس بثوبه الاقتصادي الذي ندعو اليه وتسمع اذني عما تبرع به لفقراء الطلبة من الثياب الرسمية وعما بذله لارضاء ابنائه « بتغيرات » المعارف الرسمية سواء كان ابنه طالبا ام لم يكن .

وانه بذلك سوف يضع نفسه في أول القائمة بين الوطنيين الخالدين فان هذه الاسس التي قد يعدها البعض غير مهمة سيكون لها في تاريخ هذه الامة المجيدة لمعان اي لمعان .

مفهومة المثقفين

بعد صدور البيان الوزاري التاريخي المشهور هب الكتاب استجابة للدعوة الكريمة ، ومشاركة في تثبيت كياننا وتعزيزه ، هبوا يطالبون ويناقشون حول النظام الاساسي وتطوير مجلس الشوري وتحسين اوضاع الامر بالمعروف والنهي عن النكر ، ومحاربة الاستغلال وانانية رأس المال تحقيقا للعدالة الاجتماعية ورغبة في تثبيت قواعد الاستقرار بين عموم افراد الشعب فان الاستقرار الاجتماعي من اهم اسباب التقدم والازدهار بل ان الاستقرار الاجتماعي يكاد يكون السبب الوحيد للتقدم والازدهار فالعائلة المستقرة في وسائل عيشها تربي ابناءها تربية حسنة وتقدم للوطن ابناء صالحين يبنون ويرفعون ، والحكومة المستقرة تستطيع ان تحصر جهودها في الانشاء والتعمير والتقدم بشعبها الى المستوى الرفيع .

وقد قابل الجمهور هذه المناقشات بالتهليل والترحيب واقبلوا على قراءة الجرائد التي تنشرها اقبالا منقطع النظير فماذا فعل الكتاب ؟

قال « شيخ فاضل » يرد على من كتبوا يطالبون تصحيح اوضاع الامر بالمعروف والنهي عن النكر ـ ان هؤلاء الكتاب من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وهذا مثل مما قال وليس كله ـ اعوذ بالله ؟ هل قرأتم ايها القراء شيئا من هذا فيما كتبه الكتاب ؟

وجاء « كاتب آخر » يتحدث عن تطوير مجلس الشورى وانتهى به الامر الى ان يطالب بان يكون هذا المجلس بالتعيين وان تتحدد صلاحيته في تقديم الشورى فقط .. الشورى التي يرى ان لا يلتزم بها جهاز التنفيذ فهل هذا من التطوير في شيء ؟

ان حضرة الكاتب المحترم لو رجع الى النظام الاساسي لمجلس الشورى لوجد ان الصلاحيات المعطاة لمجلس الشورى قبل ثلاثين عاما اكثر بكثير مما يطالب به الآن .

وجاء « كاتب آخر » يدافع عن الشركات فقال ان الذين يناقشون اوضاع الشركات انما يناقشونها لغيظ في نفوسهم على هذه الشركات لانهم حرموا من عضوية مجالس ادارتها ـ وقال يؤلب الحكومة على هؤلاء الكتاب انهم يقصدون الحكومة ضمنا بأنها تقف بجانب الاحتكار والاستغلال .

وجاءت الشركات تدافع عن نفسها امام المطالبين بضرورة خفض التسعيرة لتقول ـ ان التسعيرة وضعت بقرار حكومي . ومعنى هذا بالطبع ـ اسكتوا والا انتم تعارضون الحكومة ؟

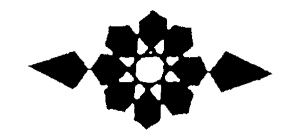
هذه هي (مفهومية) المثقفين اليوم كما فهمتها انا فهل فهمها القراء كما فهمتها أم انا الذي (مفهوميتي) ضعيفة ويجب ان اعتزل الكتابة وويل للشعر من رواته كما يقولون .

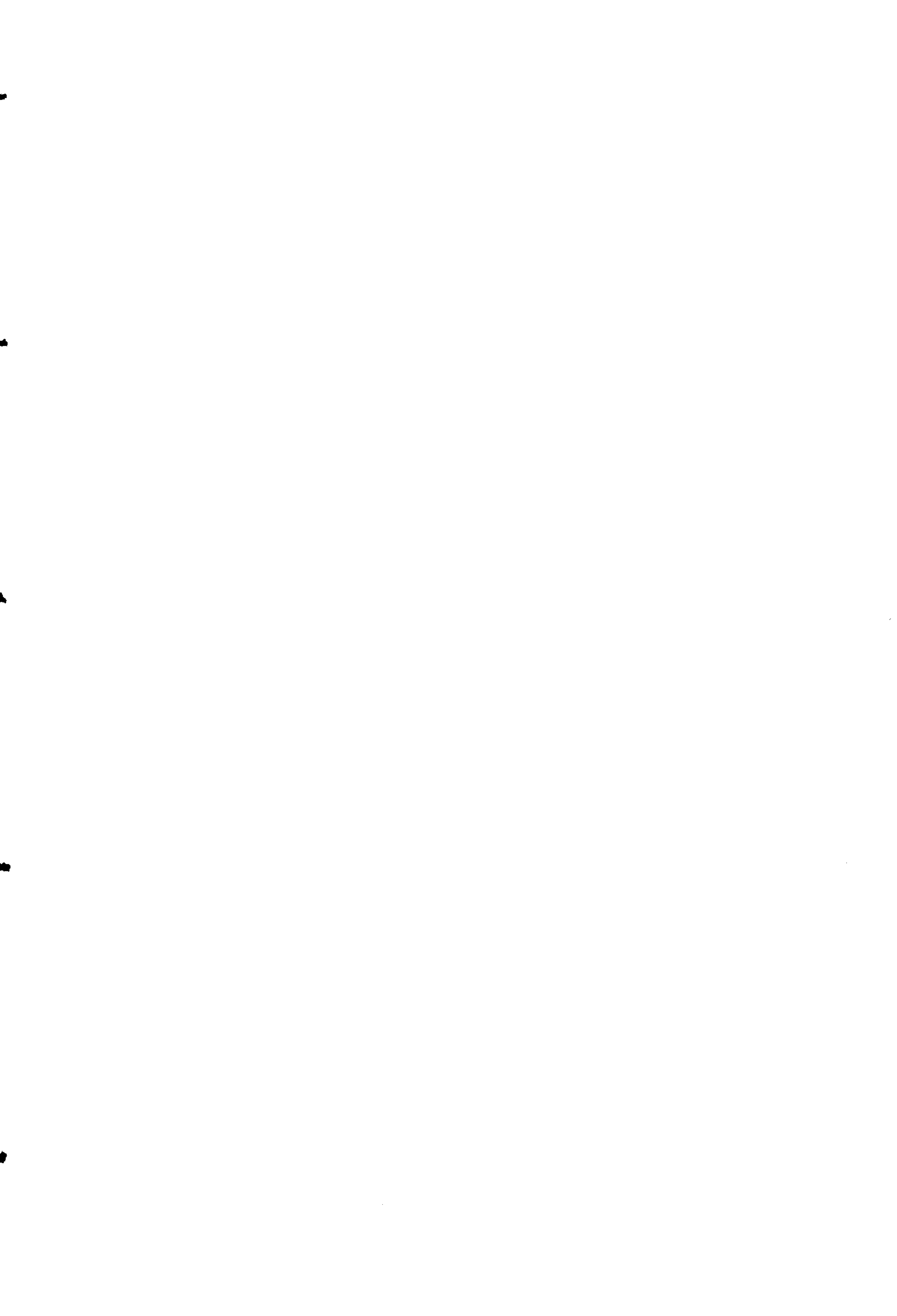
غـايـة التعـليـم

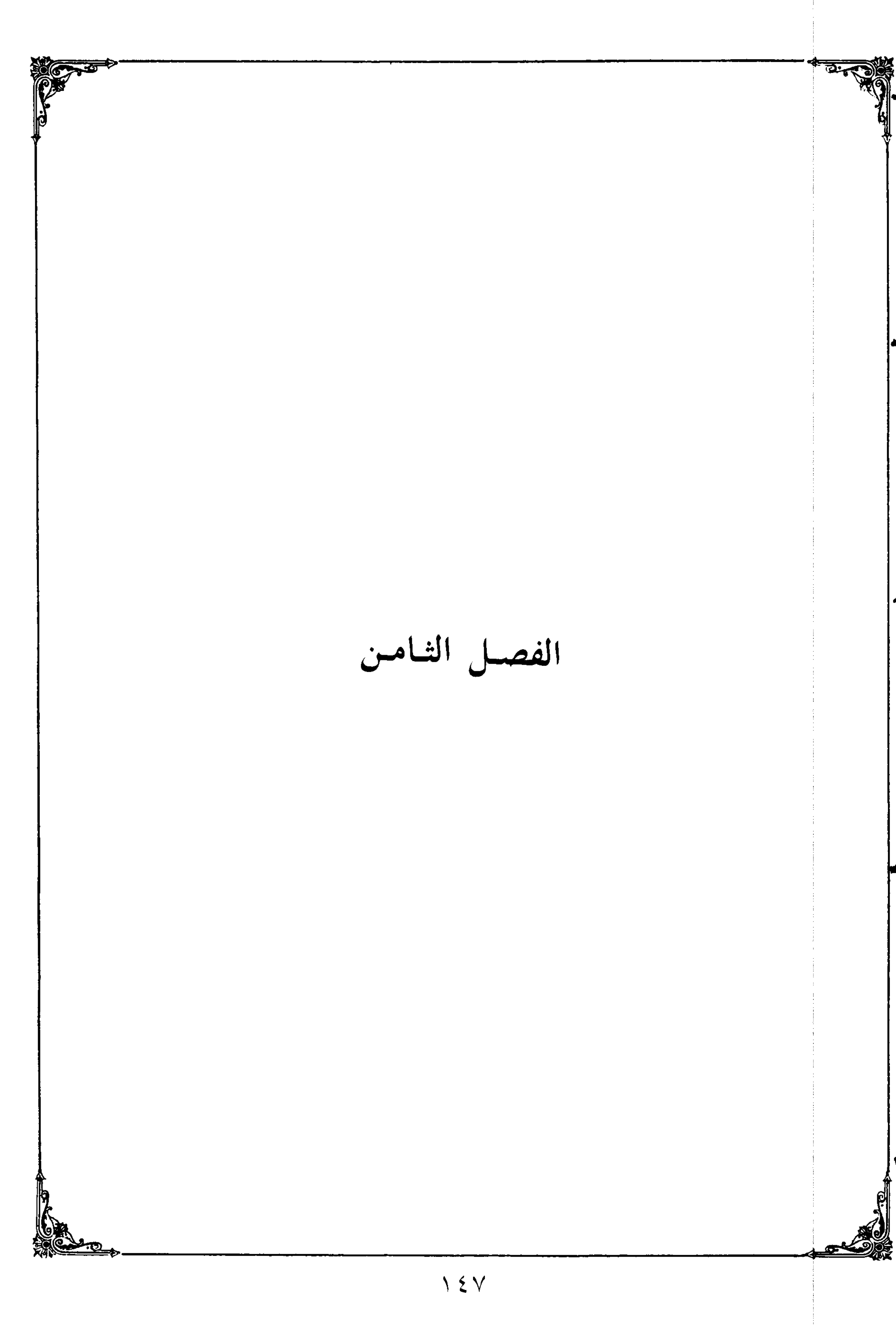
من الخطأ الشائع ان نعتبر الغاية من التعليم هو تأهيل الطالب للمعيشة والكسب فقط . ان هذا الفهم يجعل غاية التعليم غاية مادية محضة ويملأ الوطن بجيوش جرارة من طلاب الكراسي في دواوين الحكومة . ويحجب هذا الفهم للغاية من التعليم عن الامة تلك المبادىء السامية التي كان العلم سبيلا اليها فغاية التعليم السامية هي خلق امة واعية ومواطنين صالحين والسمو بروح الامة لتتذوق الآداب العالية وتهيم بالفنون الرفيعة والبحوث العلمية العميقة التي تصل بها الى الخلق والابداع في مجالي التجديد والاختراع وفي كلمة موجزة ان الغاية من التعليم هي الوصول بالامة الى التعلق الصادق والانفعال المثير لكل المعاني الرفيعة المجموعة في كلمتي التمدن والحضارة .

مالم تجعل الامة هذه الغايات هدفها من التعليم فانها لن تستطيع ابداً ان تقف في الصف الاول او تدعي انها امة ذات قيمة تاريخية وحضارة عريقة .

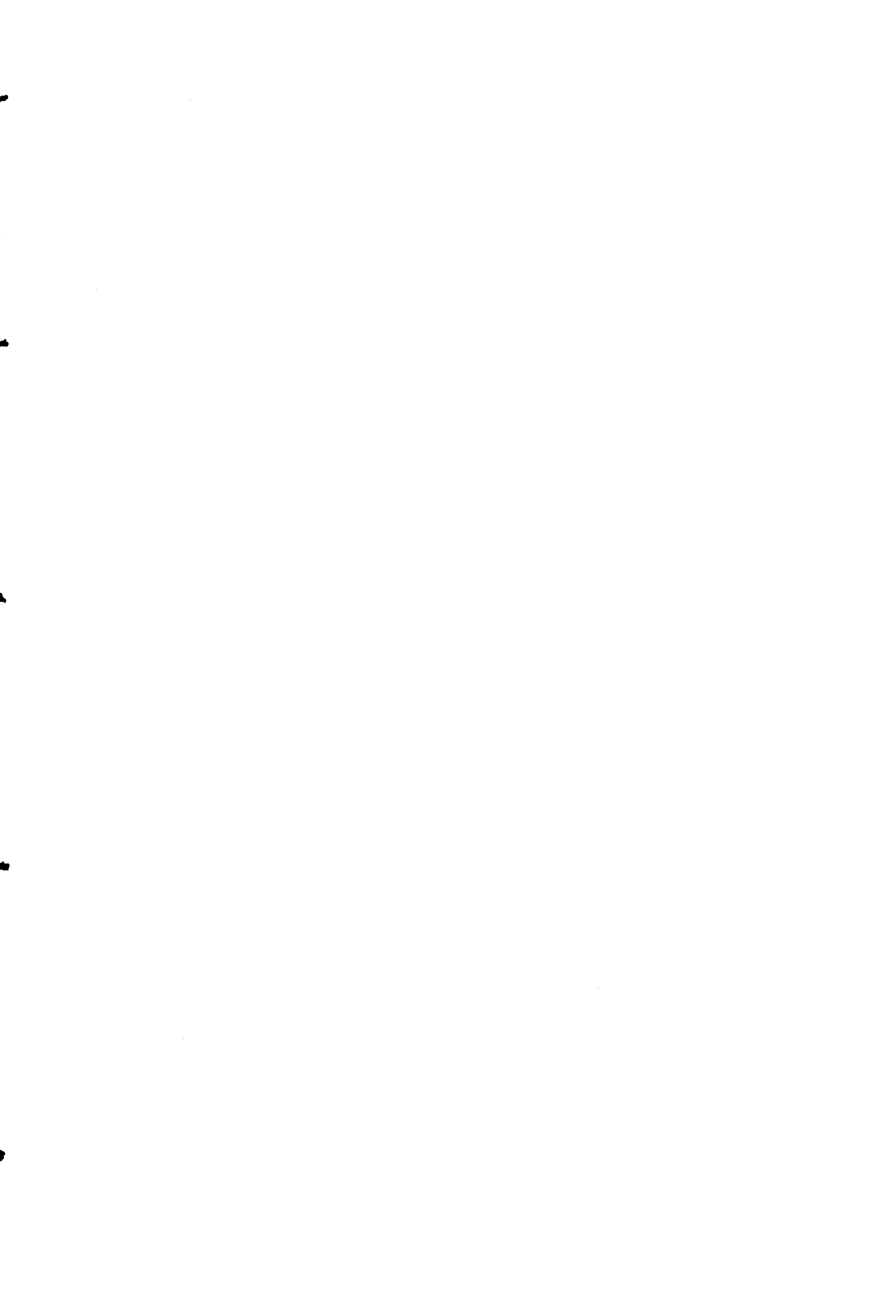
والتعليم الذي لا يرمي لهذه الأهداف تكون حصيلته امة قصيرة النظر ضعيفة الادراك لا تسمو بأرواح ابنائها الى الاوج وتعيش دائما برغبات مادية سفلية تجذبها الى الحضيض .







الفصل الثامن



فيصل .. هل فطنا له لنتجاوب معه ونحقق المعجـزة

مجتمعنا اليوم يعيش في تجربة من اعنف التجارب التي مرت به ويمر بفترة من ادق فترات حياته ، ذلك لان هذا المجتمع عاش حقبة كبيرة من الزمن ـ عشرة قرون او اكثر ـ تتجاذبه تيارات كثيرة مختلفة كان من اسوأها تحكم الاستعمار وتحكم الفرد والصراع العقائدي العنيف ، وكانت نتيجة هذه التجاذب انفصالنا التام عن ماضينا المجيد وخلق مجتمع تسيطر عليه الانانية وتتحكم فيه الفردية وتشمخ فيه نفوس ضللها الجهل وطغت عليها المادة فحجبت عن عيونها نور الحق وانتزعت منها خلق الرحمة والعطف والقناعة وانستها واجبها نحو وطنها ومن يعيش فيه من الطبقات الفقيرة الكادحة ، نعم هذا هو المجتمع الذي عشنا فيه وتمكنت مبادؤه من نفوسنا فعبدنا المال ولم نتحرج في جمعه من حلال وحرام بل لم نتحرج وقد تخمت نفوسنا ان ننتزع اللقمة من فم الآخرين لنزيد بها رصيدنا في البنوك ونكثر في عدد ما نملك من عقار وانحرفنا عن المثل العليا فلم نؤمن بالكفاية والعدل ولم تعرف اطماعنا وشهواتنا حدودا تقف عندها فكلما زاد رصيدنا زدنا جنونا وتكالباً ووقفنا سدا منيعا لتقدم الآخرين ، ولم نكن نحن وحدنا الذين يعيشون في مثل هذا المجتمع المتكالب بل ان الامم الاسيوية والافريقية التي ابتليت بالاستعمار بجميع اشكاله عاشت في اقسى التجارب من حياة الاقطاع الذي ركزه الاستعمار وشمله بعنايته ورعايته وهو يوهم الاقطاعيين انه حليفهم وصديقهم ليقفوا في صفه ضد الكثرة من ابناء وطنهم ويجعلون منهم عبيدا يهيئون الخامات لمصانع اسيادهم المستعمرين .

وكان لابد مهما طال الامد ان تتهيأ الظروف لتوقظ الشعوب المغلوبة على امرها فاستيقظت ، وهال الاستعمار ان تأخذ هذه اليقظة طريقها الصحيح فتنقلب الكفة ويلحقه الضرر .

ان اخوف ما يخافه الاستعمار رجوع الامم الاسلامية إلى مبادىء دينها فيعيد حكامهم سيرة عمر رضي الله عنه وخلفائه ويعيد تجارهم سيرة عثمان رضي الله عنه ويعيد علماؤهم سيرة مالك ابن انس رضي الله عنه بما كانوا عليه من زهد وتقوى وتضحية بالنفس والمال في سبيل الصالح العام . ان الصراع الذي يدور حولنا الآن صراع عنيف سيجرفنا تياره اذا نحن لم نصمد وترددنا في الاستجابة الى ما دعانا اليه ديننا الحنيف من تحقيق الكفاية والعدل لكل مواطن يعيش في مقاطعاتنا الكبيرة الواسعة في القرية والمدينة ، بل وفي كل شبر من هذا الوطن الحبيب فالقناعة والشهامة وفسح المجال للآخرين ليعيشوا كما نعيش وليتمتعوا كما نتمتع ، اخلاق دعا اليها الاسلام وحققها سلفنا الصالح في النموذج الذي قدموه من انفسهم وتضحياتهم وزهدهم

فعلى من ياترى تقع تبعة هذا الواجب المحتم ، يقول فيصل في خطابه : « ايها الاخوان الكل مواطنون فالمستهلك مواطن ، وصاحب المؤسسة مواطن والتاجر مواطن وصاحب الشركة مواطن فيجب ان يتحمل كل فرد ما يخصه في خدمة هذا الوطن الكريم ويجب ان تتحمل الحكومة ما يعجز عنه افراد هذا الشعب مما يجعلهم في راحة تتيح لهم الحياة الكريمة والعيش الرغد وان تكون ساهرة على مصالحهم مراعية الجميع بنظرة المساواة والعدالة .

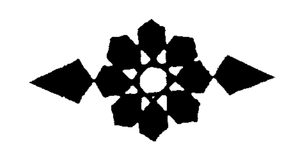
وارجو الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا دائما هداة مهتدين وان يعيننا بجهودكم ان شاء الله لما فيه الخير والصواب .

ان فيصلا يقول ان تبعة نجاح الحكومة في تحقيق الرفاهية والعدالة والكفاية لجميع المواطنين تقع على جميع المواطنين : على التاجر وصاحب الشركة وصاحب المؤسسة فهل وعينا مغزى هذا الكلام وما فيه من تخطيط دقيق لمجتمع جديد اساسه العدل والكفاية والمساواة بل هل في استطاعتنا ان نعي مغزى هذا الكلام ونحن نعيش في مجتمع أهبل ليس في ذهن افراده صورة تخطط له نهج الحياة ليعرف كيف يعيش ولماذا يعيش ، ان الذي يعيش ليكدح بجنون ليجمع اموالا يكدسها في البنوك وليبني عقارات يشمخ بها انفه مفاخرا ويجرى وراء اشباع غرائزه الحيوانية ويهزأ ويحتقر الآخرين ليس بانسان : انه حيوان تظهر حيوانيته بكل وضوح عندما يهلك غير مأسوف عليه ويترك كل ما جمع لورثة افسدتهم رخاوة الثراء وقتل انسانيتهم التكالب عليه ، فاذا كنا نريد حقا ان نحيا حياة كريمة اساسها الكفاية والعدل فلابد ان نسعى لنكون افراداً صالحين نعين « بجهودنا » كل من يريد لنا الخير ولمجتمعنا الصلاح والرفاهية والتقدم .

اننا نخطىء كل الخطأ عندما نفكر ان نجاح الفرد انما يتحقق بنجاحه في جمع اكبر قدر من المال وفي اقتنائه اكبر عدد من القصور . لا . ابدا ، فنجاح المرء انما يتحقق بمقدار ما يحققه المرء من خدمات لوطنه ومواطنيه وما يتركه وراءه من اعمال تتحدث عنه كلما تحدث المتحدثون عن الحقل الذي عاش فيه . ان هذا التوجيه في خطاب فيصل يطالبنا في عبارات ذات مغزى بعيد ـ بعيد جدا ، يطالبنا بأن يصحح كل فرد منا نظرته الى الحياة ليعرف ما له وما عليه قبل ان تضطر الحكومة لتجبره على معرفة هذا الواجب المقدس . ان الكلمة موجهة الى الطبقة الخاصة من كل صنف ، الطبقة الفاهمة الواعية التي تطالب بالاصلاح وتطالب بتحقيق العدالة وتطالب ان تعيش حرة كريمة ، فالتجار مطالبون بان يقنعوا بالربح المعقول ومطالبون بان ينظروا الى المستهلك كمواطن من حقه ان يتمتع بالكفاية والعدل وعليهم ان يعطوه حقه فلا يستنفذون كل قرش في جيبه ليملأوا جيوبهم وليرفعوا رصيدهم في البنوك وان لا يلحسوا القدح كله من خيرات البلاد ولا يتركوا لغيرهم نصيبا . وصاحب الشركة مطالب ان يدعم اقتصاد وطنه فيوفر لوطنه المبالغ التي يسعى فيجمعها بجنون الشره والطمع لتخرج من دائرة فلك اقتصاد بلاده وتتحول الى عملات اجنبية تملأ خزائن الشركة التي يمثلها ليحقق

لنفسه نصيبه من الكسب ، ان اغراء المواطنين كل سنة بموديل جديد دون ضمان من الشركة للموديل القديم ، كما تفعل الشركات نفسها في بلادها وفي البلاد الواعية التي تعاملها وجلب قطع الموديلات القديمة بطرق لا تضمن احياءها يحول قرش المستهلك الكادح الى اكوام (خردة) من الحديد ترمى في المزابل والحفر ، واصحاب المؤسسات العامة مطالبون بتقدير حاجة المستهلك فلا يجعلون من حاجته وسيلة للاستغلال . ان ما يدور حولنا من صراع يحتم علينا ان نقدم ولا نتردد وان نكون ايجابيين فيما نقول ونعمل فان لم نعط الحق فسوف يؤخذ منا وان لم نستقم فسوف ولا بد مما ليس فيه بد . ان فيصلا قد اعطى لكل مواطن حقه في ان يستمتع بجهده وماله واعطاه حقه من واجب الحكومة في صيانة هذا الجهد والمال وتعهد باسم الحكومة التي يرأسها ان يوفي ما يعجز الفرد ان يوفيه اذا ادى كل منا ما عليه من واجب نحو هذا الوطن المسئولون عنه جميعا حكومة وشعبا . ان كل كلام يقال وكل دستور يكتب لا يمكن ان يثمر او يفيد ما لم تتحول معانيه الى عقيدة يطبقها كل فرد في حياته العملية تطبيقا صادقا مخلصا فهل نحن على استعداد لنحول كلام فيصل الى عقيدة نطبقها ونسير على نهجها لنساعد « بجهودنا » على تحقيق الامل المرجو ونحاسب انفسنا قبل ان نحاسب ونعطي الحق قبل ان نقسر عليه فان لم نفعل فهناك طريق اخر (وان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن) . « وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » فلنصلح انفسنا ولنكن هداة مهتدين نعين « بجهودنا » الى الخير ونعيش في ظل ديمقراطية اسلامية صحيحة بتحقيق الكفاية والعدل لكل مواطن وفي كل بيت .

والله الموفق وهو مناط الامل والرجاء .



مؤتمر القمة

الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين . اين انت يا اسرائيل ما بال اذاعتك انكتمت انفاسها ـ ألم تصلك الانباء : اين الهيافة التي كان يتنطع بها معلقوك ـ ها هم يا اسرائيل ملوك العرب ورؤساؤهم قد اجتمعوا وهذا هو مؤتمر القمة قد انتهى بنجاح الم تسمعي تصريحات العرب وقراراتهم في مؤتمر القمة الثاني ـ لماذا لم نسمع رأيك في هذه القرارات .

ان ملوك العرب ورؤساءهم يعيشون في القرن العشرين ايتها الحمقاء هم يعرفون انهم يعيشون لشعوبهم وشعوبهم تعيش لهم لقد مضى الزمن الذي كان يظن المستعمرون فيه انهم يستطيعون ان يخلقوا شعبا ، ورئيسا وينزلوهم في الميدان للمباراة ويوحون للرئيس (نحن معك) ويوحون للشعب مثل هذا الايحاء .

ان ملوك ورؤساء العرب قد توحدت كلمتهم وتأجج حماسهم فهم اليوم اول من يدرك ـ يدركون قبل شعوبهم ان توحيد الكلمة وتوحيد الصف وتوحيد الهدف : كلمة الحكام وصف الجيش وهدف الشعوب .

لقد قال سمو الامير فيصل في خطابه الافتتاحي للمؤتمر : «ان شعب فلسطين ايها الاخوان ينتظر منكم كل مجهود وان الشعوب العربية في كل مكان تنتظر منا ان نخدم قضايانا وان نسعى في تحرير كل البلاد العربية من ربقة الاستعمار ومن نير الحكم الاجنبي وان نكون في ذلك مستهدفين مصلحة العرب ومصلحة العرب فقط» هل سمعت هذا الخطاب . اسمعيه وعيه ففيه لك درس مفيد . وهل سمعت خطاب سموه في ختام المؤتمر فقد قال سموه : «ايها الاخوان يسعدني في هذه اللحظة السعيدة ان اتقدم اليكم بتهنئتي الخالصة والى الامة العربية لما توصل اليه هذا المجلس من القرارات ومن تصميم على تنفيذ هذه القرارات بكل عزم وقوة واننا بهذه المناسبة لنرجو الله مخلصين ان يهب الامة جمع القوة والقدرة على تأدية واجبها والوصول بمهمتها الى غايتها المنشودة .

كنتم يا يهود فلسطين تعيشون مع العرب معززين مكرمين لكم كل حقوق المواطن فما الذي دفعكم للتحدي والاغتصاب ـ اتظنون ـ وفي القرن العشرين ـ ان العرب وصلوا من البلادة الى هذا الحد ـ يُغصبون ويقهرون وتؤخذ اموالهم واراضيهم ثم يبتسمون لكم ويمدون ايديهم ليصافحوكم وليعيشوا معكم في امان على ارضهم المغتصبة وحقهم المسلوب ، خسئتم : لن يكون هذا ابدا فالعرب امة لا تعيش على الضيم .

إيه صهيون غدا موعدكم فاستعدوا واقيموا المأتما
استعدوا واجمعوا اشلاءكم نحن اقسمنا سنحمي الحرما

ورحم الله امرأ عرف قدره ، فقدروا الموقف واسعوا للسلام وردوا الحقوق الى اهلها فهذا عمل الانسانية للانسانية ولن يكون غير ذلك اما بالصلاح او بالسلاح .

كلمة « المدينة »

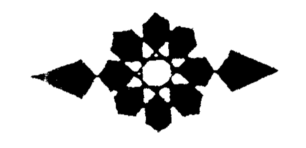
كان الخطاب الذي افتتح به سمو الامير فيصل المعظم مؤتمر القمة الثاني خطابا رائعا استعرض فيه سموه التعاون العربي في اوسع مجالاته ودعا الى توحيد الكلمة ونبذ كل ما من شأنه ان يعرقل سير الموكب العربي نحو تحقيق الاهداف السامية التي تحفظ للعرب كيانهم وتجعلهم يقفون صفا واحدا في وجه المطامع التي مازالت اسرائيل تحلم بتحقيقها . وبين سموه في وضوح وصدق ما بذله وتبذله الحكومة السعودية والشعب السعودي من المساعي لجمع الكلمة والتضحية في سبيل صالح العرب العام .

ان الحكومة العربية السعودية وشعبها من ورائها ترجو ان يعمل كل عربي لصالح عروبته ثم لصالح البشرية اجمع فالعربي في كل بقعة من بقاع العرب داعية سلام ودينه دين سلام وللمعتدين اعتداء وللغاصبين الاندحار « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

ان النقاط الهامة التي ركز عليها الفيصل العظيم في خطابه العظيم هي اماني الامة العربية في ملوكها ورؤسائها وهي المطمح التي تشرئب اليه اعناق الامة العربية .

« ان شعب فلسطين ـ ايها الاخوان ـ ينتظر منكم كل مجهود وان الشعوب العربية في كل مكان تنتظر منا ان نخدم قضايانا وان نسعى في تحرير كل البلاد العربية من ربقة الاستعمار ومن نير الحكم الاجنبي وان نكون في ذلك مستهدفين مصلحة العرب ومصلحة العرب فقط » .

اللهم حقق امل العرب في ملوكهم ورؤسائهم واجمع الشمل وانر الطريق .
ورعى الله الفيصل العظيم الذي لم يدع لخطيب ولا لكاتب بعده مقالا .



عودة الفيصل من مؤتمر القمة العربي

اهلا بك ايها الفيصل العظيم . اهلا بك ايها القائد البطل . اهلا بك يا حامي الاسلام ويا رافع لواء العروبة . هذه الامة التي جاءت محتشدة لاستقبالك تفتح ذراعيها لتضمك وتضعك في السويداء .

هذه الامة التي جاءت تحملك على الاعناق بعد ان حملتك في حبات القلوب . احبتك لانها آمنت بقدرتك واحبتك لانها آمنت بمبادئك واحبتك لانك حميت الاسلام الذي هو قرة عينها ومنبع فيضها ومنار عزها وفخر عروبتها .

لقد كانت امتك فخورة بك وهي تتتبع اخبار مؤتمر القمة فقد ايدت مبادئها في رئاستك للمؤتمر وفي خطابك الافتتاحي والختامي التاريخيين . ان الامة العربية السعودية امة مسالمة تسالم من سالمها وترد العدوان . ان الامة العربية السعودية سند لكل عربي اينما كان لا تدخر وسعا في تحقيق اسباب العدالة والرفاهية له بقدر ما تستطيع وفي حدود طاقاتها البشرية .

ان الامة العربية السعودية تسعى لجمع الشمل وتحقيق التفاهم وتدعيم اسباب السلام . ان الامة العربية السعودية تتمسك باسلاميتها ولا تحيد عن مبادئها وتقدم في سبيل ذلك كل ثمن . هذه المبادىء التي طالبت بها مؤتمر القمة العربي وهي المبادىء التي يدين بها شعبك ويسعى اليها ويناضل من اجلها .

لقد كنت صريحا والعرب اليوم احوج ما يكون الى الصراحة ، الصراحة التي تفتت رواسب الماضي ، والصراحة هي التي تجعله يعيش بعقلية شعوب القرن العشرين ، والصراحة هي التي تجعل العربي يفهم العربي ويلتقيان في نقطة واضحة مركزة واختلاف الرأي لا يعني ابدا اختلاف الاهداف .

لقد حقق والدك العظيم وحدة الجزيرة – وينتظر شعبك ان تسعى لتحقيق وحدة العرب وانت جدير بتحقيق امل شعبك فيك . لقد تلاقت القلوب والنفوس وحن الدم للدم وكانت النتيجة الحاسمة بين الاخوين : تصفية الشوائب واستعادة عهد جديد للاخوة في جميع المجالات .

انها نتيجة رائعة لالتقاء الرئيسين العظيمين .
وفقك الله وسدد خطاك وانار لك الطريق .

أسبوع ولي العهد المحبوب

يمتاز الاسبوع الفائت بذلك التيار الكهربائي الساري في نفوس الحجازيين جميعهم فلا تكاد ترى الا وجوها طافحة بالبشر والسنة لاهجة بالثناء ونفوسا تكاد تطير من شدة البهجة والحبور .

هذه صورة مصغرة جدا للأثر الذي طبعه في النفوس قدوم ولي العهد المحبوب واخيه سمو الامير محمد الى عاصمة ملكهما شامخي الانف موفوريّ الكرامة مرفوعي الرأس بعد ان اديا رسالة الشرق للغرب وبعد ان اثبتا للعالم الغربي ان العربي ابن الصحراء وان كان بعيدا كل البعد عن التربية الغربية والاساليب الغربية مرن لطيف شديد الشعور قدير على المحاكاة لأي شعب نزل فيه لا تمنعه خشونة الصحراء وتباعدها ان يتلطف ويرق وان يداور ويجاري . وان يجامل ويتعطف فيعطي لكل ظرف ما يقتضيه ، فلا يفرقه ابن الغرب عن نفسه الا بذلك الزي الخاص الذي امتاز به العربي الصميم .

ثم ان ولي عهدنا المحبوب دقيق الدرس والملاحظة لكل ما يقع تحت عينيه من اساليب الغرب وحضاراته فيستحسن ما يستحق الاستحسان . ويبدي ملاحظته على ما يستحق الملاحظة ، ثم يفرق بعد الاستحسان بين ما يحسن بالشرق تقليده ومحاكاته ومالا يحسن به ان يفعله محافظة على شرقيته وتقاليده .

وهذه الميزة في ولي العهد المحبوب تجعله في عداد عظماء المفكرين في الشرق العربي وتكشف للغرب جانب العقلية العربية الناضجة ، ولا غرو فهذا الشبل من ذاك الاسد فجلالة مليكنا المحبوب حفظه الله ورعاه في الطليعة من رجال الفكر في الجزيرة العربية ومواقف جلالته في ذلك معروفة مشهودة ، وابناء هذه البلدة الطاهرة الذين فاتهم ان يحظو بطلعة ولي عهدهم المحبوب فلا يفوتهم ان يوصلوا اصوات عواطفهم الجامحة ـ على صفحات المدينة الغراء ـ الى اذن سموه مبلغين اياه اخلاصهم الاكيد وشعورهم الفياض وتهانيهم الحارة لسلامة العودة لسموه ولأميرهم المحبوب الامير محمد .

ويرفعون بكل اخلاص للأسرة الملكية والى سمو النائب العام الأفخم اجمل آيات التهاني بعودة سمو ولي العهد والامير المحبوب سالمين غانمين موفوري الكرامة عزيزي الجناب .

أمخـــاخ ..

يعرف المبتدئون في اللغة العربية ان لفظة امخاخ هي جمع مخ وهو مركز الحس في الانسان ولا شك ان الناس انما يتفاضلون في هذه الحياة بأمخاخهم فمن كان مخه اقوى فهو بالطبع يكون اقدر فهما واكثر احساسا لما يحوطه من مؤثرات .

ومسألة المخ هذه لا تتعلق بالشهادات التي يحملها الانسان وان كانت الشهادات في الاغلب تدل بمقدار على قدرة حاملها على المحاكاة والتقليد فلو بحثت عن تواريخ كثير من النابغين في العصور القديمة وفي هذا العصر لوجدت الكثيرين منهم لم يتخرج من جامعة .. هذه دعوى نستطيع ان نبرهن عليها لولا اننا نرى البرهان عليها تمحكا وتقعرا ، وافلا يكون متمحكا من يتكلف وضع المقدمات والنتائج ليثبت للناس ان السماء فوقنا والارض تحتنا .. !

والكاتب ـ اعني انا ـ يا حضرات القراء الاعزاء يعترف جدا بانه ليس من اولئك الذين ميزهم الله (بمخ كبير) او قوي عى الاصح وانه لشديد الشعور بانه مبتلى بمخ صغير وضعيف في آن واحد ولولا اصرار بعض الاصدقاء في الحث على الكتابة لما ابتليت القراء بآثار هذا المخ الذي اشعر بثقلها في نفسي ، أما كونه لا يحمل شهادة عالية فهو بديهي معروف لاني بحمد الله لم اخرج من الحجاز وفي زمننا ـ اعني ونحن طلاب ـ لم يكن في الحجاز مدارس عالية .

نقول هذا على اثر الحديث الذي بلغنا من صديق عزيز ضمه مجلس مع الاستاذ ع ..... ودار البحث فيه حول كلمتنا في الاسبوع الفائت عن مدرسة تحضير البعثات فكانت حملة الاستاذ شديدة ـ على محسوبكم ـ بل انه صرح انه كان يظن ان هذا الكاتب يفهم شيئا ولكن قد ظهرت له في هذا المقال العقلية الحجازية في كتابة هذا الكاتب الهجاص .

(وبرضه انا اقول كده يا استاذ !)

وقد وهم الاستاذ في كلمتنا فظن اننا نحارب مدرسة البعثات ونحط من قدرها ونظن ان العلم طعام سائغ يستطيع ان يلتهمه الطالب في فرصة زمنية قصيرة لا يا استاذ ما هذا اردت وارجوك ان تتفضل بقراءة الكلمة مرة اخرى . وان كان لي عتب على الاستاذ فهو تحامله على فكرة كتابية في مجلس غاب عنه الكاتب الذي كان قد يستطيع الدفاع عن نفسه . اما اذا كان الاستاذ يستبعد ان يضمه مع الكاتب مجلس ففي صفحات الجريدة متسع ، واذا لم يتنازل بالرد على صفحات الجرائد فيجب ان لا يتنزل فيحط من عقليات الحجازيين اجمع في مجالسهم .

(١) اشارة إلى الموقف الذي وقفه المستر

شعورنا نحو فلسطين

يخيل الى وانا اسمع هؤلاء العلماء ـ علماء المسجد النبوي ـ يوم ان بلغهم خبر التقرير الذي وضعته اللجنة الملكية لتجزئة فلسطين وهم المعروفون بالهدوء والسكينة والموصوفون بأخذ الامور بالحكمة والموعظة الحسنة ان قوة الصبر في نفوسهم قد نفدت وان بركان هدوئهم قد انفجر فاننا لم نكن نسمعهم يتكلمون بألسنتهم ولكننا سمعناهم يبكون وقلوبهم تفيض على ألسنتهم ، وهذا الدمع الذي كان يفيض من اعين آلاف السامعين لم يكن الا انفجارا من هذه النفوس المتأثرة وتخفيضا لتلك العواطف المكبوتة ودليلا قاطعا على ان المسلمين لا يفرطون ولكنهم يرون في السكون تحفزا لانتظار الفرصة .

الفرصة ! فلا يظن غاشم ان ٤٠٠ مليون مسلم سوف يرضى بتقسيم فلسطين او انه سوف يكتفي بالاحتجاج والاستصراخ .

هذه العين نظرت وهذه الأرجل مشت ، مشت في جموع المحتشدين الذين كانت نفوسهم تقفز في اجسادهم وأرجلهم تتوسع الخطى الى الامام ! الى الجهاد ! الى فلسطين ! ولولا ان هذا القصر الاميري في طريق المتظاهرين ولولا انهم رأوا من الضرورة ابلاغ احتجاجهم الى هذا الامير لرفع العسف عن فلسطين بالطرق الدبلوماسية ولولا ان هذا الامير هدأ الخواطر واستعمل الحكمة وكتب امام المتظاهرين برقية باحتجاجهم الى جلالة الملك المعظم لكانت الحال غير الحال ولاخذت هذه الجموع طريقها الى فلسطين الى الجهاد في سبيل رفع الظلم والعسف (وليمت من مات في الطريق ! وليحصل من حصل الذب عن فلسطين فالكل مجاهدون ولكل ثواب الجهاد) .

اجل فليس خيال ما اقول ومن يعرف النفس الثائرة للكرامة والدين ومن يعرف النفس التي وصل بها الامر الى حد الخروج عن التعقل يعرف انها تعمل الجائز والمستحيل ! وهل سمعت الى صحفينا العجوز وهو يصيح في الشوارع من غير شعور ولا وعي لغير ما هو فيه (فلسطين بلاد عربية ! لا نرضى بتقسيم فلسطين ! نفدي فلسطين بارواحنا !) وهل سمعت فهمي وهو يتقدم بعض المتظاهرين يصيح في حرارة وتأثر (ليسقط وعد بلفور ولتحي فلسطين العربية) .

وهل سمعت زيدان وهو يصيح خطيبا وقد ضيع الموقف منه رزانته ومحافظته على تقاليد الخطابة (هلموا لرفع العسف عن فلسطين) واخيرا هل سمعت الشيخ الداغستاني وعلامات الضجر بادية عليه وفي كل نبرة من نبرات صوته ولعة يشعل بها نفوس السامعين فترتفع هذه النفوس وتنحط مرات ومرات ! وهل سمعت الشباب المتعلم الذي كنت تسمعه في كل ناد يخطب يصيح (هذا يكفي ايها الخطباء ! فامشوا الى فلسطين لنذب عن الحياض ولنموت في سبيل الكرامة ولنغير بدمائنا هذا الحال ولا خير في العيش مع الذل) .

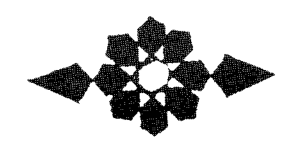
واسمع مني حديث (ابو محمد) رجل الحارة العجوز (والله يا شيخ هؤلاء لا ينفع فيهم الا الجهاد ، والله اني اعتقد اني اقابل ١٠٠ من هؤلاء اليهود . آه ، بس يأذن لنا ابن سعود وعين عيونك وايش نبغي من الحياة دماءنا واموالنا في سبيل الله) .

لكم الله ايها الخطباء فلقد الهبتم حماس الامة ووضعتم ايديكم على مواضع الالم من نفوسهم فشعرت بمرارة الالم وصاحت تبغي الانتقام في جنون العاطفة لا في هدوء العقل .

ثرتم للكرامة بعد طول الصبر فثار شعبكم مؤيدا صارخا وخلعتم العذار في سبيل القضية الاسلامية الكبرى فخلع شعبكم العذار يبغي الانتقام . الحق ان المسلمين الى خير والحق ان المسلمين كالجسد الواحد :

تعس العداة فما يفرق شملنا — متفرق الاسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بان وراءهم — شعبا وان الله بالمرصاد

ان الامر عظيم في بريطانيا العظمى المعروفة باحترامها للمبادىء والمحافظة على الشعور العام بأن تعيد النظر في قضية فلسطين وتنصف العرب وتعيد للمسلمين هدوءهم وطمأنينتهم . وان رجال بريطانيا المعروفين ببعد نظرهم وصحة حدسهم سوف لا يتحدون شعور ٤٠٠ مليون مسلم تربطهم مع الكثيرين منهم روابط وثيقة وسوف يقدر رجال الاقتصاد منهم ان عدم التعاون الاقتصادي من مثل هذا العدد سوف يؤدي حتما الى ضرر جسيم وسوف يقدر رجال السياسة والحكم في بريطانيا ان تحفز هذا العدد وتربصه الفرصة للانتقام لا يكون من صالح انجلترا في وقت ترى فيه اوربا نفسها تهيىء هذه الفرص .



كنت في غانا
أكرا الحديثة

لم تكن اكرا في الاصل هذه المدينة ذات الطابع الحضاري الحديث فيما يسمى بمدينة اكرا اليوم فقد كانت عدة قرى كبيرة تتناثر في السهل الفسيح الممتد على شاطيء المحيط وكان يسكن هذه القرى قبائل ذات عادات ومعايش مختلفة فسكان القرى القريبة من الساحل يعيشون على صيد الاسماك وصناعة القوارب اما سكان الشمال فأهل حرث وزراعة وكان هؤلاء السكان عرضة للخطف والاتجار من اولئك البيض الذين كانوا يرتادون هذه السواحل باحثين ومغيرين ومهربين ومازالت حصونهم وقلاعهم التي كانوا يحتمون بها باقية في اكرا حتى اليوم . وبمرور الزمن وتحسن المواصلات تكونت من مجموعة هذه القرى والقرى المستحدثة بسبب ما استجد من ظروف وحالات (مدينة اكرا) . ورغم التقدم الحضاري السريع في أكرا بعد أن أصبحت عاصمة جمهورية غانا فإن آثار التباين في عادات وتقاليد اهلها مازالت واضحة نتيجة لمجموعة القرى التي تكونت منها المدينة والتي يختلف اهلها في العادات والتقاليد وانك لتلمس آثار هذا الاختلاف في مناسبات الاعياد والاحتفالات التي تقام في الشمال والجنوب وقد يتخالفون في تواريخ الاعياد والمناسبة واحدة وكذلك الامر في طرق العيش والحياة فبينما يتمسك سكان الشواطيء باستمرار الحياة التي كانوا يعيشونها في الماضي فيعملون قوارب صيدهم بأيديهم ويكرهون استعمال القوارب ذات المحركات تجد في قلب المدينة احدث المخترعات وتجد السيدات يتسابقن على موديلات الازياء الحديثة وبينما يقاوم رجال الدين من الطراز القديم التيارات الحديثة المختلفة يؤيد المحدثون هذه التيارات ويقاومون طراز الحياة القديم .

وقد تقع عينك في الشوارع المزدحمة بالسيدات اللواتي يرتدين احدث الازياء على شابة تتزر بازار عارية الصدر . مصنوع من الخرز الملضوم ، ان معنى هذا في تقاليد قبيلتها انها تؤدي طقوسا خاصة ببلوغها سن الرشد . وعلاوة على كل هذا فهناك تقليد ملحوظ يعرف به الشخص الى اية قبيلة ينتسب اذا ذكر لك اسمه فكل اسم يحمل حرفا خاصا يرمز الى القبيلة التي ينتمي اليها .

وفي عام ١٩٦١ ـ ٢٩ مارس اعلنت حكومة جمهورية غانا المستقلة اعتبار اكرا عاصمة الجمهورية . وكان ذلك ذروة التقدم الذي بدأ في اكرا منذ اكثر من ستين عاما عندما عقد فيها لاول مرة في عام ١٨٩٨ .. اول مجلس قومي في اكرا وتحت تأثير التوسع المطرد للمدينة عين مجلس المدينة للتخطيط وحتى عام ١٨٧٦ وقبل ان تنقل الادارة العامة للحاكم البريطاني الى اكرا كانت مدينة ـ كاب كوست ـ المركز الحكومي لساحل الذهب .

وبعد هذا الانتقال بدأت اكرا تتقدم بسرعة فان تحول مركز الحكومة اليها حول اليها الانظار واصبحت مركزا لجميع المؤسسات التي يفضل دائما ان تكون مراكزها الرئيسية بالقرب من المركز الرئيسي للحكومة . وعدد سكان اكرا اليوم يقدر بـ ٣٨٨٢٠٠ وتعتبر اكرا اهم مدينة ذات اثر فعال في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في غانا ويقدر عدد المهاجرين اليها سنويا بثلاثة آلاف شخص وقبل اتمام مشروع ميناء تيماء الحديث وهو من المشاريع الهامة التي حققتها الجمهورية بعد الاستقلال . كانت اكرا تعتبر ميناء هاماً ومركزا للتوزيع والآن وبعد اتمام مشروع ميناء تيماء الحديث قلت اهميتها في هذا الحقل الا ان اهميتها قد ازدادت كمركز تجاري وزراعي ومنبع للاشعاعات الوطنية . وفي اكرا مآثر تاريخية ذات طابع خاص منها الحصون التي بناها المغيرون المستعمرون منذ القرن السابع عشر من البرتكيز والسويد والدانيمارك والهولنديون وبرتغال وانكلترا واشهر هذه الحصون واقدمها حصن كريستيان بورغ وقد بناه البرتغاليون حصنا لهم ومركزا لتجارتهم حوالي عام ١٥٧٨ م وكان هذا الحصن موضع غارات من المستعمرين انفسهم فقد استولى عليه السويديون عام ١٦٥٧ وأعقبهم عليه الدينماركيون فانتزعوه منهم وفي عام ١٨٥٠ حل الانكليز محل الدينماركيين بعد ان تم التفاهم بينهما ومنذ ذلك التاريخ اصبح نفوذ الانكليز يتغلغل في المنطقة وبمدافع هذا الحصن اخضع الانكليز سكان هذا الساحل من القبائل وسخروهم وفرضوا عليهم الضرائب ثم هجروه بعد توغلهم واستحكامهم فاستعمل مستشفى للمجاذيب لفترة من الزمن وفي عام ١٩٠٠ اعيد بناؤه واتخذ قصرا لرئيس الوزراء ثم سكنا لرئيس الجمهورية وفي جناح خاص منه تعقد جلسات مجلس الوزراء . وحصن اشرفورت وهو حصن قديم بناه الهولنديون عام ١٦٤٢ واتخذوه مقرا لتجارتهم وغاراتهم على السكان ثم اصبح في يد الانكليز ثم استرده الهولنديون ثم هجروه في عام ١٨١٦ ثم عادوا اليه وفي عام ١٨٣٠ ـ اعادوا بناءه بعد ان اصبح حطاما بسبب زلزال كان قد اجتاح المنطقة وموقعه اليوم بالقرب من بناية البريد العام واستعمل سجنا عاما لمدينة اكرا . وحصن جيمس وهو حصن بناه الانكليز عام ١٦٧٣ ، وفي هذا الحصن سجن الدكتور نكروما ورفاقه في ثورتهم ضد الاستعمار ومطالبتهم بالحكم الذاتي عام ١٩٥٠ .

وفي اكرا مساحة كبيرة تقدر بستة اميال وتقع الى الشمال من قلب المدينة وهذه المساحة تعتبر موقعا من اهم المواقع التعليمية في اكرا وربما في غانا كلها وفي القسم الشمالي من هذه المساحة تقع جامعة اكرا اما القسم الجنوبي فعلى ارضه بنيت اكبر مدرسة ثانوية في اكرا وبه معهد الادارة العامة ومعهد ادارة الاعمال . وفي اكرا اثنتا عشرة مدرسة ثانوية ومعهد فني ومائتان وسبعة وسبعون مدرسة ابتدائية ومتوسطة ومعهد صحفي ملحق بالمعهد الفني وفيها ثلاث مكتبات عامة ومتحف تاريخي ومتحف فني ومتحف للفنون الافريقية في مختلف العصور وفيها مسرح للدراما الافريقية وفي اكرا عدة سينمات شتوية وصيفية وبها استاد رياضي يتسع لخمسة وعشرين الفا وفي هذا الاستاد تقام مباريات عالمية عدة مرات في العام وبها نصب

تذكاري لضحايا الحربين العالميتين ويقع بين الاستاد والنصب قوس الحرية نقشت عليه بحروف بارزة (الحرية والعدالة) وفيها عدة اوتيلات فخمة ثلاثة منها ملك للحكومة هي الامباسادور وستار واوتيل المطار واوتيلات اخرى يملكها الافراد وتتراوح اجرة الليلة الواحدة مع الخدمة والطعام من جنيهين غانيين الى ثمانية جنيهات والجنيه الغاني يوازي الجنيه الاسترليني في القيمة وفي اكرا ثلاث مستشفيات حكومية كبيرة مستشفيان مدنيان وواحدة عسكرية هذا عدا المستشفيات الخاصة والمستوصفات المنتشرة في عموم الاحياء ووسائل الموصلات في اكرا ميسرة وسهلة فهناك غير السيارات الخاصة سيارات التاكسي والاتوبيسات واجرة التاكسي شلنان للمشوار الواحد داخل البلدة اما الركوب في الاتوبيس فلا يكلف اكثر من ثلاثة بنسات وقد سهلت هذه الوسائل التنقل بين جميع اطراف المدينة فيمتلىء قلب المدينة بالآتين صباحا ويعود فيخلو مساء وهكذا حركة مستمرة دائمة .

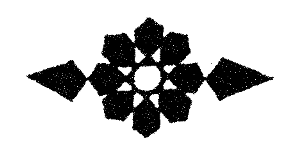
تقع مدينة اكرا في الجانب الجنوبي للسهل الممتد المسمى باكرا والتي اخذت المدينة اسمها منه في بقعة منسقة الاشجار مكتسية بالحشائش متماوجة بانواع الزهور الطبيعية ويبلغ ارتفاعها عن البحر في بعض اقسامها ١٨٠ قدما . وترتفع الرطوبة الى ٧٪ ودرجة الحرارة الى ٨٦ فرنهيت وموسم الامطار فيها هما شهرا مايو ويونيه وقد تعرقل كثرة الامطار في هذا الموسم حركة المرور بسبب كثرة جريان المياه .

وفي اكرا مصانع مختلفة للصناعات الخفيفة : مثل تعليب السمك والفاكهة وصناعة الاثاث والبلوك والاجر ومصانع المشروبات بجميع انواعها وجل هذه المصنوعات تصدر للاسواق المحلية لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير العملة الصعبة . وتعتبر اكرا في الوقت الحاضر مركز اشعاع للوحدة الافريقية وللتضامن السياسي لحكومات افريقيا فقد عقدت بها عدة مؤتمرات لرجالات افريقيا لبحث مشاكل القارة واصدار القرارات التي من شأنها توثيق الروابط بين الحكومات الافريقية والنظر في حل المشاكل الخاصة بالقارة بطرق المفاوضات السلمية والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي .

والاسواق الوطنية في اكرا ذات طابع خاص فهي اشبه بخان كبير مسور له ابواب من كل جانب وقد يستطيل فتبلغ مساحته كيلومتر وداخل هذا السور تمتد الدكاكين وهي اشبه ببسطات (منى) مع فارق بسيط في التنسيق فليس لها ابواب واقفال وغالب الظن ان لها حراسا بالليل او ان اصحابها ينامون بها وبهذه الطريقة اصبحت هذه الاسواق منعزلة تماما عن الشوارع فلا تدخلها السيارات ولا يقصدها غير من كانت له حاجة وقد دخلت ثلاثة من هذه الاسواق ، احدها خاص بالاقمشة فتجدها معروضة على الدكاكين واطراف السوق في صورة اكوام كبيرة والسوق الثاني سوق مختلط تجد فيه كل ما تطلب معروضا بنفس الطريقة وبدون نظام او ترتيب حتى الاطعمة الشعبية تجدها في هذا السوق تباع مطبوخة في افران خاصة وسوق من هذا النوع خاص باللحم والحوت وانواع الخضروات وفي هذا السوق لاحظت

عدم العناية بالنظافة والاسباب الصحية فلم استطع الاستمرار فيه ، والازدحام والحركة في هذه الاسواق لا تقل عن الازدحام والحركة في المعارض الحديثة التي لا تقل ضخامة وروعة عن معارض شيكوريل بالقاهرة بل ربما فاقتها واكبر هذه المعارض غانا هاوس ويوتي سي وكنكز دي وسلالم يو تي سي سلالم كهربائية وهناك سوق خاص بالاعمال اليدوية التي يزاولها سكان غانا وهي سوق خاصة بالمسلمين وهي لا تختلف في العرض عن الاسواق الوطنية الاخرى ما عدا فارق واحد هو ان تلك الاسواق تقع تحت سيطرة النساء فاكثريتهن اللاتي يزاولن البيع والشراء اما سوق المسلمين هذا فلا اثر للنساء فيه وتجد في هذه الاسواق جميع الصناعات اليدوية الوطنية تماثيل افيال من الخشب الجميل في اللون الطبيعي الجذاب والغزلان المصنوعة من ناب الفيل وجلود الحيات المزركشة والعصي الجميلة والاقواس والسهام والمقاعد المزركشة المصنوعة من الجلد والسلال اللطيفة الملونة والطبول وحاجات كثيرة اخرى تعتبر تحفا في نظر السائح فلا يملك مقاومة اغراء شرائها واستحواذها مهما كانت سيطرته على نفسه قوية وتجد السواح الاجانب يتهافتون على هذه السوق ويعودون بالشيء الكثير من معروضاتها .

والملفت للنظر حقا وجود كنائس كبيرة في اكرا اربعة او خمسة وليس بها سوى مسجد صغير واحد لا يتسع لأكثر من مائة شخص مبنى على طريقة بدائية ويقع في قلب المدينة كرمز لضعف المسلمين هناك . ورغم ان سكان غانا ٤٠٪ منهم مسلمون فلا يوجد في اكرا مسجد جامع ويصلي المسلمون الجمع والاعياد في العراء كل وحسب ما تيسر له وقد علمت ان سفراء الحكومات الاسلامية في اكرا اجتمعوا مرة لجمع تبرعات لبناء مسجد جامع في اكرا وطلبوا ارضا من الحكومة لبناء المسجد عليها ، وحتى الآن والموضوع مجمد وارجو ان لا تفتر همة سفراء المسلمين وسفير حكومتنا بالاخص في اعادة الكرة بعد الكرة لتحقيق هذا المشروع فان وجود جامع كبير في اكرا سيقوي الشخصية الاسلامية فيها ويشعر المسلمون هناك بمكانتهم بين المسلمين .



١ ـ الهروب من الحياة

ان الحياة التي نعيشها كما يفهمها البعض انها أكل وشرب ولذاذة واندفاع وراء المباهج والمسرات ، وليست هي ايضاً كما يفهمها البعض الآخر عقل واتزان وخضوع وتسليم ان هذه المعاني مع كونها من ضرورات الحياة ولازمة من لوازمها ومع كون بعضها افضل من بعض الا ان الحياة في رأي معنى غير هذا انها نداء عميق منبعه الضمير نداء كثيراً ما نصم آذاننا عن سماعه ونهرب من الاستجابة له فنعيش لما لم نخلق له ونتسبب في فشكلة هذا التنظيم الجميل الذي أبدعه الخالق ونسميه بالحياة ونندم حين لا ينفع الندم في مراحل حياتنا الاخيرة حينما يجلجل هذا الصوت في صدورنا بالتهكم والاستهزاء لاننا هربنا من الحياة جبنا فلم نتقابل معها وجها لوجه .

وسأبدأ بحثي بالحديث عن النوع الذي سأسميه بالفراشة الهائمة لان هذا النوع يتميز بالسطحية والبساطة . وغالبا ما يتحدث الناس عن الفراشة الهائمة بصيغة ـ التأنيث وباعتبارها من الجنس الناعم ولكن واقع الامر واستمرار وجود هذا النوع في المجتمع جيلا بعد جيل يحتم وجود الجنس الخشن من نوع الفراشة الهائمة فالحياة لا يمكن ان تستمر مالم يتعاون الجنسان على بقائها وكحقيقة ثابتة فإن هذا البحث سيشمل الجنسين فيما دعوه بالفراشة الهائمة ولو ان الفرق سيكون دقيقاً في التفريق بين الذكر والانثى لهذا النوع لان الصفة المتغلبة عليه هي صفة التأنيث . ولذلك فاني سأقصر بحثي على هذا النوع باعتباره من الجنس الناعم . ان هذا المخلوق الجميل الفراشة الهائمة ـ يجمع في طبيعته بين طبيعة فراشة النور التي تتمتع بجمالها ليلاً وفراشة الزهور التي تتمتع بجمالها نهاراً وفراشتنا التي نعالج الحديث عنها تتمتع بمباهج الحياة ليلا ونهاراً لذلك كانت لها ميزة الفراشتين فراشة النور وفراشة الزهور .

انها حديث المجتمع في مجالس سمره ولهوه وملذاته يتحدث عنها ونعيش مجالسها ويتلهف على ابتسامة الرضا منها ويحسدها لاستيعابها مظاهر البهجة والسرور ولانتقالها بخفة ونشاط في جميع النوادي والمجتمعات كما يتنقل الطائر النشوان من شجرة الى شجرة في بهجة ومرح انها تمثل ظاهرة من اعجب المظاهر في المخلوقات .

فبينما ترى الناس يتسابقون إلى التعرف إليها والاستمتاع بجمالها وخفتها ورشاقتها واغرائها تراهم يتحدثون عنها بتهكم ويحكمون عليها بالاضمحلال بل ويزدرونها .

وهي انما تعيش لغرض واحد هذا الغرض هو الحركة الدائمة الحركة التي تلفت اليها الأنظار في كل ناد وفي كل مجتمع انها تعيش لتندفع مع كل تطور وحادث يثير الضجة والضوضاء ويتكون منه حديث اليوم والساعة تندفع الى موديلات الملابس والسيارات والساعات والنظارات الملونة ليراها الناس في كل يوم في المظهر الجديد ويتحدثون عنها فهي تتغير دائما كيفما تغيرت اتجاهات وميول المجتمع ولكنها لا تتغير في شيء واحد في حب الظهور

والاختيال كالطاووس في كل مجتمع وفي كل ناد وهي لا تحب التعمق والدخول في مشاكل الفلسفة بل تجري وراء كل ما هو سطحي وبسيط تكتفي من الكتب بحفظ اسمائها ومن الادباء بمعرفة ابرز اوصافهم وقد تخرج متكلفة عن سطحيتها الى نقاش المجتمعات التي تغشاها . انها تحاول ان تضرب في كل ميدان بسهم فتحفظ بعض الالحان المشهورة لتترنم بها وهي مسترخية على الاريكة ، تعمق بسيط اذا اقتضى الامر ذلك فإذا ظهر كتاب جديد أحدث ضجة بين القراء فانها تخرج عن تقليدها من حفظ اسم الكتاب واسم مؤلفه فتعبر على صفحاته وتحفظ بعض الجمل التي قد تكون ذات موضوع للاستشهاد بها اذا لزم الامر في مغمضة العين من النشوة فيستمع لها العشاق والمعجبون مبهورين واذا ذكر الاصلاح رأيتها في مقدمة المتحدثين عن الاصلاح انها تتحدث عن كل اصلاح ما عدا الاصلاح الذي يشمل حياتها . تشترك في الاسواق الخيرية على احدث ما يشترك فيه منافس . واذ حدث واندلعت نيران الحرب وكان في هذا الحادث ما يثير الضجة والظهور رأيتها في مقدمة الحركة وفي طليعة الداعين للذود عن الوطن .

قد تلاحظ ايها القارىء على قسوتي واستهزائي من هذا المخلوق الاجتماعي اللطيف ولكن البحث الاجتماعي لهذا المخلوق يجب ان يكون بهذه القسوة فلم يسبق ان تحدث الباحثون عن هذا المخلوق دون قسوة واستهزاء . ولا أعتقد أن الباحثين في المستقبل يغيرون فيه وجهة النظر هذه ـ ولكن اليس من حق هذا المخلوق اللطيف على الباحثين أن يدرسوا أسباب هذا الاتجاه في حياته . اننا لو تعمقنا في البحث لوجدناه في حاجة كبيرة الى العطف والرثاء فهو في حركاته هذه الدائمة وراء البهرجة والمرح انما ينشد السعادة . السعادة التي ينشدها كل انسان ـ ولكن لسوء الحظ في رأيي ورأيك اخطأ السعادة الى اللهو ـ انه يجري ليله ونهاره ليأكل ويشرب ويزاحم ليرى كل ما يرى ويسمع كل ما يسمع وليراه كل من يرى ويسمعه كل من يسمع ، وليقلده الناس وليقلد الناس .

انه يضيق ذرعا بعيشة الانفراد ، يقتحم المجتمعات ويوطد صلاته بها ، انه دائم الانشغال بالناس واذا انفرد بنفسه فانما ينفرد بها ليعدها ويهيئها للسهرة الجديدة وللمطارحات والنكات والغمز واللمز ولينتزع كلمات الاعجاب والغزل ، انه في تفكير مستمر في احاديث الناس وموديلات ملابسهم وانواع السيارات التي يركبونها والنظارات التي يلبسونها والتي يجب ان يكون له منها أحدث المبتكرات . انه يعيش ثملا مترنحاً في حياة لهو دائم واغراء متصل ، انه يطلب السعادة كما يفهمها وان كنت انا وانت نعتقد أنه أخطأ السعادة فهو معذور .

انه لا يفكر في المستقبل الا عندما يواجه هذا المستقبل بوجهه الكالح البغيض عندما يواجهه بالخيبة والفشل وزوال الوهم الكاذب وهجوم الامراض والروماتيزم نتيجة السهر والادمان ودوام الحركة في مستهل الحياة .

ويدرك عندئذ ان ما أصابه هو نتيجة للفهم الخاطىء والتفسير الصبياني لمعنى السعادة التي كان يجري وراءها ويلاحقها في دور اللهو وأحضان المباهج والشهوات ، ويشرب المقلب ويندم حيث لا ينفع الندم .

— ٢ —

ولأحدثك عن النوع الآخر وهو من نفس الفصيلة ومن نفس الجنس وأنا عندما اتحدث بلفظ التأنيث عن هذا الموضوع ليس لأني أتحدث عن الأنثى فقط ولكن لان الفرق بين الذكر والأنثى في هذا النوع ايضاً طفيف جداً وهذا ما يجعلني اتحدث عن الجنسين بلفظ التأنيث. انك ستعجب بلا شك من الطريقة التي اختارها هذا النوع وستقول وأقول معك ما أعقلها لقد رضيت بالقسمة والنصيب ولم تخرج عن الطريق الذي رسمه لها المجتمع؛ فقبلت قيوده وتقاليده عن رضى فلم تتطاول الى مطلب او تبحث عن غاية لم يرسمها لها المجتمع، انها تنظر الى هؤلاء الافراد الذين دوّى اسمهم في المجالات العالمية نظرتها الى المحظوظين والموهوبين ولا تحاول ان تترسم خطاهم وترسم سياسة خطتها وهي تقول: إن المجتمع أقوى مني وخير لي ان اهيء نفسي لأسير في ركابه وماذا اكون، الست عوداً من طرف حزمة، وتسير في هذه الحدود فتأخذ زينتها بأكبر قسط في حدود القيود والتقاليد، ولا تحرم جسمها حقه من الاستمتاع والفكر .. حقه من القراءة والبحث وتدرك بحسن تفكيرها ما في الجري وراء مجالس اللهو والبذخ الكاذب من سخافة فتتجنب ذلك. فهي تحس في قرارة نفسها ان أيام الشباب ستزول حتماً فلا بد من استخدامها لمواجهة أيام الشيخوخة العصيبة. وهي عندما تبحث عن اللذة فانها تبحثها في دراسة الفنون والآداب لأن هذا اللون من الاستمتاع يزيد في المقدرة ولا يضعف الكيان.

انها تدرك ان لا سعادة في اهمال اداء الواجب وأن المحبة والعطف هما ينبوع الغبطة والهناء فلذلك تحرص على اداء الواجب في وقته. وتعمل على مساعدة الآخرين لتنال الحب وتفوز بالغبطة والهناء فهي تبني كيان حياتها على الاستمتاع باللذة والبهجة مع الاذعان للواقع المفروض وتكره الخروج عن المألوف ولا تغشى المجامع العامة ولا تجري وراء الموديلات في معارض الازياء وتبتعد عن ارتياد صالونات نجوم المجتمع والتحشر في مجالس المعروفين والمشاهير، انها تؤمن ان النفس البشرية الصافية هي منبع السعادة الصافي، فهي تجتر السعادة من اعماق هذه النفس ولا تؤمن بالمظاهر الخارجية في دور اللهو ومجالس الاغراء فتجد مظاهر الرضا والاطمئنان بادية على ملامح وجهها البشوش ومهما كانت تقلبات الزمن فانك تجدها في مراحل حياتها الاخيرة لا تتألم من هموم الامراض وعدم الكيان كما حصل لزميلتها الفراشة الهائمة لانها اعدت العدة لمجابهة كل هذه التقلبات انها تؤمن بالمثل القائل ان سر السعادة بين جنبيك ففتش عن مملكة الخالق في جوانب هذه النفس. ولكنها مع ذلك تشعر بالندم! نفس الشعور الذي شعرت به الفراشة الهائمة في المرحلة الاخيرة.

- ٣ -

لعلك ايها القارىء تساءلني ما هي الصفة المشتركة التي جعلتني استطرد البحث عن هاتين المخلوقتين ؟ اني مع اعترافي للسيدة الاخيرة بحسن إدراكها وقدرتها على انتزاع الاعجاب والاتصاف بالعقل والرزانة . .

أرى انها اشتركت مع الاولى في الغلطة التي افسدت حياتهما معاً وجعلتهما يصلان في نهاية العمر الى نتيجة واحدة رغم ما يبدو في حياة الاخيرة من قبول واعجاب . ان الغلطة الفظيعة التي تشتركان في ارتكابها في حق الحياة هي الخطأ في تفسير معنى السعادة كما ارادها الخالق المبدع لهذا الكون . ولو أتيح لك ان تتوغل في اعماق من اعترفنا بحسن سلوكها وتحصنها ضد تقلبات الزمن لوجدتها في آخر الشوط تتألم في دخيلة نفسها لأنها اخطأت السعادة كما اخطأتها الفراشة الهائمة وترى ان سلوكها في الحياة مع ما بدا لها فيه من عقل واتزان كان سلوكا خاطئا اخطأت فيه سبيل السعادة رغم انها تجنبت سلوك الفراشة الهائمة وميدانها لتأكدها من سخافة هذا السلوك وبعده عن السعادة . والموضوع في رأيي اكثر عمقاً من كل هذا ، فان الخطأ الكبير الذي ارتكبته الفراشة الهائمة ليس هو في اندفاعها وراء شيء ما ولكن كان الخطأ في اندفاعها هاربة من شيء ما ، « هذا الشيء الذي اسميه حمل العبء والاستعداد للتضحية وليست الاخرى في اتباعها سبيل الحكمة والرزانة والسير في ركاب المجتمع الا هاربة من حمل العبء والاستعداد للتضحية وهذا الشيء هو جوهر الحياة في معناها الرفيع . وتساويهما في الهروب من حمل العبء والاستعداد للتضحية ساوى بينهما في الغلطة الفظيعة التي ارتكباها في حق الحياة فكلتاهما تجنبتا مواجهة مطلب الحياة الجوهري فقدمتا الثمن متساويا او شبه متساو في النهاية تلك بالشيخوخة والهرم وتراكم الامراض وهذه بالشعور بالخيبة والاندحار فقد رفضت كلتاهما الاستجابة الى الصوت الذي ناداهما من اعماق النفس ليقودهما الى الطريق الصحيح ليؤديا رسالتهما فكانت الخيبة جزاء لهذا الاعراض .

قد يقول قائل ان السيدة الاخرى بسلوكها خطة الاستسلام للواقع والمسارعة في مساعدة الاخرين ونشر القناعة بين العموم قد انتهجت خطة مقبولة وقامت بعمل مقبول وانا لا انكر هذا وأؤيده ولكن اقول ان الفراشة الهائمة عندما اختارت طريقها الى الاندفاع نحو اللهو والسهر والجري وراء ملذات الحياة كانت تهدف هي الاخرى الى خطة معلومة مقبولة من فئة اخرى من الناس وهي الاستمتاع بالشباب قبل ان يولي وتأتي الشيخوخة بآهاتها وحرمانها . فإذا كان الامر كذلك فإن لكل منهما خطة مقبولة حسب الهدف الذي يرمي اليه فلا لوم اذا على احدهما دون الآخر ما دام كل منهما يسعى لغاية وهدف .

والذي اريد ان اقوله انك عندما تهرب من الحياة سواء التجأت الى عمل صالح حميد أو الى آخر غير مقبول فان الاساءة الحقيقية التي ارتكبتها في الحالتين هي الهروب من الطريق الذي رسمته لك الحياة والالتجاء الى غيرها وبارتكابك هذا الخطأ قد حدت عن السبيل واخطأت المعنى الحقيقي للسعادة فإن السعادة لا تنبعث من الرضا والاستسلام ولا من الاندفاع وراء الملاهي والملذات . ومما لا نزاع فيه اننا عندما نغالط ضمائرنا ونصم آذاننا عن سماع صوت الضمير الذي يوجهنا الى الرسالة التي خلقنا لنؤديها نرتكب خطأ لا يمكن تصحيحه .

وقد نحاول في مغالطتنا لصوت الضمير ان نتوجه الى عمل له نتائج مقبولة او آخر لا يقبله الناس ، ومغالطة الضمير بأي شكل من الأشكال اسميها الاثم في حق الحياة فالضمير الذي نغالطه بهذه المعاني والانحرافات سيستيقظ في النهاية وفي الساعة المناسبة ليعذبنا وينتقم .

— ٤ —

الهروب من الحياة تفكيك لها والحياة عندما توجهك بفطرتها تهيىء لك المجال لاستكمال اسبابها وقد تهيىء لك هذا المجال بثمن زهيد او بدون ثمن مطلقاً ولنضرب مثلا : شاب له اتجاه فطري للهندسة الميكانيكية والده ايضا مهندس ميكانيكي بارع صاحب ثروة كبيرة وله رغبة عارمة ان ينشأ ابنه ميكانيكيا بارعا ويكسب صيت ابيه ويحتل مركزه ، ان الحياة في هذه الحالة قد فسحت المجال للغريزة الفطرية ولم تتقاض من صاحبها اي ثمن ليستسيغ صاحبها هوايته وسيصبح مهندساً مشهوراً وتدوي باسمه الدنيا دون اي جهد أو عناء يذكر .

ومثال آخر شاب مفطور يحب الادب والده ميكانيكي بارع وثري مشهور يحتقر مهنة الادب ويكره الاهتمام بها والتوجه اليها ـ وقد عزم على توجيه ابنه توجيها ميكانيكياً وصرفه عن وجهته الادبية ويوجهه قائلا اسمع ! كن عاقلا واختر مهنة ابيك انك اذا فعلت فسأضع كل امكانياتي تحت تصرفك . واذا كنت مجنوناً واخترت مهنة الادب فسأنفض يدي منك وستجد مني كل معارضة .

ان الحياة التي وهبتك فطرة الادب ستهيىء لك المجال لاشباع رغبتها بل ان المجال للادباء في هذا العصر لاوسع كثيراً عما كان عليه من قبل ـ غير ان الثمن في هذه الحالة فادح جداً مما يجعل الشاب يتردد كثيراً فاشباع رغبة فطرته الأدبية سيكلفه سخط والده وبالتالي طمأنينته وراحته والثروة والجاه العريض الذي يتمتع به في كنف والده وقد يشمل ذلك ايضاً ضياع مستقبله في الجاه والمال والزوجة التي يتطلع اليها ـ انه سوف يفقد كل العناصر التي تهيىء ما اصطلح الناس على تسميته بالسعادة .

وطبعاً فانه من المحتمل جداً ان هذا الشاب اذا استجاب لنداء فطرته واهمل رغبة والده وتابع دراسة الادب ونجح فانه سيسترد كل ما دفع من الثمن وقد يسترد اكثر مما دفع فيخلد اسمه واسم عائلته كأديب عالمي في سجل التاريخ ومع ان نسبة النجاح ٩٩٪ فإن الفشل لا يزال محتملا وهذا ما يجعل اهمال الولد لرغبة أبيه والتوجه لدراسة الادب مغامرة وتفريطاً وتضييع ما في اليد في طلب ما في الغيب . ولنفرض ان صاحبنا الشاب كان ابناً مطيعاً ومتبصراً ولم يكن احساسه للاستجابة لنداء فطرته قد بلغ حد الكمال فرفض ان يغامر بحاضره المحقق لمستقبل مجهول مع اعترافه بتفوق نسبة النجاح لو غامر فضحى به ورضخ لمشيئة والده وحول اتجاهه لدراسة الميكانيك وبجده وذكائه ومثابرته وحسن نواياه تحصل على اعلا الدرجات في فن الهندسة الميكانيكية واصبح العضد المساعد لأبيه ثم خليفته في جاهه وماله وعمله واكتسب سمعة حسنة بين رجاله فازداد انتاج ورشـه وبلغ بها ذروة الكمال وتوفق في زواجه وانجب ذرية طيبة فأصبح مثالا للشاب الناجح يتمنى كل اب ان يحتذيه ابنه واصبح كفاحه واخلاصه للواجب وحبه ومساعدته للآخرين ونظراته الانسانية العالية حديث المجتمع ومفخرة الاصدقاء .

انه قد عوض ما اضاعه عندما ضحى بإهماله نداء الفطرة المنبثق من اعماقه فتحول من دراسة الادب التي كان يستحثها اليه نداء ضميره الى دراسة الميكانيك استجابة لرغبة ابيه .

ومع هذا كله فاني اقول : اذا كان ميله للادب ذا فطرة سليمة نابعة من اعماق نفسه متسيطرة على كل شعوره فانه مع هذا النجاح المطرد سيشعر دائما بالحرمان وان هذا الحرمان ليتجسم في نفسه واعماق قلبه كلما قرأ لأديب ناجح او اتيحت له فرصة الاجتماع بأديب ناجح بل انه ليشعر بجسامة الحرمان حتى عندما يتحدث الناس عن اديب لم تتح له فرصة الظهور فأقدم في ساعات يأسه على الانتحار ويجد في نفسه ألم الحرمان أكبر عندما يقرأ لأديب يتأثر بآرائه وأفكاره . انه يدرك في هذا الساعة انه باختياره هندسة الميكانيك واهماله فطرته الادبية قد هرب من الحياة واقترف الذنب الكبير في حق الحياة ويرى عندئذ ان كل ما تحصل عليه من مال وجاه وما اعتز به من أبهة وفخفخة لم يكن في الحقيقة الا وسيلة مزخرفة لمغالطة نفسه والانحراف عن اداء رسالته الحقيقية التي خلق من أجلها .

وعندئذ يدرك ان الطريق الناعم الذي اختاره لم يكن في الحقيقة سوى الطريق الوعر الذي اوصله الى الحسرة والندامة التي شملته وهو في نهاية الشوط ويدرك ان الطريق الذي بدا له وعراً شائكا ولم يتسلح بالقوة والشجاعة لسلوكه هو الطريق الذي كان سيصل به الى السعادة والرضا في آخر العمر لو سلكه .

ان ضميره الآن قد تيقظ وهو يسمع تأنيبه بقوة لم يستطع مقاومتها وتحمل وخزها ولكن قد فات الأوان وسوف لا تنفع جميع المسكنات في اخماد صوت التأنيب وتخفيف ألم الوخز ـ انها غلطة العمر فحذار منها .

والتقاليد حتى في هذا العصر الذي غلب فيه التعقل وأصبح الناس يحسون بفوائد التطور وصحة الاستنتاجات المنطقية ما تزال تقف عقبة في سبيل الشباب فلا يعطون الفرصة للنبوغ في رسالة الفطرة التي هيأها لهم خالق الكون وغرس في نفوسهم مبادئها بل ان كثيراً من الشباب يلقنون ويعلمون كيف يهربون من الحياة وربما كانت المضايقات التي تحيطها بهم التقاليد سبباً في هروب الأكثرية منهم الى اللهو والملذات فيعيشون عيشة الفراشة الهائمة فيفقدون حتى الاتزان والتعقل.

فقد اصطلح الناس من قديم الزمن على ان الفضائل في الشباب تكون من ثلاثة عناصر أساسية هي السمع والطاعة والسير في الطريق المخطوط ـ وبهذا ينشأ الشاب إمعة فاقد الشخصية فإذا بدأ هذا الشاب عندما يصبح رجلا يتحمل المسئولية جامداً يتعثر في خطاه وقف مبهوراً بما يجري حوله من تطور وحركة لا يستطيع ان يندمج فيها لاموه على جموده واخذوا يسخرون من جبنه وبلاهته.

اني لا ألوم احدا عندما أشرح الحقيقة فشرح الحقيقة لا يمكن ان يسمى لوماً والحقيقة ان الشباب الذي درج على هذه النشأة لا يجرؤ ان يتقدم عندما تتاح له الفرصة بل انه ليولي هارباً عندما تفتح امامه الابواب، ومن رأيته ناجحاً منهم أو سمعت بنجاحه فتأكد ان هذا النجاح لم يكن الا بسبب وقوعه مصادفة في قبضة الحياة فخلقت منه شخصية ناجحة رغم انفه ولو قرأت تاريخ النابغين لوجدت ان الحياة هي التي صنعتهم بعد أن وقعوا في قبضتها فلولا الفقر والبؤس الذي جابهه مثلا لـما كدح وجالد حتى وصل الى الغاية ولولا احتقار عائلة خطيب مدام كوري لها واحساسها بالجرح العميق لهذه الاهانة لما انقطعت للدراسة وكان لها فضل اكتشاف الراديوم.

والمرأة عموماً الم يكن العنصر الجوهري في تكوين فطرتها هي الامومة فلماذا لا نتيح لها فرصة الزواج ونحن نقصد هذا المعنى الفطري الذي خلقت له ونؤمن بان الغاية التي تحقق رسالة المرأة في الحياة لا تكون الا بطريق الزواج فمطمع المرأة في الحياة ان تلتقي بالفريق الصالح وليس ما نريده نحن من مركز الرجل المالي وقدرته على تهيئة عيشة الترف والرخاء. قد يكون في الرجل شذوذ أو كبرياء أو فقر ولكن هذا لا يخرجه عن كونه مطمح المرأة كقرين يلبي نداء فطرتها.

وقد كرست زمنا من وقتي لدراسة الاسباب التي حرم بعض الفتيات الزواج من أجلها فوجدت ان السبب الوحيد في جميع الحالات هو عدم استيفاء الزوج للشروط المطلوبة من الآباء واعتقادهم ان الزواج بمن لا تكتمل فيه الشروط مغامرة غير محمودة.

والذي اراه ان المغامرة عنصر لازم من عناصر الحياة لأن الحياة الراكدة ليست الا الموت بعينه وليس معنى هذا اني احبذ أن نقدم على العمل دون روية وتفكير ولكن يجب ان لا تصل الروية والتفكير الى حد الجبن والعجز واختيار القرين افضل عندي للجنسين من حياة العزوبية مهما كان التقدير وان اتعس منظر تقع عليه العين من مآسي الحياة هو منظر امرأة قضت زهرة شبابها عانسا ثم اودعت مقرها الاخير لأن أهلها لم يجدوا لها زوجا مستكمل الشروط .

ان هناك ابواباً كثيرة للرجل والمرأة للهروب من الحياة وان الأمثلة، التي ذكرتها هي بعض هذه الابواب وان الاعذار التي ننتحلها للهروب من الحياة ليست الا مخاتلة وخداعاً ، وقليلون هم الذين يدركون من أول الامر ان الظروف قد حتمت عليهم ان يتجهوا اتجاها مضاداً لغرائزهم الفطرية فلم يؤدوا رسالتهم الى الحياة واقل منهم اولئك الذين يستجيبون لنداء الفطرة ويتحدون الظروف فيقاومون بجهد مستميت ليؤدوا رسالتهم كاملة وتنتهي حياتهم وهم راضون عنها ويشعرون في اعماق نفوسهم بنعيم الحياة والرضا والاطمئنان وتلك هي السعادة في اسمى معانيها .

— ٦ —

كل فرد منا حر في تفسير معنى السعادة كما يريدها لنفسه اما انا فلم ترق لي التفاسير التي استعرضتها في القواميس ـ انك لتجد تفسير السعادة في معظم القواميس لا يخرج عن معنى الحظ والرخاء والرفاهية والثروة والجاه ثم قرأت هذا التعريف لاحد الاعلام « السعادة هي حالة اطمئنان تمتاز بالدوام والاستمرار النسبي مع شعور شامل بالقبول والرضا ورغبة طبيعية في الاستمرار في واقع هذه الحالة » ورغم ما يبدو لي من ذكاء والمعية في هذا التعريف فاني لا أقره مالم تترك لي حرية تفسير حالة الاطمئنان على طريقتي الخاصة . ومن رأيي انه لا يمكن لأي انسان ان يشعر بحالة الاطمئنان اذا أخطأ في حق نفسه بإهمال خصائصها . ان تنمية الخصائص النفسية والوصول بها الى اعلا المراتب هو في رأيي منبع الرضا والاطمئنان ، وليس محتما ان يصل الانسان في تنمية خصائصه النفسية الى اعلا درجات الكمال ويصل مع ذلك الى الثروة والجاه والغنى فقد يصل الانسان الى اعلا مراتب الكمال في الخصائص النفسية ومع ذلك لم تتح له فرصة الجاه والمال او حتى الهدوء والاستقرار ولكنه حتما يصل الى الرضا والاطمئنان فحالة الاطمئنان من وجهة نظري هي نتيجة لاقتناع الضمير ورضاه بالجهد المستمر الصادق للوصول بالخصائص النفسية الى اعلا درجات الكمال والانصياع الكامل للاستجابة لنداء الفطرة في اعماق النفس ، والوصول الى درجة القناعة في الاداء والجهد هو السبيل إلى الرضا والاطمئنان وهو السعادة الحقيقية وان لم يكن مقروناً بالثروة والجاه .

فالسعادة إذن ليست مالا وجاها ولا قناعة ولا استسلام انما هي حالة يصل اليها الانسان عندما يستجيب لنداء ضميره ويعمل جاهداً لاداء الرسالة التي خلق من اجلها حتى اذا وصل

نهاية العمر وجد نفسه راضياً مطمئنا عما قام به من جهد في سبيل اداء الرسالة . اما اولئك الذين حادوا فلم يستجيبوا لنداء الضمير فمهما كان نجاحهم في الطريق التي هربوا اليها من استجابة نداء ضمائرهم فسوف لا يعوضهم ما نالوه من كبر الصيت وحسن الاحدوثة والثراء والجاه ولا يحجب عنهم تأنيب الضمير الذي يهب مستيقظاً في نهاية الشوط فيردد في صوت مجلجل لا يسمعه غيرهم ولا يفضى به سواهم قائلا : انكم جبناء لم تستطيعوا ان تجابهوا الحياة فهربتم منها مغترين بالبهرج الكاذب فجئتم الى الحياة وخرجتم منها دون أن تؤدوا الرسالة التي خلقتم من اجلها انكم جبناء ! هاربون من الحياة !

ولئن يعيش المرء مرحلة حياته الطويلة في جهد وكد لأسعد بكثير من ان تنتهي به الحياة الى هذا الحكم القاسي المنبعث من اعماق نفسه والذي يختم حياته بندامة وحسرة .

الأوقاف عندنا وعندهم

« وقف امبراطوري » نشرت جريدة التايمز الاسبوعية الانجليزية تحت هذا العنوان ما ترجمته (استطاع المستر بلدوين ان يحتفظ بسره جيدا فاننا لم نعلم الا يوم الثلاثاء عن تلك الهبة التي لا نشك انه سرى عنه كثيرا عندما علم بها فورا بعد ايام ديسمبر الماضي العصيبة .

ان الشكر الذي كان قد قدمه المستر بلدوين يعزره بشكره كل انجليزي لذلكْ الواهب الغير معروف الذي وضع تحت صرف المستر بلدوين ربع مليون جنيه كشكر وكاعتراف بشجاعته وبعد نظره وثباته ثباتا وديا في مركزه الدقيق [1] وكوسيلة لوقف اي مشروع لتقوية الروابط بين المستعمرات والمملكة البريطانية .

وانه لمما يغبط ويسر ان هذا المبلغ قد وضع في موضعه وتحت تصرف الرجل الذي كان هو نفسه شعر بمثل هذا الشعور نحو الزعماء في ساعاتهم الوطنية الحرجة فوهب للوطن مقدارا عظيما من المال قبل ثماني عشرة سنة وكتب فيما بعد ذلك بامضاء مستعار « حب الوطن خير من حب المال » ونحن نأمل ان تتحقق رغبة الواهب الحالي وان يشترك آخرون في الاضافة على ذلك المبلغ العظيم ليكون اساسا قويا للمشروع الامبراطوري الجديد .

ومن المفهوم ان اللورد بلدوين سيكون رئيسا للمجلس الذي سيتولى تنظيم الدخل السنوي لهذه الهبة . وان الطرق الرابحة لصرف المبلغ تكاد تنظم نفسها بالنسبة لوفرة المبلغ وبالاخص بعد تلك التجارب المكتسبة من ادارة مثل هذه الجمعيات الكثيرة . والصعوبة في الحقيقة انما هي في اختيار الاحسن من هذه الخطط الكثيرة الحميدة) .

ونحن نترجم هذه الكلمة تحت هذا العنوان الذي اخترناه لها رامزين الى ذلك المغزى الذي لا يفوته ذهن القارىء الكريم .

عادة كتابة اليوميات

إذا كان عندك من قواعد اللغة ما يمنعك من العثار في الحديث فإن هذا المقدار كاف لان يجعلك تكتب كتابة صحيحة ولا حاجة بك الى أكثر من ذلك ويجب أن لا تتقيد في كتابتك من حيث القواعد والفكرة والاسلوب بأكثر مما تتقيد بها في حديثك فالتزام الرسمية في الكتابة اعني التكلف فيها خطأ اي خطأ ، فكر واكتب ببساطة كما تفكر وتتكلم ببساطة وستجد إذا فعلت ذلك انك ستنتج أدباً رائعاً .

وليس معنى هذا انك تكتب كيفما اتفق وبدون وعي وجهد فالكتابة بدون جهد وتفكير لا تكون الا هذياناً ، ومن يحترم نفسه سوف لا يهذي .

أنا وإن كنت لا اقيم وزناً لما يسمونه بالاسلوب الادبي واستهزىء باولئك الذين يصرفون جهودهم بالسيطرة على الاسلوب قبل ان يبدأوا الكتابة فإني أؤمن كل الإيمان ان أول مستلزمات الكتابة ان يمتلك الكاتب على ناصية تفكيره عندما يريد ان يعبر بها على الورق تماماً كما يكون ممتلكاً على ناصية تفكيره عندما يتحدث وقد تقول انك قادر على امتلاك ناصية تفكيرك عندما تتحدث ولكن مما تتطلبه الكتابة من تنسيق وتنميق يعسر عليك كتابة ما تتحدث به ولكني أؤكد لك ان هذا وهم لا يلبث ان يزول إذا امسكت القلم وبدأت تكتب . ولزاما على الكاتب ايضاً ان يمرن ذاكرته على الاحتفاظ بالصور الكاملة للحوادث التي يمر بها في كتاباته فإن إهمال ترتيب وتنسيق الحوادث في الذاكرة يفقد الكتابة روحها وجاذبيتها والاهتمام بهذه الناحية والعناية بها يضفي على الكتابة روحاً وجاذبية دون أن يشعر الكاتب او يتكلف .

واخيراً فان الكتابة تتطلب منك جهداً تنتصر به على العقبات التي تعترض كل عمل إنساني مفيد ومفروض على كل انسان ليكون انساناً ـ خاصة في هذا العصر ـ ان يستطيع أن يعبر عن خلجات نفسه وعواطفه وانطباعاته بكل يسر وسهولة ليثبت انه كائن حي . وقد يجد المرء في نفسه كرهاً في كثير من الاحيان للعمل الذي احبه وشغل به نفسه وهذا الشعور بالكره لا يكون وهما في بعض الاحيان بل انه الحقيقة فأنا شخصياً اشعر بالنفور والكراهية عندما اواجه عملي في بداية كل يوم وما أن اجبر نفسي عليه حتى انسجم فيه ويتحول الكره والنفور الى لهفة ورغبة في الاستمرار . وأنت قد تقضي يوماً حافلا بالحوادث الكبيرة والمعلومات القيمة والتجارب المفيدة وترى انها جديرة ان تسجل في يومياتك لتبقى ذكراها حية بتفاصيلها في نفسك ومع ذلك عندما تريد أن تبدأ تكره أن تكتب لانك تجد نفسك مسوقاً بدوافع غامضة الى عدم التعمق في تفصيل صور الحوادث كما هي وتجبرك هذه الدوافع إلى اللجوء إلى التعمية والاختصار وهو ما لا يفي بما تريد .

إن مقاومة الاغراء بالكسل والتزام السطحية والعمل كيفما اتفق هو العنصر الأصيل والجهد الثابت في كل عمل جدي .

إن كتابة اليوميات يعتبر تسلية لتمضية اوقات الفراغ ولكنها في الوقت نفسه عمل له قواعد واصول واجبة الاتباع تماماً كأي عمل فني آخر تقوم به لتزجية اوقات الفراغ .

انني اكتب يومياتي منذ اثنتين وعشرين سنة ولا يحيط ذهني الآن بكثير من محتوياتها ولكني ما زلت أحس بالحسرة والندم وتأنيب الضمير إذا حدث واهملت الكتابة يوماً فإن الاهمال في كتابة اليوميات لا يمكن ان يعدل أو يستعاض عنه لأن الذي يمضي يمضي دون أن يعود .

عادة كتابة المذكرات ..

لقد بحثت فيما سبق الناحية السلبية واريد الآن أن ابحث الناحية الايجابية من الموضوع فبقدر ما كان حديثي مثبطاً من قبل سيكون مشجعاً الآن .

ان كثيراً من الذين يرغبون كتابة اليوميات والذين يجب عليهم ان يفعلوا لانهم أهل لذلك ولانهم يتصفون بالشجاعة والحيوية . ان كثيرا من هؤلاء يقولون لماذا اكتب يومياتي وأي شخص في حياتي يستحق ذلك وما هي اهمية هذه الحياة واقول لهم ماذا تعنون بأهمية حياتكم هل تعنون أهميتها بالنسبة للعالم أم بالنسبة لكم . ان لكل حياة من غير شك ـ اهمية عند صاحبها وانه لحريص ان يسجل اطوارها .

ان كبار الرجال الذين كتبوا يومياتهم ليست حياتهم الا صورة لحياة كل انسان يشاركهم هذه الحياة ولو رجع الكاتب الكبير « بيبسي » الى يومياته بعد يوم من كتابتها لوجد ان الكثير فيها عادي وتافه ومن المؤكد أنه لم يكن أبداً يتصور أنه كان يكتب أشهر الكتب في الادب الانكليزي وقيمة اليوميات التاريخية تزداد كلما مضى الزمن على عكس قيمة الروايات فبعد مرور سنوات على كتابة اليوميات نجد أن في كل جملة في اليوميات تتفتح بمعان جديدة ذات مغزى عميق وجوانب مشرقة .

وقد تثير جملة كتبتها عن غير قصد في يومياتك في مستقبل الأيام ضجة تملأ الدنيا ويشترك اقطاب التاريخ والادب في مناقشتها وتحليلها وتكتب الشروح المطولة والآراء المختلفة حول الموضوع . فلو حدث ان حضرت حفلة مثلا اجتمع فيها شخصيتان مشهورتان بالنكتة والمرح وبمجرد أن جلس المدعوون على المائدة طلب أحدهما من الآخر ان يقدم اليه شيئاً من الملح وهو يأكل طبقاً حلوا بحركة كاريكاتورية ذات مغزى ضج لها جميع المدعوين بالضحك .

وبعد عودتك من الحفلة اخذت القلم وكتبت في يومياتك « دعينا اليوم الى حفلة اجتمع فيها اديبان كبيران من ادباء الفكاهة والمرح وسأل احدهما الآخر ان يناوله طبق الملح وهو يتناول الحلوى فضج المدعوون بالضحك .

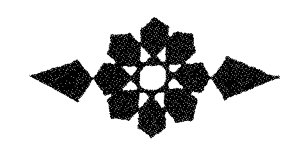
انك لو مررت على هذه الجملة في مذكراتك بعد ثلاث سنوات يظهر لك فيها معنى غامضاً يحتاج الى شرح وتفصيل وبعد مرور ثلاثين سنة فإن من ينبغ من ابنائك في الادب يجد أن اهتمامك بكتابة هذه الجملة في ذلك التاريخ المعين عن أديبين معروفين لا بد أنك تقصد منه جانبا غير جانبه الظاهر فيدون ملاحظاته عليه . وبعد مضي قرن او اكثر يقرأ الجملة والتعليق اديب آخر فيثير الموضوع وتكبر الضجة وتتسع الدائرة فتسحب البرقيات لكبار ادباء العالم لشرح المعاني الغامضة في هذا اللغز عن الاديبين الكبيرين ويستطرد البحث فيشمل بحوثاً اخرى ـ عن شخصية الاديبين والسؤال عما اذا كان قد قدم الأول الملح للثاني عندما طلبه ذلك ولماذا ضج الجمهور بالضحك وتكتب الكتب وتستفيض الشروحات ويكسب الكثيرون مادة وشهرة على حساب هذه الضجة .

فعلى الذين يترددون في كتابة يومياتهم ان يدركوا مثل هذه الحوادث في يوميات الآخرين وسيجدون ان ما يرونه تافهاً اليوم قد يكون في المستقبل من اهم المواضيع التي تشغل الصفحات لدى الأجيال المقبلة .

وربما اعترض احد قائلا مالي وللاجيال القادمة . اني لا اكتب يومياتي لاورثها ولكن اسجل فيها صوراً من حياتي . ربما يكون ذلك صحيحاً ولكن أؤكد لك ان اكثر الذين يعنون بكتابة مذكراتهم انما يكتبونها للأجيال القادمة لان كتابة اليوميات بطبيعته تاريخ والتاريخ لا يكتب الا للاجيال القادمة ولو تأكد احدنا انه سيكون ليومياته صدى لدى الاجيال القادمة فإن ذلك سيغريه بلا شك لان يبدأ حالا في كتابة يومياته ويستمر في كتابتها بلهفة والحاح حتى آخر ايام حياته .

وقد يكون هناك قسم من الناس لهم ميول غريبة فلا يحفلون باهتمام الخلف ! ومع احترامي لهؤلاء اقول لهم : اذا كنتم لا تحفلون باهتمام الخلف بأثاركم من بعدكم فإن هناك اسبابا اخرى تحثكم على الكتابة منها التسلية وملء الفراغ ومنها انكم ستجدون في آخر ايام حياتكم سجلا حافلا لهذه الحياة تقرأونه بلهفة وشوق وتستمتعون به بين الحين والحين كلما هزكم الشوق الى مشرق حياتكم وشبابها .

على انكم حين تستمرون في كتابة يومياتكم وتنسجمون فيها ستجدون ان كتابة اليوميات فن رفيع في ممارسته متعة روحية وذهنية هي اجمل سبب للاستمرار في كتابتها .



٣ ـ عـادة كتابة اليوميـات

كل متحدث بارع يستطيع ان يكون كاتبا بارعا . .

ان لفظ الكتابة له في نفوس بعض الناس تأثير عجيب فبمجرد ان يمسك احدهم القلم ليكتب يصيبه من الدهشة ما يصيب اي انسان يدخل حفلا مكتظاً لم يسبق له الحضور في مثله فتتوتر اعصابه ويغص بريقه .

ومن المسلم به أن هناك تأثير سيكلوجي للالفاظ المكتوبة يتأثر به كل انسان ولكن هناك اشخاص كثيرون يصيبهم التوتر والرعشان عندما يمسكون القلم ليكتبوا فهم يعتقدون ان الكتابة صناعة خاصة لا يستطيع ان يزاولها كل احد ويثبط عزمهم خوفهم من ركاكة الاسلوب والاخطاء النحوية وينفعلون بتأثير وهْم خاطيء يصور لهم ان هناك فرقاً كبيراً بين الكتابة والتحدث وأن الكتابة سر وصناعة . . وفاتهم ان كل متحدث بارع يستطيع ان يكون كاتبا بارعاً وكل من استطاع ان يفكر تفكيرا سليماً استطاع ان يكتب كتابة سليمة .

اعرف كثيراً من الناس وشبابا بالأخص يغشون المجالس ويملأونها بأحاديثهم الرائعة يستمرون فيها ساعات وساعات ولكنهم عندما يطلب اليهم كتابة الموضوع الذي تحدثوا عنه لا يجدون في رؤوسهم ما يكتبون وتجدهم يتحسرون على عجزهم قائلين : اننا عندما نتكلم لا نهيىء فكرنا للكلام بل ان اللسان لينطلق عند الكلام انطلاقا ولكننا عندما نريد أن نكتب لا بد لنا أن نفكر فيما نكتب . وقد يكون هذا صحيحا ولكن الواقع انك اذا تكلمت لا بد وانك قد فكرت فيما تقوله قبل ان تقوله وهذا التفكير يأخذ سرعته المتلاحقة في الكلام لانك لم توجه له اهتماما خاصا عندما تكتب ولو فعلت مثل ذلك عندما تكتب لوجدت انه لا فرق بين ما تقول وما تكتب الا ان اعطاءك اهمية خاصة للتفكير عندما تهم بالكتابة هو الذي يشعرك بالفرق الكبير بين الكتابة والكلام وهو فرق ليس بكبير كما تتوهم اما في كتابة اليوميات فإن هذا الفرق يجب ان يتلاشى لانك انما تكتب لنفسك وفي دائرة خاصة .

ان بعض المبتدئين عندما يمسكون القلم يتملكهم شعور مزعج من الكتابة فهم يتصورون ان الكتابة ترجمة عسيرة للكلام فإذا ارادوا الكتابة فكروا بطريقة خاصة ورتبوا الكلمات في أذهانهم قبل ان ينطقوا بها فإذا نطقوا بها ترددوا في كتابتها ويقولون في انفسهم لا بد أن يكون للكتابة اسلوب خاص غير أسلوب الكلام فإن هذه الجملة لا يمكن ان تكتب مثل ما نطقناها ولا بد من تغييرها الى أسلوب رصين ويغيرونها فعلا ويستمرون في التردد حتى تسأم نفوسهم ويضعون القلم في يأس .

ان الذين يكبرون في انفسهم ما يجب التزامه في الكتابة من اسلوب وبناء الجمل وقواعد النحو والاملاء حري بهم ان يعرفوا ان كتاب العصر الادبي المزدهر في القرون الاولى لم تكن

لديهم اية فكرة عن القواعد والاملاء والاسلوب فتلك ـ التزامات أحدثها المتأخرون فلم يكن يعرف النحو والاملاء والأسلوب في ذلك الزمن ومع ذلك فكل هذه القواعد مقتبسة مما كتبوا وتحدثوا به .

أما في عصرنا فانك لا تستطيع ان تعتمد الا على القليل من الادباء الذين يحرصون على التزام القواعد والاملاء اما عن الاسلوب فالاسلوب الذي يجري على لسانك دون تكلف فهو الاسلوب المقبول وعندما يكون الاحساس صادقا والانفعال مكتملا فإنه يبلغ حد الروعة . اما ذلك التركيب الذي تجهد في ترصيفه وترصيصه وتشد كلماته شداً الى بعضها وتعيى فكرك وقلمك في انشائه فثق انه اسلوب ثقيل مهما كان الجهد الذي بذلته فيه .

عادة كتابة المذكرات . .

لنبتدىء الكلام في هذا البحث عن التأثير العجيب للكلمات المكتوبة في النفوس .

للكلمات المنطوقة في بعض الأحيان اثر غاية في الاساءة فمعاني الخيبة والفشل والآثام وتوقع حدوث المصائب تكون اقل تأثيراً عندما تتردد في جوانب النفس قبل النطق بها أما بعد نطقها فيكون تأثيرها أكبر ووقعها أشد .

فالشخص الذي يحس بالآلام ويقع في ذهنه انه مصاب بمرض خطير يشعر بالخوف والفزع اكثر اذا حدث وافضى بذلك لبعض اصدقائه لان الالفاظ المنطوقة تحوي معنى الحقيقة فهي لذلك اقوى تأثيراً على النفس من المعاني التي تتردد في جوانب النفس ولا تصل الى درجة النطق .

واذا كان هذا تأثير الألفاظ المنطوقة فإن الالفاظ المكتوبة أشد أثرا وأشد عمقاً . إن الشعور بالخوف من الالفاظ المنطوقة والمكتوبة ليس وهما بل انه ظاهرة طبيعية من طبائع النفس البشرية يمكن لكل واحد منا أن يجربها بنفسه .

والحقيقة ان كل انسان يخشى الالفاظ المكتوبة واعني بها تلك الالفاظ التي تكتب فتحمل معنى الحقيقة بكل نزاهة واخلاص فقد يصل كره مثل هذه الألفاظ المكتوبة عند بعض الناس كما لو كانت قنبلة كتابتها تنسف حياته نسفاً ومن أجل ذلك نرى الجمهور لا يقبل على ما يكتب من الروايات الواقعية إقباله على الروايات التي يكون للخيال فيها نصيب كبير ولذلك ايضاً كان سلطان الصحافة النزيهة الصادق اقوى سلطاناً ومن المؤكد ان الخوف من الالفاظ المكتوبة تملك كل إنسان عندما يحاول تدوين آثامه واخطائه ولو ان درجة الخوف تقل عند البعض وتزيد عند الآخرين . وأنا على استعداد لأتحدى اي انسان ينكر هذه الحقيقة الثابتة ويقول في استخفاف : ان هذا الخوف الذي تصوره للألفاظ المكتوبة ليس له أي اثر لدى وسأكتب كل ما تريد دون فزع وخوف . واني اقول لهذا الفتى الشجاع :

عين في نفسك بعض الحوادث الرهيبة التي مرت بك ومثلت حوادثها بنفسك والتي تستحق عليها اللوم والتوبيخ والجزاء أو عين بعض الأفكار المزعجة التي ترددت في جوانب نفسك في بعض انفعالاتها ولا اعني ان تكون حوادث قتل أو إختلاس فليس كل انسان يرتكب حوادث القتل أو الاختلاس او حتى يفكر فيها ولكن اعني اي حادث ارتكبته وشعرت بندامة وخجل من فعله ولم تتجاسر ان تذكره لأحد وبقي سراً مكتوماً في صدرك ولا شك ان كل واحد منا يحمل مثل هذه الأسرار في طيات نفسه . خذ واحداً من هذه الاسرار وحاول ان تسطره على ورقة بيضاء اؤكد لك انك ستجبن ولا تمسك القلم لتكتب وستنتحل اعذار الجبان هذا فتقول : ربما تقع الكتابة في يد أحد ويعرف السر . وأقول يمكنك ان تتجنب هذا الاحتمال بوضع ما تكتب في خزانة الاسرار فتقول :
لست آمن أن افقد مفتاح الخزانة فيلتقطه فضولي أو أن يدركني القضاء ليتصرف غيري في خزانة اسراري . واقول ماذا يضيرك ما يعرفه الناس بعد أن تموت . فتجيب : من اين لك اني لا اخشى افتضاح اسراري بعد موتي أليس لي ذرية وأقارب ؟!

وسأسلم في النهاية بوجهة نظرك ولكن مستعد لاثبت لك ان خوفك من الكتابة ليس سببه افشاء السر والافتضاح ـ ولاثبات ذلك اذكر لك طريقاً آخر للكتابة :

اغتنم فرصة خلو دارك من جميع افراد الاسرة والخدم واحكم اغلاق بابها وزيادة في الاحتياط ضع خلف الباب بعض الاثاث بحيث لو لمس الباب أحد نبهك إليه قرقعة الاثاث وضع موقداً مشعلا بقرب مكتبك بحيث تستطيع ان تلقى كل ما تكتب عند أول فرصة . انك الآن في أمان فامسك قلمك وابدأ في كتابة حادثة من النوع الذي عينته لك . انك مع كل هذه التحفظات ستجد نفسك متردداً وسوف اذا كتبت لا تستمر في سرد الحوادث على الورق حتى تجد نفسك أمام حقائق مزعجة لا تلبث ان تخفف من حدتها بالحذف والتشذيب وستجد ان اثقل ما يثقلك هو ان تكتب الحقيقة كما وقعت وربما فشلت ان تكون واضحاً وصريحاً فتتجنب التفصيل الى الاختصار وعندما تنتهي من كتابتك ويحدث ان يقرقع بعض من الاثاث الذي وضعته على الباب فتنتفض منزعجاً من الخوف والخشية ، وعندما ترجع الى نفسك وتطمئن الى وحدتك تبدأ قراءة ما كتبت وما تكاد تنتهي منه حتى يتولاك ضيق وانزعاج فلا تلبث ان ترمي به في النار وتنظر الى لهيبه في رضى واطمئنان .
لماذا كل هذا الاحساس الغريب انك كنت في مأمن من الفضول والتدخل حين كتبته ولم يكن فيما كتبت شيئا لم تعرفه أو تدرك تفاصيله وأي انسان لا يستطيع ان يكتب مالم يكن يعرف .
من المسلم به انك عشت منفعلا بكل ما كتبت فليس فيه جديد بالنسبة لك ومن المسلم به ايضاً ان ذكراه قد مرت بك كثيراً فكلما أثار هذه الذكرى امامك حادث أو مشهد فلم يحدث ان ازعجتك الذكرى كل هذا الازعاج ولكن الضيق والقلق قد استوليا عليك بمجرد

الكتابة ولم تريح نفسك الا بعد أن رأيت ما كتبته يلتهب امامك في الموقد ، انك لم تتغير بعد الكتابة بل انت كما كنت قبل ان تكتب بل انك لم تقترف ذنبا جديداً بعد الكتابة .

ومرة اخرى لماذا كل هذا الاحساس الغريب ، والجواب الصريح السريع هو ان الكلمات المكتوبة التي تحمل الحقيقة في صدق ونزاهة قوة مخيفة غامضة ولهذه القوة الغامضة علاقة بالنظر فانك عندما تكتب ترى صور أعمالك أمامك بما فيها من قسوة وفظاعة وتخل عن المثل وانتهاك لحرمة الضمير .

ولحسن الحظ انك لا ترى صور أعمالك وافكارك كما لو كانت معروضة على الشاشة يراها كل الناس ، ولكنك ترى ما يشبه هذه الصور فيما كتبته ووضعته أمامك من صفحات .

ذكـرى

الاعياد القومية في الامم الواعية هي بمثابة محطات تقف عندها الامة لتلتفت الى ماضيها المجيد . وتتمعن في مستقبلها الزاهر ، تأخذ العبرة من الماضي ، وتحاسب نفسها على ما قامت به في الحاضر ، فبقدر ما يكون في حاضرها من تقدم ورقي وازدهار بقدر ما يكون لهذه الاعياد من قيمة وفرحة تعم الامة بأكملها ، وتشمل كل الطبقات فيها .

والبحبوحة والرخاء من اهم نتائج التقدم ، اذ ان التطاحن في عصرنا هذا ، بين السياسة والزعماء ، يتركز على تعميم الرخاء بين جميع طبقات الشعب وادخال مزايا العصر الحديث في كل قرية ، وفي كل بيت . هذه المزايا التي اصبحت من لوازم هذا العصر وتفتح الوعي عليها . فاصبح يطالب بها كل فرد ، في كل بقعة يعيش فيها من الوطن الكبير .

وحكومتنا السنية وعلى رأسها جلالة الملك المعظم تدرك هذه الحقيقة فهي قد هبت اليوم تعبىء الكفاءات الوطنية المخلصة ، لتستخدم اخلاصها في تحقيق هذا الهدف الكبير .

وان هذا التوجيه الجديد الذي يقود سفينته سمو الامير فيصل في وزارته الجديدة ، توجيه يبشر بالخير ، ويملأ نفس كل مواطن بالثقة والاطمئنان في مستقبل افضل وحياة اكرم .

ونسأل الله ان يعود هذا العيد على الامة العربية السعودية وقد خطت خطوات افسح ، وادت واجبات اكبر ، في سبيل اسعاد كل مواطن في كل بقعة من هذا الوطن العزيز .

المؤرخ البارع يستطيع أن يقدم ..

إن المؤرخ البارع هو الذي يستطيع ان يقدم لنا صور الماضي في اطار مشرق واضح ويجعل هذه الصور تمر أمام أعيننا كما لو كانت شريطاً سينمائياً لقصة مثيرة.

فنستعرض بين سطوره صور اولئك القساة يحملون سهامهم المشرعة، يرتسم العبوس على وجوههم ويتركز الحقد في نفوسهم ويسيرون في جموع متدفقة وراء قائدهم العنيد الاسكندر يكتسحون كل بلد يمرون به ويدمرون كل شيء تقع عليه أيديهم.

ثم نستعرض سفن قرصان البحر يتجهون من هولا نده فنسمع صريرها وهي تتزاحم على شواطيء بريطانيا فتحتلها حيث يخلفهم حقدهم على اغتصاب الدنيا الجديدة واستغلالها واضطهاد أهلها.

ونستعرض الغزاة وهم يتقدمون على صهوات جيادهم نحو الانتصارات التي كانت سبباً في تغيير مجرى التاريخ وانفض الاجتماع. واعتزل هو الى نفسه وجلس تحت شجرة يتأمل ويفكر ساعات طويلة ثم عاد وهم مصمم على أمر ـ صمم على ان يقامر بكل شيء واصدر اوامره ان يكون كل شيء ـ على استعداد لعبور النهر في صباح الغد ـ وغامر وانتصر.

وقد كان يقول وهو يفتخر بنفسه لم يحدث اني عقدت مجلساً حربياً في حياتي العسكرية الا مرة واحدة ولو اني سرت على رأي المجلس في هذه المرة اليتيمة لما استطعت أن اتوج اعمالي الحربية بأروع انتصار في حياتي.

صفات المؤرخ

ليس من السهل إمتلاك ناصية التعبير

في رأيي أن شخصية المؤرخ لا تكتمل الا اذا تحققت فيه ثلاث صفات هي:

١ ـ القدرة العلمية

٢ ـ قدرة التأمل والتفكير ونفاذ البصيرة

٣ ـ القدرة الأدبية

وتجيء القدرة العلمية في الدرجة الأولى فالجهد العلمي الجبار يتحتم على كل مؤرخ جدير بكتابة التاريخ لأن جمع الحقائق العلمية وتمحيص الشواهد والأدلة هو الاساس الأول في كتابة التاريخ ثم تأتي بعد ذلك مقدرة التأمل والتفكير ونفاذ البصيرة عند اختيار وتبويب الحقائق التاريخية واستنتاج الاحكام بحيث تكون احكاماً صائبة بعيدة عن الغرض والهوى ثم تأتي اخيراً القدرة الأدبية في عرض الحقائق والاحكام في اسلوب رائع بديع يجذب انتباه القارىء ويستثير فضوله.

وليس من السهل امتلاك ناصية التعبير بصفة مؤثرة جذابة. فلا يمتلك ناصية الادب الا من بذل الجهد في الدرس والتحصيل واستيعاب شتى فنون الأدب للسيطرة على اساليب الكلام وتملك القدرة على التعابير الرفيعة بسهولة ويسر بعيداً عن التكلف والتقعر. ومن اجل ذلك كان على المؤرخ ان يكون أديبا قبل ان يكون عالماً وبحاثة.

ترويض الحيوانات

فن ترويض الحيوانات المتوحشة فن عريق في القدم يرجع تاريخه الى العصور الاولى قبلَ ان يتمكن الانسان من تدوين تطورات حياته عن طريق الكتابة .

وكما يؤخذ من الآثار والشواهد فان الكلب هو أول حيوان استطاع الانسان الأول ان ينتصر على اخضاعه وايلافه . وكان ذلك في العصر الذي سماه المؤرخون بالعصر الحجري .

كان الانسان في هذا العصر لا يزال يعيش متنقلا يقتات بالصيد ولكنه كان قد تقدم نحو الحضارة فاصبح يدفن موتاه وتقدم ايضاً في تصوراته العقلية فقد ظهر من آثاره انه بدأ يتصور الحياة الاخرى التي يؤول اليها بعد الوفاة فبدأ يدفن مع الموتى حليهم واسلحة صيدهم البدائية لتساعدهم في الحياة الاخرى في عالم الاشباح .

وكانت هذه العادة هي الشاهد الوحيد الذي استنتجنا منه التاريخ الذي بدأ فيه الانسان ترويض الحيوان . ومن حيث ان الكلب هو الحيوان الوحيد الذي وجد ضمن هذه الدفائن كان استنتاجنا ان الكلب هو الحيوان الاول الذي طوعه الانسان لخدمته ومرافقته ـ وربما كانت صغار الاجراء التي جاء بها الانسان لتسلية صغاره هي الاساس الاول الذي انتقل بالانسان الاول الى حياة افضل وخطت به بعد ذلك خطوات واسعة نحو الحضارة .

الرياح التجارية

ان الأصقاع التي تقع في المناطق التي تنزل عليها اشعة الشمس عمودية تكون شديدة الحرارة في جميع الفصول وبسبب الحرارة في هذه المناطق يخف الهواء فيرتفع في الجو ويكون عليها نطاقاً جويا ذا ضغط واطيء .

ويحدث عند الاعتدالين على خط الاستواء ان ينطبق هذا النطاق الجوي ذو الحرارة العالية والضغط الواطيء المتكون من الرياح الخفيفة الراكدة .

وفي فصل الصيف في القسم الشمالي يتحرك هذا النطاق مع حركة الشمس نحو الشمال . وفي فصل الشتاء يتجه مع الشمس من الشمال الى الجنوب ويسير منطبقاً دائماً على ما يسمى بخط الاستواء الحراري .

ومن هذا النطاق ذي الضغط الواطيء تميل الرياح لتندفع من الشمال او الجنوب حيث يكون الضغط اشد قوة ومن هذا التفاعل يتكون ما يسمى بالرياح التجارية المستمرة ويسبب هذا التفاعل الانحراف الناتج من حركة الارض حول محورها .

وتسمى هذه الرياح بالرياح الشمالية الشرقية عندما تهب في الاجواء الشمالية وبالرياح الجنوبية الشرقية عندما تهب من الجنوب .

وطبيعة هذه الرياح الجفاف لانها تهب من خطوط العرض الأقل حرارة الى خطوط العرض الاكثر حرارة وتصحب معها في حركتها الشمالية والجنوبية النطاق الجوي الذي يسير معها منطبقاً على خط الاستواء .

شاب أنيق .. ولكن .. !!

في احدى الفنادق الفخمة وفي الصالون الكبير وفي زحمة الجمع الغفير من النفوس المرحة ، اجتمعت لمزايدة خيرية وبين الضحكات العالية والنكات الظريفة والنشوة في التسابق الى الخير بالزيادة على السلع المعروضة وقفت أتأمل واعجب من النفوس المندفعة نحو الخير وكان يزيد جمال ذلك المنظر الاحاسيس الصادقة المرتسمة على وجوههم من القفشات المرحة التي كانوا يشعلون بها حماس المتزايدين . ورغم ارتفاع حرارة الجو بسبب ضغط انفاس المزدحمين في هذه الغرفة الخاصة بهم فانهم لم يحسوا بالضيق والحرج بل كانت اصواتهم تجأر وضحكاتهم تتعالى وأكفهم تصفق كلما نزل الى الميدان مزايد جديد !

وأنا في غمرة هذه التأملات اذ مر بي شاب انيق ، مر وهو يحملق في وفي عينيه تردد وفيهما تساؤل ثم توقف فجأة وهو يقول « إذا لم يخطىء ذكائي فانا اتشرف بالتحدث الى السيد ... وذكر اسمي » وودت لو اني انكرت نفسي واجبت بالنفي لقد ارهبتني طريقة تفرسه في ملامح وجهي ولكن هل يستطيع احد ان ينكر مالم يمكن انكاره ، هل يستطيع الانسان ان ينكر نفسه ، واجبت بالايجاب فواصل حديثه « ارجو أن لا يزعجك تطفلي فقد قرأت جميع مؤلفاتك » .

وارتاحت نفسي فقد كانت بداية الحديث ـ بعد الحملقة والتفرس . بداية عادية مألوفة سمعتها كثيراً من قرائي الاعزاء .. واجبت بعد تنهيدة ارتياح وبكل تواضع « شكراً وهذا لطف منكم ! » وقال وهو يقطب حاجبيه تقطيباً خفيفاً « انك تبذل جهداً كبيراً » ولاحظت انه الى جانب اناقة ملبسه .. وهو أمر يدل على ذوقه الرفيع ـ ترتسم على وجهه الطيبة والعطف . وتابع حديثه وهو يقول « واني لشديد الشوق الى التحدث اليك بل لقد بدا لي في الايام الاخيرة انه يجب ان اتحدث اليك في شأنها انك تعالج في مؤلفاتك الاجتماعية احوال الناس وترشدهم الى الطرق المثالية لاصلاح النفس واستغلال كفاءاتها والوصول بها الى مرتبة الكمال ، انك تعالج كل هذه المواضيع بسلام ووضوح . ان ابحاثك هذه تستهويني فأدرسها درساً عميقاً واقتنع بكل نظرياتها بل اؤمن بها ولكن ويا لخيبة أملي أفشل فشلا ذريعاً عندما اضع ما فيها من تجارب موضع العمل ، وانهى حديثه بابتسامة خفيفة حائرة ارتسمت على شفتيه ـ واطرقت وقلت في نفسي « لا يا رجل ليس هذا حديثاً عادياً مألوفاً كما توهمت » ثم رفعت رأسي وقلت « آسف ايها العزيز ! ولكنه من الواضح ان الكتب لا تستطيع ان تحقق عملياً ما تحتويه من تجارب مالم تضع هذه التجارب موضع العمل في حياتك الحقيقية » واجاب على الفور ..

بقيـة شـاب أنيق مـر وهو يحملق فـي

هذه هي النقطة التي اردت ان اتحدث اليك بها فقد عجزت عن التطبيق فكلما بدأت التطبيق اخفقت ، ينقصني العزم والتصميم لا استطيع ان احصر ذهني واضغط على نفسي لأبدأ عمليا وقد أغالب نفسي وابدأ فعلا ولكن لا يمضي يوم او يومان حتى افشل واعود الى سيرتي الاولى وأغالب مرة اخرى ثم افشل وهكذا تمضي الايام والسنون وأنا كما أنا لم اتقدم خطوة واحدة انني في حيرة من امري ، لا تلمني فلا فائدة من اللوم فقد لمت نفسي وأنبتها كثيراً على هذا القصور ولكن لم استطع التغلب عليها !

اني اريد واشتهي ولكن لا استطيع ادراك ما اريد وقلت « ولكن ما الذي تريده بالتحديد » فقال « اريد أن ارتفع بمستواي الثقافي الى اقصى حد ، اريد ان اكون انسانا كاملا اريد ان اكون ناجحاً اريد ان استفيد من كل ملكاتي لا أريد ان تضيع اوقاتي سدى . لقد نصحت في مؤلفاتك أن يجمع الانسان امره وان يكون صلبا عزوما متمسكا بمراده لا يكل من العمل للوصول اليه . واني كما شرحت لك افقد العزم في نفسي بل لا اجد لها اثراً فيه . ومع ذلك فإني شديد الرغبة في اتباع نصيحتك والعمل بها .

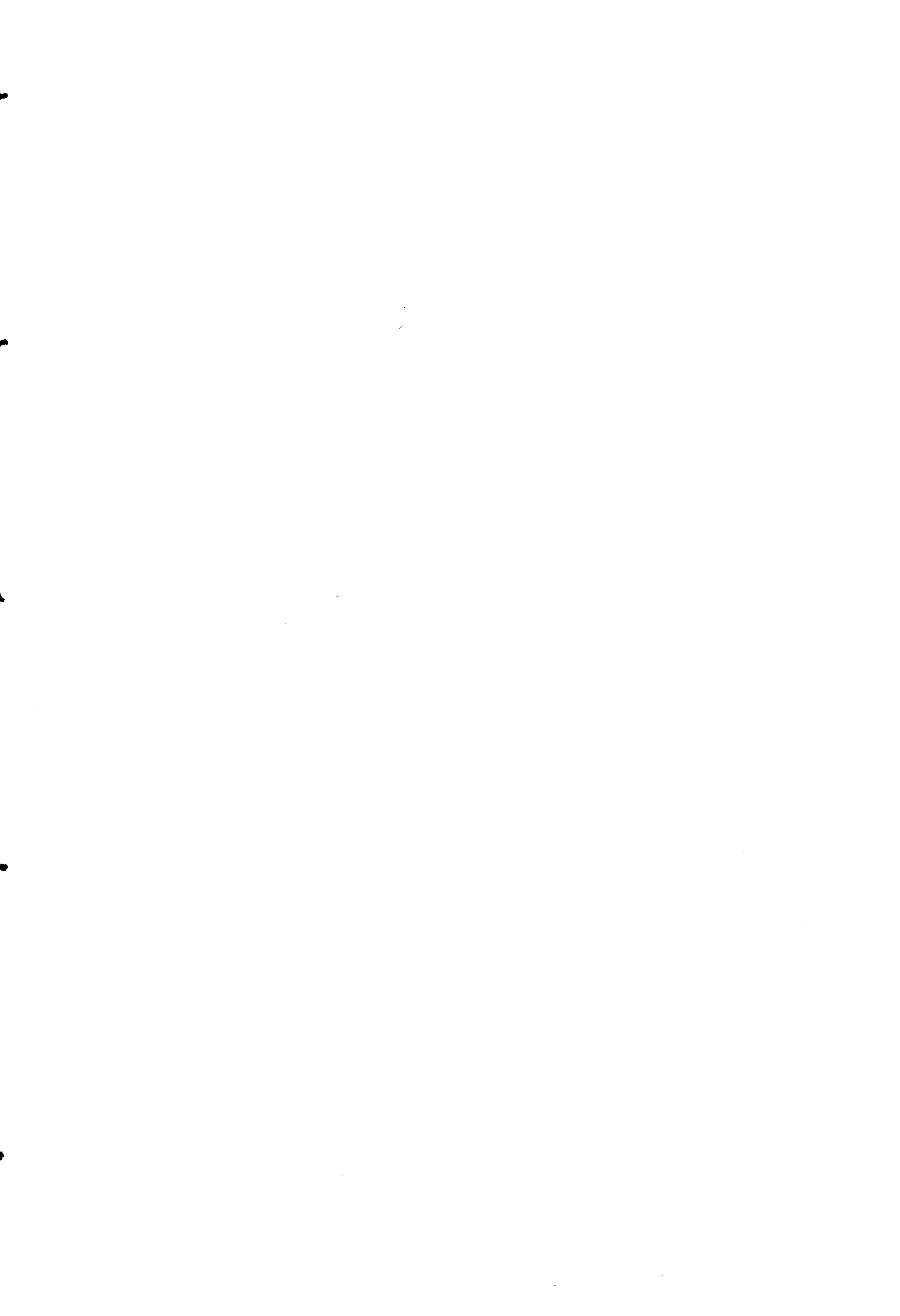
انك لم تعالج في ابحاثك الكثيرة مثل هذه الحالة التي اعانيها ــ وماذا اريد أن اقول أيضا ؟ ! اعتقد إنها حالة شاذة لا تستطيع بحثها او معالجتها فيما تعالج من المشاكل الاجتماعية واخيراً ارجو ان تغفر لي ولا تؤاخذني على ما أضعته من وقتك في هذه الدردشة الفارغة ، ولكني مؤمن انه يهمك ان تسمع مثل هذا الكلام من قرائك المعجبين بأبحاثك فأنت كباحث اجتماعي تستهويك معرفة مشاكل المجتمع وحالات افراده المختلفة .

وأخذتني الدهشة لهذه المحاضرة الغير منتظرة ــ ووقفت لحظة صامتاً مبهوراً وقبل ان افيق من دهشتي كان قد انحنى انحناءة لطيفة واختفى بين الجموع وجعلت ادور هنا وهناك مفتشاً باحثا عنه ولكنه ضاع بين الزحام ولم اتمكن من الاستمرار في متابعته فإنه ليس من الادب الجري وراء شخص في مثل هذا الجمع الحاشد واسفت كثيراً فقد مضى ولم يعطني فرصة لأعرف من يكون هذا الشاب :

هل هو تلميذ شاب أو والد شاب أم باحث شاب اني لم استطع ان اعرف عنه سوى ذلك الوجه الذي عليه مسحة من الحزن تطل من عينيه دلائل النبل والتعطف . لقد كان لحديثه المشتمل على الرغبة والرهبة واللوم والتقريع اثر السهم المضطرب في احشائي .

وقد مضى ولم يزل سهمه يضطرب بين جنبي .

الجزء الثاني (ترجمات)
الفصل الأول
مع المشاهير



الفتاة البكماء الصماء العمياء التي زاحمت نابليون

يقول مارك توين الكاتب المشهور «ان اعظم شخصيتين لامعتين كان لحياتهما دوي سمعه سكان هذا العالم في كل مدينة وفي كل قرية هما شخصيتا « نابليون » و« هيلين كيلر » وعندما قال مارك توين قولته هذه كانت هلين في الخامسة عشرة من عمرها ومضى الزمن ولا تزال هلين كما هي اعجوبة القرن العشرين .

وهلين كيلر فاقدة البصر كليا ولكنها مع ذلك قرأت من الكتب ما لم يستطع قراءته الكثيرون من المبصرين ويقدر ما تقرؤه هلين بقدر ما يقرأه الرجل المتوسط بمائة مرة . هذا عدا ما تصرفه من الوقت في تأليف الكتب ، وقد الفت مسرحية عن نفسها مثلت فيها هي نفسها ، انها صماء كاملة الصمم ولكنها تستمتع بالموسيقى خيرا مما يستمتع بها كثير من مكتملي السمع ، ومنذ كان عمرها التاسعة فقدت النطق ومع ذلك فقد حاضرت في كل ولاية من ولايات الاتحاد الامريكي وتصدرت صورها صحفها مدة اربع سنوات ثم طافت اوربا كلها في رحلة عامة .

ولدت هلين كيلر كأي طفلة عادية مستكملة جميع اجزاء خلقتها الطبيعية وفي السنة الاولى ونصف الثانية من ولادتها كانت تسمع وترى كأية طفلة اخرى بل انها كانت تناغي وتتحدث وفجأة مرضت مرضا خبيثا فقدها بصرها وسمعها ولما تتجاوز الشهر التاسع عشر من عمرها فحلت بها الكارثة وكادت تفقد وجودها وكانت تنمو وكأنها حيوان متوحش في صحراء قاحلة . فكانت تلقي في وجه من يكون أمامها بأي حاجة تقدم اليها ولا تعجبها وتحطم كل ما يقع عليه عينها ولا تستأنس به . وعندما يقدم اليها الطعام كانت تحشو به فمها بكلتا يديها واذا حاول احد ان يصلح خطأها تلقي بنفسها الى الارض وترفس بيديها ورجليها وتصرخ صراخا مزعجا . وفي يأس بالغ بعثها والدها الى معهد «المكفوفين» في بوستن يتلمسون لها معلما وهناك ظهرت في حياتها « مانسفيلد سوليوان » كملاك اضاء ظلام حياتها الدامسة في صورة المعلم ، وكانت المعلمة في الثانية والعشرين من عمرها وافقت على ترك عملها في معهد بوستن لتعمل في عمل كان يبدو عقيما بل محالا ـ في تعليم طفلة عمياء صماء بكماء ـ وكانت حياة المعلمة هي الاخرى حياة مليئة بالمآسي والفواجع والآلام والفقر والعوز فعندما بلغت العاشرة من عمرها ارسلت هي واخوها الى احد الملاجىء وكان الملجأ مزحوما فاضطرا ان يناما في الغرفة التي كانت تسمى بغرفة الموت ، الغرفة التي كانوا يضعون الاموات فيها انتظارا لاجراءات الدفن ولم تمض سنة حتى توفى الاخ بعد ان عانى من المرض كل العناء

وعندما بلغت مانسفيلد الرابعة عشرة من عمرها ضعف بصرها الى حد العمى تقريبا فأرسلت الى معهد العميان لتتعلم القراءة والكتابة بطريق اللمس وتحسن بصرها اخيرا فلم تعم ولكن العمى لاحقها بعد خمسين عاما وقبيل وفاتها .

وتقول انا سوليوان : « اني مهما حاولت فاني لا استطيع ان احدثكم في ألفاظ محدودة كيف حدثت المعجزة وكيف اني في شهر واحد نجحت في التفاهم مع طفلة تعيش في ظلام دامس وصمت رهيب .

واسمعوا القصة ترويها هلين كيلر في كتابها « قصة حياتي » فان احدا لم يقرأها الا ورسخت في ذهنه تلك العبارات التي دخلت فيها السعادة في قلب طفلة صغيرة صماء بكماء عمياء . واليوم الاول الذي أدركت فيه ان هناك وسيلة تصلها بغيرها ممن يعيشون على هذه الارض ـ قالت هيلين : « لا يمكن لاحد ابدا ان يتصور طفلة اسعد مني عندما كنت مستلقية في مجلس في نهاية ذلك اليوم المفعم بالبهجة والحبور والسعادة التي كنت اعيش فيها والتي جلبها لي ذلك اليوم المليء بالاحداث والذي كان اليوم الاول في حياتي الذي كنت انتظر فيه ما بعده في شغف وتلهف »

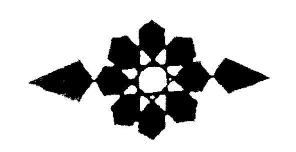
وعندما بلغت هلين العشرين من عمرها كانت ثقافتها تؤهلها للانتساب الى كلية « رادكليف » وكانت معلمتها ترافقها لتنقل اليها محاضرات الكلية ! ولم يكن تقدمها في الكلية بأنها كانت تقرأ وتكتب كأي تلميذ آخر بل انها استطاعت ان تقوى ملكتها في التحدث والتفاهم . وكانت اول جملة تعلمت النطق بها : « اني لست بكماء الآن » وكانت ترددها المرة بعد المرة وهي تتمايل في نشوة وعجب ! « اني لست بكماء الآن ! » وهي تتكلم الآن وفي حديثها لكنة اجنبية وتكتب مؤلفاتها ومجلاتها ومقالاتها على الآلة الكاتبة بطريقة بريل او النقاط البارزة وعندما تقوم ببعض التصحيحات على الهامش تقوم بها بعمل اخراق برأس دبوس الكتابة على الحاشية . انها تسكن في « فورست هل » وهي ضاحية من ضواحي نيويورك ، ولا يبعد سكني عنها كثيرا وعندما اخرج لأتمشى ألاحظها بعض الاحيان تقطع بستانها جيئة وذهابا مع كلبها العزيز وقد لاحظت ايضا انها عندما تسير تتحدث مع نفسها ولكنها لم تحرك شفتيها عندما تتحدث كما نفعل انا وانت بل كانت تحرك اصابعها وتتكلم مع نفسها بلغة العلامات !

قالت لي سكرتيرتها ان حساسية الآنسة كيلر نحو الجهات ليست بأفضل من حساسيتي وحساسيتك فهي غالبا ما تضيع طريقها داخل بيتها وعندما تتعثر في شيء من الاثاث تفقد كل شعورها .

يقال عن كثير من المكفوفين غيرها ان لهم حاسة سادسة وقد اثبت التحليل العلمي ان لها حاسة ذوق وشم تقارب حاستنا في الذوق والشم . اما حاسة اللمس عندها فعميقة جدا تستطيع ان تفهم كلامك عندما تتحسس شفتيك في رفق وانت تتكلم وتتأثر بالموسيقى عندما

تعزف عندما تضع اصابعها على خشبة العود او البيانو حتى الارشادات اللاسلكية تفهمها من احساسها بالاهتزاز ، انها تصغي الى الموسيقار بلمس حنجرة موفق وتتأثر بأغانيه ولكنها تعجز عن الغناء والتنغيم ، واذا حدث انك صافحت هيلين مرة فانها ستعرفك اذا صادف ان صافحتها بعد ذلك بخمس سنوات . وتعرف بعمق حاسة اللمس عندها ما اذا كنت مبتهجا او ناجحا او فاشلا .

وهي تمارس هواية التجديف وركوب الخيل في الغابات وتلعب الداما والشطرنج في لوحة عملت خصيصياً لها وتلعب ايضا الورق بورق ذي نقاط بارزة وغالبا ما تقضي الساعات في النسج والحياكة في الايام الممطرة . والناس عموما يقدرون ان العمى كارثة تصيب الانسان فتحرمه نعمة البصر ولكن هلين كيلر تقول انها كانت لا تهتم كثيرا بالعمى لو حظيت بنعمة السمع وانها وهي تعيش في الظلام الدامس والصمت المطبق تتمنى لو اتيح لها ان تستمع الى الاصوات الحنون من حولها .



ان هذه المقالات ترجمة من الفترة ١٣٥٥ ــ ١٣٨٧ هـ

تولستوي

هذه قصة واقعية وان كانت في واقعها اغرب من الخيال تقرؤها وكأنك تقرأ قصة من قصص الف ليلة وليلة ! انها قصة رجل عاش في هذا العصر ومات بالتحديد عام ١٩١٠ وكانت وفود المعجبين به قبل وفاته بعشرين عاما تنحدر نحو داره كالسيل الجارف ليحظوا بلمحة من رؤيته وليسمعوا مقطعا من صوته وليلمسوا طرفا من ثوبه .. وكان مريدوه يقصدون داره ليقيموا بها اعواما ليدونوا اقواله بطريقة الاختزال حتى في محادثاته العادية ويعنوا بدقة تدوين اتفه الاحداث في حياته اليومية وكانوا يطبعون كل ذلك في كتب ضخمة يتلقاها مريدوه بلهفة واهتمام ، ولقد كتب ما يقرب من ثلاثة وعشرين الف كتاب (تأكد ايها القارىء انها ثلاثة وعشرون الف كتاب) ونشر عنه ست وخمسون الف مقالة في الجرائد والمجلات تشرح مبادئه وافكاره هذا عدا ما كتبه هو نفسه عن مبادئه بما يقرب من مائة مجلد ضخم .. مقدار كبير لم يكتب مثله عن اي شخص ..

وقصة حياته لا تقل روعة وتلوينا عما كتبه عن ابطاله في قصصه هو نفسه فقد ولد في قصر من اضخم القصور واترفها كان عدد غرفه اثنتين واربعين غرفة مؤثثة باعظم الاثاث محتوية على جميع انواع الرفاهية والترف التي امتازت بها الارستقراطية الروسية وعاش في ايامه الاخيرة وقد تنازل عن كل ثروته واراضيه لصغار الفلاحين من ابناء وطنه وجرد حياته من كل ملاذ الدنيا ومات لا يملك شروى نقير في محطة حديد صغيرة نائية يحوطه جمع من الفلاحين الذين قضى حياته لاسعادهم ..

كان في شبابه يمشي بخيلاء الى دكان الخياط ليخيط له اجمل الثياب اناقة واغلاها ثمنا ولكنه في ايامه الاخيرة كان يلبس ثياب الفلاحين بكل ما فيها من هلهلة وتقشف ويصنع نعله بيديه ويكنس غرفته ويفرش فراشه ويأكل وجبته على طاولة من الخشب وبملعقة من خشب .

وفي مطلع شبابه عاش حياة وصفها هو نفسه بانها حياة اثم وفسق وفجور فيها اعظم الآثام حتى القتل !

وفي ايامه الاخيرة اصبح قديسا يطبق عمليا على حياته تعليمات المسيح وفرض على روسيا كلها شخصيته الدينية ..

وكان سعيدا في ايام زواجه الاولى الى حد انه اتفق هو وزوجته ان يسجدا معا شكرا لله تعالى ويطلبا ان تستمر سعادتهما في غمرة من الفيض والعناية الالهية ومع ذلك فقد تغيرت هذه الحياة فاصبحت مأساة لا يطيقان احتمالها فكان يشمئز من رؤية زوجته وكان رجاؤه وهو في النزع ان لا يسمح لزوجته بالدخول عليه ..

المؤلف الذي الف اعظم قصتين عالميتين ثم اصبح يخجل من نسبتهما اليه .

كان في حياته المدرسية غاية في البلادة حتى ان اساتذته قد عجزوا ان يثبتوا في دماغه الغليظ اية قاعدة من قواعد العلوم ولكنه بعد ثلاثين عاما كتب اعظم قصتين عرفتا في العالم حتى اليوم ، قصتان ستبقيان موضع الاجلال والتقدير على مرور الاجيال : (الحرب والسلام) و (انا كارنينا) .

ان شهرة تولستوي في العالم اليوم تفوق شهرة كل اولئك القياصرة الذين حكموا امبراطورية روسيا العظيمة بما فيها من احداث ومآس عظيمة ومع ذلك فهل كان تولستوي سعيدا بكتابته لتلك القصتين العظيمتين اللتين كسب بهما شهرته العالمية ؟ ربما كان الجواب لفترة قصيرة : نعم ! وبعدها كان يخجل ان تذكرا امامه وتكفيرا لذلك فقد كرس البقية من حياته لان يكتب رسائل يدعو فيها الى المحبة والسلام ومحو العوز والفقر .. هذه الرسائل كانت تطبع على ورق رخيص وتوزع بصفة عمومية محمولة فوق عربات اليد على عموم الدور من باب لباب وبلغ مجموع ما وزع منها خلال سنين قصيرة ١٢,٠٠٠٠٠٠ اثنى عشر مليون نسخة .

وقد سعدت قبل سنوات بالتعرف الى ابنة تولستوي الكبرى في باريس وكانت تعمل في ايامه الاخيرة سكرتيرة له وكانت معه حين وفاته وقد التقطت كثيرا من هذه المعلومات من شفتيها ..

وقد كتبت عنه كتابا بعد وفاته بعنوان (مأساة تولستوي) .. وفي الواقع فان حياة تولستوي كانت مأساة وكان سبب هذه المأساة هو زواجه . كانت زوجته تحب الابهة والجاه وكان هو يرى ذلك لا يعني اي شيء بالنسبة له .. كانت تحب المال وتجري وراء الغني وكان هو يعتقد ان السعي وراء الغني الفاحش وتجميع الاملاك اثم في حق المجتمع ، هي ترى ان يحكم الناس بالقوة وهو يرى ان يحكم الناس بالحب .

واستكمالا للتنغيص فقد كانت مصابة بغيرة شديدة فكانت تكره كل اصدقائه حتى انها قد طردت شقيقتها من دارها ثم هجمت على غرفة تولستوي وصوبت الرصاص على صورة الفتاة ـ وهكذا امضى سنين عديدة كانت زوجته فيها مصدرا لنكده وشقائه فكانت تصرخ عليه وتزجره وتذمه على الدوام فحولت داره ـ كما قال ـ الى جهنم حقيقية وعندما اباح طبع كتبه لعموم الروس دون الاحتفاظ بحقوق الطبع له هاجمته مهاجمة شديدة فلما اصر على رأيه القت بنفسها في صورة هستيرية على الارض وفي يدها قزازة سم وضعتها على شفتيها مهددة بشربها او ان ترمي بنفسها في البئر تموت .

لقد تزوج تولستوي قبل نصف قرن تقريبا ، وكانت زوجته في بعض الاحيان تجلس في حجرة ترجوه ان يقرأ لها رسالات الحب الصارخة التي كان قد كتبها في مذكراته قبل ثمان واربعين سنة عندما كان يهيم بها وتهيم به في غرام مشبوب .

وعندما كان يقرأ عن تلك الايام السعيدة الماضية التي لم يعد لها اثر في حياتهما الحاضرة يغرقان معا في بكاء مرير .

واخيرا وبعد ان بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة لم يعد يحتمل اكثر استمرار التنغيص في وتيرة حياته اليومية فهرب من الحياة مع زوجته في بيت واحد في ليلة ٢١ اكتوبر عام ١٩١٠ هرب في غياهب الظلام والشتاء القارس لا يدري كيف يسير والى اين يسير وبعد احد عشر يوما من هروبه مات متأثرا بالتهاب الرئة في احدى غرف محطات السكة الحديدية وهو يقول : (لله تصير الامور) وكانت آخر كلمة قالها : « ابحث دائما » .



اونجلين بـوت

العانس التي رفضت المئات من الخاطبين وكانت تتريض على حصان جموح عجز الرجال عن تذليله .

اعجب امرأة عرفتها في حياتي امرأة تقدم لها ألف خاطب ورفضتهم جميعا لقد تودد لها الرجال من جميع الانواع وطلبوا يدها ، كان فيهم المشاهير والاغنياء والفقراء والفلاحون والصيادون .

جرى وراءها لعدة شهور امير من ابرز اسر اوروبا المالكة فلم تلتفت اليه ولم تستجب لاغرائه . وحتى عندما بلغت السبعين من عمرها كانت سكرتيرتها تتلقى خطابات المعجبين يطلبون القرب منها ! وكانت السكرتيرة تلقي تلك الخطابات في سلة المهملات دون ان تكلفها عناء قراءتها .

اسمها « اونجلين بوت » رئيسة أنبل جيش جند نفسه للحملة على آعدى اعداء البشرية « جيش الانقاذ » بلغ عدد رجاله ثلاثين الفا جندوا انفسهم لايجاد وسائل العيش للفقراء والمعوزين في ست وثمانين مقاطعة ونشر المحبة والوئام بثمانين لغة مختلفة . ولقد هزتني الدهشة عندما قابلت انجلين بوت فقد كنت اعرف ان عمرها جاوز ان تكون حدة ومع ذلك فان شعرها الاحمر لم يكن يتخلله الا بعض شعرات خفيفة بيضاء وكانت تتفجر نشاطا وحيوية وحماسا . يقولون ان الحياة تبتدىء من الاربعين ولكنك عندما ترى هذه المرأة وهي تقفز على صهوة جواد جموح يمسكه شابان قويان للتغلب على قوة شكيمته سوف تعتقد ان الحياة تبتدىء في السبعين . اشترت اونجلين حصانها هذا بثمن بخس لان الفارس الذي كان يملكه كان يخشى ركوبه . وكان اسم الحصان « القلب الذهبي » وعندما كانت تهم بركوبه يمسكه شابان قويان فاذا ما استقرت على صهوته صاحت : اتركوه فلم يكد يفلت حتى يقفز الى اعلى ويميل على جوانبه ويدور حول نفسه ويتقدم ويتراجع حتى اذا غلب على امره هدأ واستقر . وكانت تركبه ساعة صباح كل يوم وفي بعض الاحيان كانت تمسك عنانه بيد وفي اليد الاخرى الكلمة التي كانت تعدها لالقائها ، تراجعها بين اشجار الغابات . وعندما كانت تعيش في امريكا كانت تذهب كل صيف الى بحيرة جورج ، تمارس مختلف انواع السباحة لساعات طويلة وعندما كانت في الثالثة والستين من عمرها كانت تقطع بحيرة جورج خلال اربع ساعات .

كانت عندما تريد ان تنام تضع الى جانب وسادتها كمية من الورق الابيض وفي اكثر الليالي تقوم في وسط الليل لتكتب الكثير من مقالاتها وخطبها وملاحظاتها . وعندما كان يصيبها الارق في بعض الليالي كانت تؤلف اغاني واناشيد وتضع الحانها ، وكان لها ثلاثة من

السكرتيرين يسكنون معها وفي بعض الليالي توقظهم جميعا ليعملوا معا . كانت المسافة بين مكتبها وبيتها ساعة بالسيارة تقطعها وهي تدون ملاحظاتها في السيارة طوال الطريق .

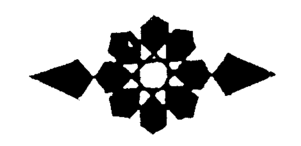
وتقول اونجلين بوت ان من اغرب المفارقات التي مرت بها في حياتها وهزت كيانها حدثت عندما تدفق الامريكيون الى مقاطعة يورك سعيا وراء الذهب . والامريكيون يذكرون جيدا ما حدث عندما اكتشف الذهب في الاسكا فقد تدفقت جموعهم نحو الشمال ورأت اونجلين ان الحاجة ماسة لان يكونوا جيش الانقاذ هناك فشدت الرحال مع مساعديها وفرقة من الممرضين وتوجهت نحو الشمال وعندما القت رحالها في سكج وي كانت تباع البيضة الواحدة بشلن ويباع رطل الزبد باثنى عشر شلنا وكان كثير من الناس يتضورون جوعا وفي خوف دائم يحملون بنادقهم على اكتافهم وكان الرعب الذي نشره « سوبي سميت » قاطع الطريق الجبار سائدا في المنطقة جميعا . وقد كان هو وعصابته يترصدون الناس وهم عائدون من حقول الذهب فيقتلونهم وينهبون ذهبهم وقد بعثت الحكومة الامريكية حملات تأديبية لقتله هو وعصابته ولكنه كان يتغلب عليها ويهرب . كان القلق والوحشة تسود سكج دي وقد قتل خمسة اشخاص في يوم وصول اونجلين بوت وفي تلك الليلة عقدت اجتماعا على ضفاف نهر يورك والقت مواعظها على عشرين الفا كانوا قد اجتمعوا هناك ، تبع ذلك اناشيد واذكار وكان الجو شديد البرودة بحيث لا يحتمل وعندما كانت تلقي اناشيدها جاء رجل يحمل دثارا ولفها به وقد شمل هذا الجمع الكبير الورع والخشوع فاندمجوا في الذكر والاناشيد حتى الصباح ، وبعد نهاية الحفل توجهت انجلين ومساعدوها الى ناحية في الصحراء لتأخذ راحتها تحت اشجار الصنوبر ، واشعلوا نارا للقهوة يهدئون بها اعصابهم وعلى ضوء النار لمحوا خمسة من الرجال يحملون بنادقهم ويتجهون نحوهم وعندما اقتربوا منهم وقف رئيسهم ورفع قبعته محييا وقال : «انا سوبي سميت وقد جئت لاخبرك بتأثري العظيم بوعظك واناشيدك ، وقد كنت انا الذي بعث اليك بالدثار لوقايتك من البرد الشديد ، ولك ان تحتفظي به اذا شئت » وكان الدثار في ذلك المكان يعتبر من افخم الهدايا الملكية لندرته وشدة الحاجة اليه حيث كان الناس يموتون من شدة البرد وعدم اسباب الوقاية منه .

وسألته هي عما اذا كانت في خطر هناك فأجاب : « كلا مادمت هنا فاني ساحميك »
وتحدثت اليه تعظه وترشده فقالت : «اننا نسعى لننقذ حياة الناس وانت تسعى لقتلهم . انك تسير على غير الطريق المستقيم انك لا تستطيع ان تستمر في النجاح . انهم سوف يقبضون عليك ويقتلونك ، لابد من ذلك ان عاجلا او آجلا »
وتحدثت معه عن ايام طفولته وما مر عليه من اطوار الحياة فتبسط معها واخبرها انه كان يحضر مع جدته وهو طفل مجالس وعظها وكان يصفق وهو ينشد نشيد المحبة والسلام واخبرها ان جدته عندما حضرتها الوفاة طلبت منه ان ينشد لها نشيد المحبة والسلام . وطلبت منه

اونجلين ان يركع معها مصليا مستغفرا واشترك اللص القاتل الذي ارعب الشمال بضحاياه وقسوته وجبروته مع المرشدة الواعظة في الصلاة . وارتفعت تضرعاتهما في سماء الصحراء وتحت اشجار الصنوبر وانهمرت دموع الندم على خديهما ووعد سوبي اونجلين بانه سوف يكف عن القتل والسطو ويطلب التوبة والغفران ووعدته هي ان تستعمل كل نفوذها لتخفف عنه الحكم . وفي الساعة الرابعة من ذلك الصباح ودعها سوبي ورفقاؤه عائدين الى منازلهم ، وفي التاسعة وصلتها هدية منه : فطير طازج ورطل من الزبد . نعم مفقودة في ذلك القطاع لا تقدر بثمن . فقد كان الدقيق والزبد من منهوبات سوبي من ضحاياه الذين كان يقتلهم دون شفقة او رحمة . والعمل والخبز كان بيد احدى الخاطئات اللاتي كن يشاركن سوبي فطلبت ان تقدم خدمة للواعظة المخلصة التي جاءت الى الشمال لتنشر المحبة والاخاء والسلام والغفران .

وبعد يومين من ذلك التاريخ قتل سوبي واحتفلت سكيج وي بموته ونصبت لقاتله الذي اراح المنطقة منه نصبا تذكاريا كرمز للعمل الجليل الذي قام به .

ان اونجلين بوت من اسعد الناس الذين قابلتهم . انها سعيدة لانها كانت تعيش لاسعاد الآخرين وقد قالت لي : « ان اعظم شيء يسعدها في هذه الحياة هي ان تستطيع ان تقدم خدمة لاي انسان شاء القدر ان تلتقي به ولو لحظة ــ كخادم في مطعم او حمال في محطة وان ترفع مستوى من تقابلهم ولو بقدر بسيط لانها مرت بهم في حياتها .



باستيل زخاروف

« الرجل الغامض الذي قد يكون مسئولا عن قتل بعض معارفك واعزائك »

زخاروف ـ اسم رجل عرف بأنه من اغنى رجال العالم واكثرهم غموضا واشدهم كرها بين الناس على وجه الارض ، وقد خصصت قبل سنوات جائزة قدرها عشرون الف جنيه لاي شخص يقوم باغتياله ، وكتبت عنه عدة كتب صورت ما اتصف به من الغرابة والغموض واجماع الناس على كرهه في جميع الاقطار .

ولد باستيل زخاروف في حالة مزرية من الفقر وجمع اكبر ثروة جمعها انسان عاش في هذه الدنيا جمعها من بيع آلات الدمار : الرشاشات والمدافع والمتفجرات بكل انواعها ، وقد افتتح احد الذين ارخوا له كتابه بهذه العبارة : « ان صورة ملايين القبور من البشر تصلح ان توضع شاهدا على قبره تكتب عليه انات الالم التي قاستها الملايين وهي تموت »

عندما كان زخاروف في الثامنة والعشرين من عمره اشتغل في بيع الذخيرة الحربية بأجر قدره اربعة جنيهات في الاسبوع وعمالته على مقدار كمية البيع . كان يعيش في ذلك الحين في اليونان . وكان يعرف ان الطريقة الوحيدة لبيع الذخيرة هي ايجاد مجال لحاجتها وطلبها فعمل على بث المخاوف في نفوس اليونانيين واوحى اليهم انهم يعيشون محاطين بأعداء عطشين للدماء وان عليهم ان يستعدوا بالآلات الحربية والذخيرة للذب عن حياضهم .

كان ذلك قبل نصف قرن تقريبا حين اجتاحت العالم موجة من القلق ، فبدأت الفرق تتدرب والخطباء ينثرون العواطف ويهيجون النفوس وازداد عدد الجيش في اليونان واشترت من زخاروف كمية وافرة من الذخيرة وغواصة ايضا ـ الغواصة الاولى التي انتجتها المصانع الحربية في ذلك التاريخ ـ وبعد ان جمع ثروة كبيرة من راتبه وعمالته على الكمية الكبيرة التي باعها انسل الى تركيا ، واجتمع برجالاتها وقال لهم : أنظروا ماذا تصنع اليونان ! انهم يستعدون ليمسحوكم من على وجه الارض ، واقتنع الاتراك واشتروا منه غواصتين وكمية وافرة من الذخيرة .

وبدأ سباق التسلح بين تركيا واليونان على اشده .. وهكذا نجحت خطة زخاروف فجمع ثروة قدرها ستون مليونا من الجنيهات كانت كلها مشبعة بالدماء . ولمدة نصف قرن اشتغل زخاروف باشعال نار الفتنة بين الاخصام التقليديين من الدول والمساعدة على تحريك اسباب الحروب واعلانها ، وفي اصطدام روسيا مع اليابان شجع الفريقين وباع لكل منهما اكبر مقدار من الذخيرة وفي النزاع الاميركي الاسباني باع الذخيرة التي قتل بها العسكري الاميركي .

وفي الحرب العالمية الاولى شجع مصانع الذخيرة في المانيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا بمساهمة مادية كبيرة في رؤوس اموالها .

وهكذا نمت وتضخمت ثروته فكانت اكثر مما يتصوره الخيال . وكان عمله لمدة نصف قرن ان يتسلل الى رجال الحرب في اوربا في صورة قط وديع وفي غاية من السرية والكتمان ليوغر صدورهم ويشجعهم على المضي في سبيل الحرب . وكان يستخدم شخصين شبيهين له تماما ليضلل بهم فكان كل عملهم ان يخرجوا في المجتمعات لتكتب عنه الصحف انه في برلين او مونت كارلو حالما يكون في مهمة سرية في بلد اخر يعقد صفقة حربية .

كان يكره ان يقف لتؤخذ له صورة ولا يسمح للصحفيين بمقابلته ولا يدافع او يدحض ما يكتبونه عنه . وعندما كان في السادسة والعشرين من عمره وكان جميل الشكل جميل القوام وقع بجنون في غرام سيدة شابة في السابعة عشر من عمرها تقابل معها في القطار في احدى سفراته من اثينا الى باريس وطلب يدها فورا ولسوء حظه كانت حديثة الزواج باحد النبلاء الاسبانيين وكان الزوج يشكو من مرض عقلي وعمره ضعف عمرها وكان طلاقها منه مستحيلا بسبب عقيدتها الدينية ، فلم يتزوج زخاروف واحتفظ بحبها في قلبه زمنا طويلا نصف قرن تقريبا .

واخير وفي عام ١٩٢٣ ميلادية توفى زوجها في احدى المستشفيات العقلية . وفي عام ١٩٢٤ تزوجها زخاروف وكان عمرها في ذلك الوقت الخامسة والستين وكان هو في الرابعة والسبعين . وتوفيت بعد عامين من زواجهما وقد هام بها مدة ثمانية واربعين عاما واستمتع بها كزوجة ثمانية عشر شهرا .

وكان يقضي ايام الصيف حتى وفاته في قصره الفخم بالقرب من باريس .

هذا الشخص الذي ولد في احدى قرى تركيا في كوخ من الطين ليس به نوافذ عندما كان صبيا كان ينام على الارض القذرة ويلف قدميه بالخرق البالية لتقيه شر البرودة القاسية . وكثيرا ما كان يمضي ايامه جائعا . لم يستمر في دراسته اكثر من خمس سنوات ، غير انه كان يتكلم بأربع عشرة لغة ومنحته جامعة اكسفورد شهادة الدكتورية الفخرية في القانون المدني واول مرة دخل فيها لندن سجن بتهمة اللصوصية وبعدها بثلاثين عاما اقام له ملك انكلترا حفلة تكريمية على شرفه .

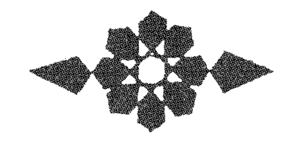
وفي احد ايام صيف عام ١٩٠٩ كان رجل اوروبا الغامض هذا يزور حديقة الحيوانات في باريس ، فأزعجه ان يرى بعض القرود مرضى بالجرب وعليها آثار الجوع وكثيرا من الاسود تتألم من مرض الروماتزم وضايقه ان يرى آثار المرض على جميع انواع الحيوانات في الحديقة فدعا مدير الحديقة وانبه بشدة على ما رأى من حالة الحيوانات في الحديقة ، ولم يكن المدير يدرك انه يتحدث مع اغنى رجل في العالم فأجابه هو الآخر بحدة قائلا : « ومن أين لي نصف مليون من الفرنكات حتى استطيع ان اعتني بكل هذه الحيوانات الموجودة في الحديقة . واجابه زخاروف : اذا كان هذا هو كل ما يعوزك فخذ وكتب له شيكا بعشرين الف جنيه .

ومن الغريب ان الرجل الذي قتل برصاصه ملايين البشر يدفع هذا المبلغ الضخم لانقاذ عدد ضئيل من الحيوانات ، واخذ مدير الحديقة الشيك وهو يظن ان الرجل الذي يحدثه يريد ان يستهزىء به وينكت عليه وحاول ان يقرأ الامضاء على الشيك فلم يستطع فرمى به فوق كومة الاوراق المكدسة على مكتبه .

وبعد عدة شهور زاره احد اصدقائه فحدثه بحديث الرجل وبالشيك الذي كتبه له . وكانت دهشته عظيمة عندما اخبره صديقه بأن الشيك صحيح وان الرجل الذي امضاه هو زخاروف اغنى اغنياء العالم .

ومات زخاروف في الخامسة والثمانين من عمره كومة من العظم تراكمت عليها الامراض ، وكان خادمه يضعه في عربة يد ويدفعه داخل بستان الزهور الذي كان يحبه ويفضله .

وقد كتب مذكراته لمدة ربع قرن في ثلاثة وخمسين مجلدا . وقيل انه عندما حضرته الوفاة امر بحرق كل تلك الوثائق والاسرار .



كلود وليم دكن فيلد

كانت نقطة التحول في حياته حينما اختط خطة ليثأر من ابيه فيلقي بصندوق فارغ فوق رأسه .

كان نجما عظيما من نجوم هوليود ، مرح مهذب اصلع قمة الرأس ذو انف احمر ضخم بارز بروز الشباك في العمارات القديمة وفي الواقع لم يكن يتصف من مميزات الجمال بشيء غير ان اعظم الاستديوهات لم تكن ترضى لتستبدل به ملكة من ملكات الجمال .. هذا الرجل الوقور هو كلود وليم ، داكن فيلد . لقد كان قبل ان يكتسب شهرته العظيمة يجلس الساعات الطويلة في غرفة الانتظار ليقابل المديرين ويتحدث معهم وقد بلى مقعد سراويله من كثرة ما كان يجلس في غرف الانتظار .. اشتغل عشر سنوات في السينما والمسرح ثم تركهما لفترة وعندما تجددت في نفسه الرغبة للعمل كانت خيبة امله كبيرة اذ كان يعرض نفسه على المخرجين ليقبلوه ، واستعد ان يعمل اي شيء .. يكتب ، يمثل ، يظهر في الافلام دون اي مقابل .. وانما كان يطلب ان يعطوه الفرصة ليعود الى العمل ، وكان يلتمس ويتمسكن ويزمجر احيانا ـ ولكن كان جواب المخرجين واحدا : (لا) .. بدون تراجع .

ولكن بعد هذا الجهد والعناء تسلم شيكا بمبلغ لم يكن ليحلم به مقداره عشرة آلاف من الجنيهات عندما اخرج دواد كوبر فيلد اول انتاجه ولم يكن قد اشتغل فيه اكثر من عشرة ايام . الف جنيه في اليوم ، او جنيهان في كل دقيقة . ولو قارنا ما يتقاضاه كلود وليم لعمله في هوليود وما يتقاضاه رئيس الولايات المتحدة لعمله في ادارة شئون الولايات لوجدنا ان ما يتقاضاه هذا النجم يساوي خمسة وعشرين ضعفا مما يتقاضاه الرئيس .

ان الادوار التي مرت بحياة وليم جعلته لا يكترث باقبال الحياة او ادبارها .. فلم يكن لديه شيئا مثيرا ان يرى الاضواء تسلط على اسمه كأعظم (حاو) في العالم كما لم يكن يكترث لو عاوده الفقر والعوز ، فلقد مر عليه في حياته انه لم ينم على فراش لمدة اربع سنوات كاملة .. فكان ينام في الحدائق العامة وفوق دكاك ابواب المحاكم ، وفي الصناديق الفارغة ، ونام حتى في الجحور يتدثر بقطعة من المشمع البالي . وكان يقول : ان اكبر نعيم تستطيبه نفسه ان يتمدد وينام على فراش وثير تحت غطاء مريح جميل ، وعندما مارس العاب الحواة الخطيرة لم يكن احد من الحواة في العالم يستطيع ان يجاريه في ذلك ، فأصبح اشهر حاو ، في الالعاب الخطرة في العالم ، فقد بدأ يغامر بها منذ كان في الرابعة عشر من عمره ، وابتدأ لعبة الحاوي بالتفاح وكرة التنس في مخازن الحبوب وفي دكان الحداد ولم يترك في حياته يوما تمريناته في العابه وكان يقضي بعض الاحيان ست عشرة ساعة في التمرينات يوميا ، ولم يترك تمريناته حتى عندما يكون مريضا لا يستطيع الوقوف على قدميه .

وكان رأيه ان الحاوي القدير يستطيع أن يلعب بكل ما يقع تحت يده ، وأن الحواة يستطيعون ان يقدموا ألعابا محيرة مذهلة بالبيضة وألواح الكرتون والخشب والعصي والمغلاة والقبعات والصحون والاحذية وكل ما يقع تحت ايديهم .. وقد قدم العابه في جميع انحاء العالم فأدهش وأذهل وقوبل بالترحيب والهتاف من المواطنين في « جونس يرغ » في طريقه ايام حرب البوير وقوبل بالتصفير في مدريد بعد الحرب بين اسبانيا وامريكا .. وقد كان الجمهور يحتاط به اثناء تجواله في الهند ومصر وفرنسا والمانيا وانكلترا واستراليا .. يسألونه باعجاب واندهاش عن الطريقة التي يقوم بها بألعابه المدهشة .. فيغرر بهم ويخدعهم حين يجيبهم بأن عمل الحاوي عمل بسيط لو عرف الانسان كيف يقوم به .. كثير من الناس كان يتصور ان كلود وليم انكليزي ولكن هذا غير صحيح فقد ولد في بنسلفانيا ولكنه لم يكن مواطنا باكثر من المولد اذ بدأ يطوف حول العالم منذ بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة فقد هرب من وطنه على اثر سوء تفاهم على حد تعبيره حدث بينه وبين والده .. وعندما يحدثك عما يسميه سوء التفاهم هذا تضيء عيناه بلمعان غريب .. وتبدأ القصة عندما تعثر الاب في معول كان الابن قد القى به على الارض .. وعندما دعس الابن على المعول قفز المعول واصطدم بساق الاب فجن جنونه وصار يقفز من شدة الالم واخذ المعول وهو في هذه الحال المجنونة وضرب به على كتف الابن .. وكانت تلك الخبطة السبب في تغيير مجرى حياته فقد احس ان أباه يتحداه فانسل الى داخل الدار واخذ صندوقا فارغا ووقف على كرسي وعلق الصندوق بعناية على الباب وعندما دخل الوالد بعد دقائق نزل الصندوق على رأسه بعناية فغطى رأسه ووجهه في صفعة قاسية .. ووضع الابن ثوبه في فمه وجرى ما استطاعت ساقاه الصغيرتان ان تمداه بالعون والقوة وابتعد وهو يجرى عن الدار ، ابتعد بحيث لم يعد اليها مرة اخرى .. ولم ير والده بعد ذلك الا بعد ان اصبح نجما عالميا في العاب الحواة .. ومنذ ترك بيته حتى بلغ السادسة عشرة من عمره عاش مشردا لم يعرف لنفسه قصرا ولا مسكنا ، عاش كالجرو التائه ، ينام حيث يجد ركنا يستطيع ان (يتكوم) فيه ، ويأكل اي طعام يحصل عليه من الشحاذة او الدين او السرقة .

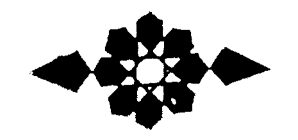
فأثر منظر كلب الحراسة في نفسه ، فكان يرتعد من رؤيته حتى آخر ايام حياته .. وكثيرا ما غافل كلب الحراسة لينسل من الباب الخلفي للمخازن ليخطف زجاجة من الحليب .

انك عندما تتحدث مع كلود تشعر وكأنك تتحدث الى احد الابطال في الروايات الخيالية .

وقد اشتغل مرة (غريقا محترفا) فكان يخوض غمار البحر ثم يتصنع الغرق ويصيح طالبا النجدة فينتج عن ذلك اجتماع الناس لمشاهدة عملية الانقاذ وبينما الغريق في حالة اغماء يزفر ويشهق بصعوبة ليستعيد وعيه يكون شركاؤه قد اغتنموا الفرصة وباعوا « الآيس كريم » والمقلياح والجوز واللوز حيث يغتنمون فرصة تجمع المارة لمشاهدة الغريق (المتصنع) وتطور حالته حتى يعود اليه الوعي .. وفي بعض الاحيان عندما تكون السوق رائجة ـ كان يغرق ـ متصنعا باربع او خمس مرات في اليوم ، وهو لا يذكر عدد المرات التي قبض عليه فيها لكثرة ما قبض عليه .

ويقول : لو مارس احد بعض ما كنت امارسه في هذه الايام لسرعان ما كان اودع في احدى الاصلاحيات المنتشرة في البلاد اليوم وقد اشتغل مدة في عربة بيع الثلج فكان يستيقظ كل صباح قبل الفجر ولكن طوال وقته كان يقوم بتمرينات على العاب الحواة بقطعة من الثلج وبأعواد علف الحصان وبعد تمرينات شاقة لمدة عامين اجاب على اعلان في احدى الصحف بطلب ـ حاو ـ وتحصل على العمل وكان الراتب جنيها واحدا في الاسبوع ـ كان يدفع منه ستة شلنات كاتاوة للمدير الطماع الذي هيأ له القبول في العمل ، وليوفر هذا المبلغ كان ينام في غرفة تغيير الملابس ويعيش على قطعة من الفطير ذات ثمن زهيد ، ثم عمل ثلاثة مواسم من دون ان يقبض شيئا وليس ذلك لان راتبه قد اوقف ولكن بسبب المفاجآت المالية التي كانت تحدث للفرقة التي كان يعمل بها كأن يحدث ركود في الدخل او يستولي المدير على اموال الفرقة ويهرب ولكن كلود تحمل كل ذلك بروح الفيلسوف ، واستطاع ان ينجح اخيرا فتوفر له ان يأكل ثلاث وجبات في اليوم وينام على فراش وثير وبعد حياة مريرة شاقة بدأ يعيش عيشة الانسان .

ويملك كلود دارا انيقة في هوليود وغرفة خاصة لتغيير الملابس وخمسين قبعة ذات اشكال مختلفة معلقة جميعها في غرفة ملابسه ويصطف المشاهدون في خط طويل حول اي مسرح يكون له فيه دور ليشاهدوا العابه السحرية المذهلة التي قضى اربعين عاما وهو يمارسها ليكتسب المهارة فيها ، وينام في فراش وثير يقول عنه حتى في هذه الايام : اني ـ بعد الحرمان الطويل ـ عندما آوي الى فراشي الوثير تعلو الابتسامة السعيدة شفتي ، اما حين امتد بين الغطاء والفراش فاني اعيش في حلم عاطفي لذيد .



روزفلت

اصابه غر طائش برصاصة في صدره فلم يكترث ومشى ثابتا الى المنصة واستمر في القاء خطابه .

كان حادث لا انساه وقع في يناير عام ١٩١٩ وكنت وقتها أودي واجبي في الخدمة وكنا نعسكر في الكبتون في الجزر المستطيلة .

فبعد ظهر هذا اليوم تقدمت فرقة عسكرية كاملة نحو مرتفع عال واشرعت بنادقها واطلقت رصاصاتها تحية عسكرية للرئيس الراحل روزفلت ـ تيودور روزفلت ـ المع رئيس للولايات المتحدة واقدر رئيس ادار دفة الحكم فيها ووجه سياستها . اختطفه الموت ومازال في قدرة الشباب وحيويته .

لقد اتسمت جميع الحوادث التي اكتنفت حياة روزفلت بالغرابة . من امثلة ذلك انه مصاب بمرض قصر النظر بحيث لا يستطيع ـ بدون نظارة ـ ان يميز اقرب اصدقائه من مسافة عشرة اقدام ومع ذلك كان خبيرا في الضرب بالبندقية واصابة الهدف وهاجم كثيرا من الاسود في غابات افريقيا وقضى على عدد منها . وكان من امهر الصيادين المشهود لهم ومع ذلك لم يصد سمكة ولا اقتنص طيرا .

عندما كان غلاما كان يبدو مريضا اصفر الوجه انهك قواه مرض (الربو) فعزم على الارتحال الى غرب امريكا حرصا على صحته واصبح من رعاة البقر فنام تحت السماء وزاول شتى انواع الرياضة حتى انه بارز اشهر ملاكمي عصره « مايك دوندوان »

وجاب مجاهل جنوب امريكا وصعد جبالها العالية كجبل جنفرا وجبل ماترهون وقاد هجوما عنيفا في مرتفعات سان جان في كوبا في وجه دفاع مميت برصاص البنادق .

وقد ذكر روزفلت في تاريخ حياته انه عندما كان غلاما كان خجولا وعصبيا كثير الخوف على نفسه من الاذى ومع حذره الشديد كسرت رسغه وذراعه وعظمة انفه وبعض عظام صدره وكتفه ولكنه اصر على الثبات حتى نهاية الطريق الذي اختاره لنفسه .

وعندما كان راعيا للبقر في ولاية داكوتا انقلب من فرسه وشطبت احدى عظامه فلم يعبأ وعاد وركب فرسه حالا وانصرف يجمع قطيعه .

وقال انه قوي غريزة الشجاعة في نفسه بالاقدام على كل عمل ترتعد نفسه منه خوفا كان يتصنع الشجاعة في القيام بذلك العمل في الوقت الذي كانت نفسه تكاد تزهق من شدة الخوف وظل هكذا يقدم على عمل كل ما يخاف منه حتى اصبح اخيرا شجاعا حقا لا يخيفه زئير الاسود ولا ترهبه نيران البراكين اللافحة .

وفي عام ١٩١٢ في غزوة « بل موس » سطا عليه شخص نصف مجنون وصوب الى صدره رصاصة من مسدسه وكان في طريقه لالقاء خطاب فلم يشعر روزفلت احدا ممن كان

حوله بأن الرصاصة قد اصابته فعلا ومشى بثبات في طريقه الى المنصة وبدأ خطابه وظل يتكلم حتى كاد النزيف ان يفقده وعيه فتنبه سامعوه وحملوه حالا الى المستشفى

وعندما كان في البيت الابيض كان يضع تحت وسادته مسدسا محشوا حين ينام ويحمل مسدسا صغيرا اينما سار ، وفي خلال رياسته للولايات المتحدة كان يمارس هواية الملاكمة مع احد الضباط وفي احدى المرات ضربه الضابط ضربة شديدة على احدى عينيه اثرت على اوعيتها الدموية تأثيرا شديدا وحرصا منه على عدم اشعار الضابط بفظاعة عمله كتم الرئيس تأثره وبدأ عاديا جدا ــ وعندما طلبه الضابط للنزال مرة اخرى اجابه الرئيس بلطف ــ انه يرى ان عمره قد جاوز السن الذي تسمح له بمزاولة هواية الملاكمة ــ وبعد سنة من هذا الحادث كان قد فقد نور تلك العين تماما ، غير ان الضابط ظل جاهلا تمام الجهل حتى ذلك الوقت سبب فقدان الرئيس احدى عينيه .

وأمر ان تقتلع جميع شجر الوقود من مزرعته وجند لذلك عددا من العمال وعند اتمام العمل أصر على ان يحاسب عمال مزرعته بأجرة كبقية العمال الآخرين .

ولم يدخن طوال ايام حياته ، ولم ينجب وكل ما دخل جوفه من الخمر كان مقدار ملعقة من البراندي تخلط احيانا مع الحليب الذي يقدم اليه ليلا . ولم يكن يعلم عن ذلك شيئا الا بعد ما اخبره بذلك خادمه ، ولكنه اتهم كثيرا بالاغراق في الشرب الى درجة ان هدد متهميه برفع قضية قذف عليهم فكفوا عن ذلك .

ورغم ان كل اوقاته كانت مملوءة بالاعمال الهامة فانه كان مغرما بالقراءة وقرأ مئات الكتب وكانت الساعات الاولى من النهار ــ وهو في البيت الابيض ــ من اكثر الساعات انشغالا وارتباطا بالمواعيد التي قد لا تزيد المقابلة فيها عن خمس دقائق فكان في هذه الزحمة لا يضع الكتاب من يده وينتهز فرص الثواني التي تمر بين المقابلة والاخرى ليشغلها بالمطالعة وكان يصحب معه في رحلاته كتب شكسبير وبولي برنس وايام كان يرعى البقر في داكوتا كان يجلس في الليل بقرب لهيب النار المشتعلة ويقرأ لزملائه الرعاة بصوت عال كتاب هملت لشكسبير ويستمر في القراءة حتى يتمه ، وفي رحلاته في براري وقفار البرازيل ، كان يمضي لياليه في قراءة « انحطاط وسقوط الدولة الرومانية » تأليف جيبوتس .

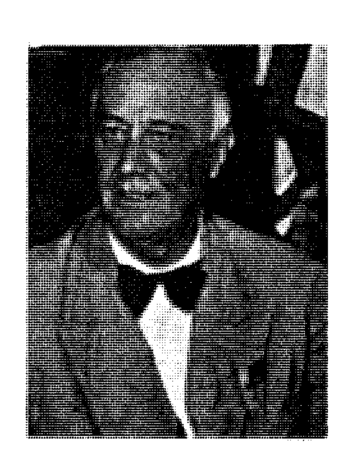
كان روزفلت يحب الموسيقى غير ان صوته لم يكن يساعده على الترنم بها وعندما كان يقوم بعمل ما وحده كان ينهيه بالغناء ، وطاف مرة بالقسم الغربي من المدينة فكان يحيي الجماهير المحتشدة لاستقباله ويستمر مهيمنا يغني : « اقترب من الله من اجلك »

كان له هوايات شتى ــ وحدث مرة وهو في البيت الابيض ان تناول سماعة التلفون ورجا احد كبار مراسلي الصحف في واشنطن ان يزوره حالا واهتم المراسل بهذا الرجاء المستعجل ، وقدر انه سيقابل الرئيس في قضية قومية هامة ــ فابرق لصحيفته لتكون على استعداد لاصدار ملحق هام للجريدة .. وعندما وصل المراسل الى البيت الابيض لم يتحدث

اليه الرئيس ولا بكلمة واحدة عن السياسة ، وما لبث ان قاد الرئيس المراسل من يده الى حديقة البيت الابيض حتى وقف عند شجرة عجوز واطلعه في تجاويفها على عش فيه عدد من صغار البوم كان الرئيس قد اكتشفه في ذلك اليوم .

وفي رحلة استطلاعية الى غرب المدينة وكان منهمكا في الحديث مع مرافقيه من اعضاء السلطة التنفيذية وقع نظره على فلاح وقف على جانب مزرعته متجها نحو الطريق رافعا قبعته محييا الرئيس ، وادرك الرئيس ان ذلك الفلاح كان يعبر عن احترامه وتقديره لرئيس الولايات المتحدة فلم يكن منه الا ان قفز من سيارته وتقدم خطوات على الرصيف الى الجهة التي يقف فيها الفلاح ورفع قبعته ولوح بها بحرارة نحو الرجل ولم تكن تلك التحية لغرض سياسي بل كانت للتقدير العظيم الذي يحمله الرئيس في اعماق نفسه للمخلصين من المواطنين .

وفي الايام الاخيرة من حياته بدت صحته في تأخر ومع انه لم يكن قد تجاوز الستين فانه كان يكرر القول بانه قد اصبح هرما ، وكتب في هذه الايام لقرين له يقول « اني واياك على شفا جرف واننا ننتظر في كل دقيقة اللحظة التي يشملنا فيها الظلام » وقد توفى اثناء نومه في هدوء في يناير ١٩١٩ وكانت آخر جملة نطق بها : « من فضلكم اطفئوا المصباح »



سومرست مــوم

ترى أية قصة كنت تختار لو خطر لك ان تختار اعظم قصة مثلت على المسرح منذ نشأة المسرح في العالم ؟

لقد قدم نقاد المسرح في نيويورك استفتاء سريا عن اعظم عشر روايات مثلت على المسرح فحازت الدرجة الاولى رواية « هملت » التي كتبها شكسبير قبل ثلاثة قرون . اما الرواية الثانية التي حكم لها بالفوز فلم تكن كما يتوقع الكثيرون احدى الروايات العالمية المشهورة مثل رواية ماك بث ، او الملك لير ، او تاجر البندقية . بل كانت الرواية الحديثة « الغيث » ، نعم الغيث تلك الرواية التي تصارع فيها الجنس والمذهب مصارعة عنيفة ، انشب كل منهما انيابه واظفاره في الآخر في منطقة بحر الشمال .

ان الرواية مقتبسة من قصة قصيرة كتبها سومرست موم وقد ربح منها اربعين الفا من الجنيهات ، ومع ذلك فانه لم يمض في كتابتها اكثر من خمس دقائق ، واليك قصة هذه القصة :

كان موم قد كتب قصة قصيرة اسماها « سادي تمبسن » ولم يهتم بنشرها بعد كتابتها فوضعها في احد ادراجه ، وحدث ان زاره في احدى الليالي السيد جون كالتون وعندما تهيأ السيد كالتون للنوم أصابه القلق فطلب من مضيفه شيئا يقرأه ليجلب لعينيه النوم ، فناوله مسودة لقصة « ساري تومبسن » ، وسحرت القصة كالتون وهزت كيانه فقام من فراشه على الارض ويتخيل اشخاص الرواية على الورق ويقدر انها ستكون الرواية الخالدة له اذا قدر لها ان تظهر على خشبة المسرح .

وفي الصباح دخل على موم وهو يقول ان لحوادث هذه الرواية مجالا كبيرا على المسرح ، لقد كنت افكر في ذلك كل الوقت لقد بدأت مطالعتها لاجلب النوم لعيني ، ولكن مطالعتها أطارت النوم من عيني فلم يغمض لي جفن لحظة واحدة ، لقد مضى ليلي وانا اتخيل الروعة والحيوية التي تمثلها حوادث هذه القصة لو قدر لها ان تظهر على المسرح .

ولم تؤثر كلمات كالتون الحماسية على موم فأجابه بلهجته الانكليزية الهشة : صحيح من الممكن ان تصلح حوادث هذه القصة تمثل على المسرح غير انها ستكون تمثيلية مهزوزة لا يلبث ان ينصرف الجمهور عن مشاهدتها خلال اسابيع قليلة ، وهذا لا يغري على بذل الجهد في سبيل تحويلها الى تمثيلية ، ولكن الرواية التي فكر موم انها لا تستحق جهد تحويلها الى تمثيلية اكسبته اربعين الفا من الجنيهات .

عندما اتم تحويلها الى تمثيلية استجابة لاغراء صديقه كالتون انصرف عنها كثير من المخرجين واكدوا جميعا انها ستخفق ، وبعد لأى قبل سام هاريس اخراجها وكان قبوله لاخراجها لانه رشح لها ممثلة ناشئة تدعى جين ايجل ، ولكن الوكيل عارض في ذلك وطلب ان تكون البطولة لممثلة معروفة واخيرا اعطى الدور لجين ايجل فقامت به خير قيام ومثلت بقوة

وانفعال واحساس ، حتى نالت لقب الممثلة العاطفية في برودوي وعرضت الرواية اربعمائة وخمس عشرة مرة استقبلها الجمهور المحتشد في كل مرة بضجيج الحماس ونداءات التلهف .

لقد كتب سومرست موم روايات كثيرة جديرة بالتقدير مثل عبودية الانسان ، والقمر ، وستة بنسات ، والبرقع المصبوغ ، وكتب ايضا عددا من التمثيليات الناجحة ، ولكنه حتى الآن لم يكتب مسرحيته هو نفسه والمنتظر ان تكون اشهر مسرحياته .

كثير من الناس يصفونه اليوم بانه عبقري ، ولكن الواقع انه كان كاتبا خائبا من الناحية المادية لمدة احد عشر عاما منذ بدأ يكتب ، تصور ان هذا الرجل الذي قدر له ان يربح من الكتابة مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ جنيه كان دخله قبل احد عشر عاما مائة جنيه في السنة فقط وانه حاول ان يتحصل على عمل له راتب ثابت . وقال له اصدقاؤه : فلم يستطع وقال موم : كان علي ان استمر في كتابة القصص لاني فشلت في الحصول على عمل له راتب ثابت . وقال له اصدقاؤه : انه من الحماقة ان يداوم على الكتابة وهو من متخرجي كلية الطب ، ونصحوه ان يترك الخيال الى العمل في اختصاصه ، ولكن لم يكن هناك من يستطيع تحويله عن عزمه فقد عزم ان يكتب اسمه بخط عريض في صفحات الادب الانكليزي الخالد .

وقد قال لي بوب ريلي مؤلف « صدق او لا تصدق » قال لي : قد يعمل الانسان في عبودية سنين طويلة وهو مغمور ثم لا يلبث ان يرتقي سلم الشهرة في ظرف خمس دقائق ، وهذا ما حدث بالضبط لموم وريلي .

وسأحدثكم كيف ارتقى موم سلم الشهرة : كانت تمثيلية « بعض الناس » تمثل على احد مسارح لندن ، وفجأة وجد المخرج نفسه في خيبة امل لعدم اقبال الجمهور على التمثيلية ، ورأى مدير المسرح انه في حاجة ماسة لانقاذ الموقف وتغيير التمثيلية بأي تمثيلية اخرى يتلهى بها الجمهور مدة يسيرة من الزمن حتى تتاح له الفرصة لاخراج رواية جديدة مضمونة الرواج ، وفي حالة الارتباك هذه بدأ المخرج يبحث في أدراجه فعثر على رواية لسومرست موم مطمورة بين الاوراق في أحد الادراج ، كان اسم الرواية « السيدة فردريك » . لقد مضى عليها عام كامل في هذا الدرج ، وكان المخرج قد سبق ان قرأها وقدر انها ليست في مستوى رفيع ولكنه الآن قدر انها ستضمن الجمهور لبضع اسابيع فاخرجها حالا ..

ماذا كانت النتيجة ؟

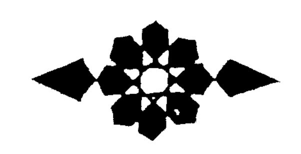
لقد كانت النتيجة معجزة ! فقد أقبل الجمهور في لندن على مشاهدتها اقبالا منقطع النظير ، وأصبحت مشاهدها احاديث المجتمعات في لندن وكانت سببا في تعميم النشوة في انجلترا ، كما لم تستطع ان تفعله رواية من قبلها منذ صدور محاورة اوسكار وايلد .

وكان ان انهالت طلبات مديري المسارح في رجاء والحاح على سومرست موم يرجون الحصول على رواية من رواياته لتمثل على مسارحهم ، وراح موم بدوره يفتش في ادراجه لينفض غبار النسيان عن مسودات رواياته القديمة ويقدمها للملتمسين والراجين ، ولم تمض بضع

اسابيع حتى مثلت له ثلاث روايات على اشهر مسارح لندن وبدأت الشهرة تنحدر اليه في صورة جدول منساب من الذهب . وازدحم على بابه الناشرون ، وارتمى بعضهم فوق بعض كل منهم يرجو ان يحظى برواية من روايات هذا العبقري الجديد وبدأت المجتمعات تمطره بدعوات التكريم ، ويتقرب اليه الكبراء والمشاهير . وهكذا بعد احد عشر عاما من الجحود والنسيان وجد موم نفسه محاطا بكل معاني الشهرة والاجلال .

أخبرني موم انه لا يكتب ابدا بعد الساعة الواحدة . وقال ان فكره يتوقف تماما بعد الظهر . لقد اعتاد ان يجلس في اعلى مكان في دارته الانيقة على ضفاف الريفيرا في فرنسا ، ويكتب ، انه قبل ان يبدا الكتابة يدخن غليونا ويقرأ ساعة واحدة في احد كتب الفلسفة ، وعندما احتلت فرنسا عام ١٩٤٠ م فر الى انكلترا ولكنه عاد الى فرنسا بعد الحرب حيث يقيم حتى الآن .

وقد اخبرني انه لا يؤمن بالخرافات ، ومع ذلك فانه يحتفظ بحرز يقيه العين بين طيات كتبه ونقش نفس الحرز على اطباق طعامه وكذلك نقشه على موجوداته الثابتة وورق اللعب الخاص به . وعندما سألته هل انه حقيقة يؤمن بالخرافات لم يزد على انه ابتسم .



وليم راندولف هارست

« صحف قيمتها سنتان جعلته قادرا على ان يشتري قصورا في اسبانيا ويمتلك المتاحف بما فيها متحف للآثار المصرية »

هل فكرت ماذا انت صانع لو قدر ان يكون دخلك في الشهر الواحد مليونا من الدولارات .

لقد كان دخل وليم راندولف هارست مليونا من الدولارات في الشهر الواحد وبعبارة اخرى ثلاثين الف دولار في اليوم ..

ان الوقت الذي ستمضيه في قراءة هذه الصفحات سيكون دخله فيه مائة دولار بالتقريب

لم يكن احد يدعو وليم راندولف هارست باسمه « وليم » حتى اصدقاؤه المقربون كانوا يدعونه « دبليو ـ آرا » اما عماله الذين يبلغ عددهم سبعين الفا فكانوا عندما يتحدثون عنه يتحدثون باسم « الرئيس » .

ويقدر عدد قراء جرائده ومجلاته العديدة بالملايين وكان يعتبر اقوى واغنى ناشر في العالم ، ورغم ان اسمه كان معروفا لجميع المواطنين الامريكيين الا ان شخصيته كانت شخصية غامضة بالنسبة اليهم ، فالرجل المتوسط في امريكا يعرف الكثير عن حياة غاندي الشخصية ولكنه يجهل الكثير عن حياة وليم راندولف هارست . واغرب ما عرفته عن هذا الناشر الامريكي الجبار انه حيي صموت خجول ومع انه ظل يتمتع بالشهرة والصيت نصف قرن كامل فقد كان يكره ان يقدم للتعرف بشخص غريب

ولم تكن تخلو قصوره العديدة في كاليفورنيا من الضيوف الذين كان يبلغ عددهم من العشرة الى الستين ولكن متعته كانت حين يتسلل من بينهم ليختلي بنفسه .

وعندما يكون في نيويورك كانت متعته ان يقضي اوقاته يستبضع من الدكاكين الصغيرة .

ان اكبر اقطاعية واعظم مزرعة في الجهة الغربية هي مزرعة هارست في كاليفورنيا فمساحتها ربع مليون فدان من الارض تقريبا ثم تمتد خمسين ميلا نحو صخور المحيط .

وفي بقعة يبلغ ارتفاعها الفي متر على ساحل الباسفيك حيث يزمجر عبابه ويشتد هياج امواجه بنى عدة قصور فخمة وسماها « التل الساحر » وقد بذل ملايين الدولارات بسخاء في فرش وتأثيث هذه القصور وزين جدرانها بالنقوش الذهبية على شكل قماش الجوبلين المزركش الذي جمل به اعظم قصر في فرنسا وزينت قاعاته الكثيرة بالنقوش البديعة بريشة الفنانين في ذلك العصر وكان المدعوون يجلسون الى مائدة محاطة بالتحف والالواح النادرة التي لا تقدر بثمن والتي ابدعتها ايدي اعظم الفنانين ..

وكان يقتني مجموعة كبيرة من مختلف انواع الحيوانات المتوحشة : قطعان من الحمر الوحشية والجاموس البري والزرفات والكانفارو منتشرة فوق الهضاب وآلاف الانواع من الطيور المجلوبة ترفرف فوق الاشجار وتنتقل من دوحة الى دوحة وتحيي الاسود والنمور في القسم الخاص بها من الحديقة ..

وكان لي صديق يدعى فرنك ماسون ، كان هو المكلف من قبل هارست بشراء العاديات من فرنسا فكان يجلب له من فرنسا هذه العاديات اجمل باخرة كاملة بما فيها قصر اثري كامل حمل الى امريكا في صناديق خاصة وضعت ارقام خاصة على كل حجر من احجاره وطوبه ونقوشه لتكون في موضعها بامانة عند اعادة بناء القصر في امريكا .

وقد اشترى الآثار من أنحاء الدنيا مما اضطره آخر الأمر الى أن يستأجر مستودعات كبيرة في نيويورك ليحفظ فيها مازاد عن حاجة استعماله وبلغ عدد موظفي هذه المستودعات عشرين موظفا وبلغت مصاريف وقايتها وصيانتها ستين الف دولار في السنة وكانت تحتوي على انواع مختلفة من الآثار والتحف والطيور المحنطة والمومياء المصرية .

كان والد هارست فلاحا في مقاطعة ميسوري وفي زحف عام ٤٩ قطع الفين من الاميال في الصحراء الواسعة الى جانب قطيعه من الابقار وفي عربة مقفولة وحارب الهنود الحمر واكتشف الذهب وكون ثروة بالملايين .

وعندما تقدمت به السن كان يفضل الجلوس تحت شجرة كبيرة في مزرعته الواسعة ولاحظ الابن قبل سنوات ان هذه الشجرة تحجب منظر البحر عن بعض نوافذ صالون القصر الكبير الذي بناه . واحتراما لمكانة والده الذي كان يستظل تحت هذه الشجرة لم يحتمل فكرة قطع الشجرة وازالتها فدفع اربعين الف دولار لنقل الشجرة وابعادها عن موضعها ثلاثين قدما .

كان وليم ردولف هارست شديد الهيام بالحيوانات والعطف عليها ومن امثلة هذا العطف ان عددا من كبار المخرجين طاروا اليه في احد الايام من هوليود لمفاوضته في بعض الشؤون الهامة فلم يأذن لهم وتركهم ينتظرون وقتا طويلا حينما كان هو يعتني بضب من حيواناته الاليفة كان قد فقد جزءا من ذنبه ، وفي مناسبة اخرى بعث يخته الخاص في منتصف الليل لاحضار دكتور ودفع خمسمائة دولار اجرة للطبيب لان ساق احدى دجاجاته الحبشية قد كسرت

كان هارست من هواة التصوير ولديه مجموعة كبيرة من الصور التي كان يلتقطها كل عام وكان خبيرا ايضا في الضرب بالبندقية ومرة كان في نزهة على يخته الخاص فادهش ضيوفه حين اخذ مسدسه وصوبه على احد طيور البحر الذي كان يطير في الجو فسقط الطير مصابا في احد جناحيه ، وكانت له خبرة في بعض انواع الرقص وفي تقليد الناس تقليدا مدهشا وكان قصاصا لا يجاري له غبار وكان مرجعا حيا لكثير من الحوادث التاريخية فلو سئل عن زوجات هنري الثامن او عن عدد رؤساء الولايات المتحدة لكانت النتيجة تسعين في المائة صحيحة ولسرد اسماءهم في لمحة عن ظهر قلب .

وحدث مرة جدال عنيف بين جيمي واكروشارلي شابلن وكانا ضيفين في مزرعته كان الجدل محتدما حول نص عبارات من عبارات التوراة وحسم هارست النزاع بسرد جميع العبارات المختلف عليها كلمة كلمة وحرفا حرفا ..

كان من عادات هارست ان يجمع حوله الشباب ولا يسمح لاحد ان يطري ذكر الموت في مجلسه .

ورث هارست من والده ثلاثين مليونا من الدولارات وكان يمكنه ان يعيش مرفها هو وابناؤه دون ان يكلف نفسه عناء العمل ولكنه لم يفعل فقد كان يعمل من ثماني الى خمس عشرة ساعة في اليوم لمدة خمسين سنة وقد اخذ على نفسه عهدا ان يظل يعمل ما دام في عروقه دم يجري ..

كيف تمكن الهولندي الصغير الذي هاجر الى امريكا وعمره اربعة عشر عاما من مقابلة كبار الرجال فيها ونيل الحظوة لديهم

ادوارد بوك

في احد الايام وقف صبي جائع اثناء رجوعه من المدرسة على شباك فرن يحملق بنهم في الكعك والفطير المعروض في الشباك ولحظه صاحب الفرن فخرج اليه وهو يقول : انه يبدو منظرا اخاذا أليس كذلك ؟

واجاب الصبي الهولندي : انه كان يبدو كذلك لو كان الشباك نظيفا كما ينبغي .
واجاب صاحب الفرن : هو كما قلت ، ومن الممكن ان تتولى انت تنظيف الشباك .
وبهذه الطريقة تحصل ادوارد بوك على اول عمل في حياته وكانت اجرته شلنين في الاسبوع غير ان هذا المبلغ على ضآلته كان بمثابة كنز تحصل عليه ، فقد كانت عائلته من الفقر بحيث كان يخرج كل يوم الى الشارع وفي يده سلة يجمع فيها ما يتساقط من الفحم من عربات الفحم التي كانت تفرغ شحناتها في سوق الفحم .
كان الفتى ادوارد بوك حين هاجر الى امريكا لا يعرف من اللغة الانجليزية شيئا فلم يكن يستطيع ان يفهم كلمة مما كان يلقيه استاذه ولم يستمر في دراسته اكثر من ست سنوات . ومع ذلك فقد كان انجح رئيس تحرير مجلة في تاريخ امريكا الصحفي .
وقد اعترف بوك مرة انه يجهل بالكلية ميل المرأة في اختيار الموضوعات التي تفضل قراءتها ولكنه انشأ اكبر مجلة نسائية في العالم ظلت دائرة انتشارها تتسع حتى وصلت الى اعلى القمم . ففي الشهر الذي استقال فيه من رئاسة تحريرها كانت توزع مليوني نسخة وكان دخل الطبعة الواحدة من الاعلانات مائتي الف جنيه .. شغل ادوارد بوك رئاسة تحرير مجلة « المرأة والبيت » مدة ثلاثين عاما ثم استقال ليكتب تاريخ حياته الذي اسماه « امريكية ادوارد بوك » .
بعد ان اشتغل بوك في تنظيف شباك الفرن بدأ يتجه الى البحث عن العمل بمختلف الوسائل وبشغف لا يفتر . كما يفعل الفتيان الذين يهوون جمع الطوابع فيزداد شغفهم كلما جمعوا مقدارا اكبر من الطوابع ، ففي الصباح الباكر كان يقوم بتوزيع الصحف وبعد الظهر يطوف على المسافرين على العربات التي تجرها الخيل فيبيع عليهم شربات الليمون المثلج ، وفي المساء يكتب للصحف المحلية عن حفلات الميلاد وحفلات الشاي التي تقام . واستطاع اخيرا ان يكسب بمعدل اربعة وخمسة جنيهات في الاسبوع وكل ذلك كان في ساعات الفراغ التي كان يستغلها في غير اوقات المدرسة .

وعندما ترك المدرسة كان عمره اثنتي عشرة سنة وكان قد قضى في أمريكا ست سنوات فقط . وعندما كان عمره ثلاثة عشر عاما ترك المدرسة ليلتحق بعمل في مكتب الاتحاد الغربي ولكنه لم يغفل لحظة عن التعليم واستمر في تثقيف نفسه فكان يوفر من اجره ويصبر عن وجبة من طعامه حتى جمع مبلغا يكفيه لشراء دائرة معارف رجالات امريكا وبعد دراستها قام بعمل كان جديدا في تاريخ امريكا فقد درس حياة المشاهير ثم كتب اليهم يستزيدهم بعض المعلومات

عن طفولتهم فكتب للجنرال جامس جارفيلد الذي كان مرشحا للرئاسة يسأله : هل صحيح انه في احد ادوار حياته كان يجر عربة نقل في القنال ؟

وكتب للجنرال جرافت عن احدى معاركه المشهورة فبعث له الجنرال خريطة للمعركة رسمها خصيصاً له ودعاه للعشاء معه وامضى الجنرال مع الفتى ذي الاربعة عشر عاما امسية كاملة يتحدث اليه .

وبهذه الطريقة استطاع هذا الفتى الذي كان يعمل في احد مكاتب التلغراف باجر قدره خمسة وعشرون شلنا في الاسبوع ان يتعرف على اكثر رجال امريكا البارزين في عصره . وزاور امرسن وفيليب بروك واليو وندل ولونج فلو والمستر ابراهام لنكلن ولويس ماي الكوت والجنرال شرمان .

وقد اكتسب بوك الاختلاط مع هؤلاء العظماء ثقة وسعة افق وطموحا لا يقدران بثمن ، وكان يسير في احد الايام فرأى رجلا اخرج من جيبه علبة سجائر فضها واخرج منها صورة تذكارية ورمى بها الى الارض ، وبشغفه المتأصل في نفسه لمعرفة العظماء والكتابة عنهم التقط بوك الصورة ونظر اليها وكانت صورة لاحد مشاهير السياسة وكانت بيضاء من الجانب الآخر .

وفكر بوك ثم قال يحدث نفسه : «لو كتبت في الجهة الاخرى من الصورة نبذة من تاريخ حياة هذا الرجل فمن المحتمل جدا انها كانت لا تلقى هكذا الى الارض»

ونشأت عنده فكرة .

وفي اليوم الثاني ، وفي الساعة التي كان عليه ان يتناول غداءه فيها ، خرج يبحث عن الشركة التي كانت تقدم هذه الصورة وقابل الرجل المسؤول فيها وبحث معه الموضوع ، وكان في حرارة حديثه وتركيز منطقه متحمسا فلم يخرج من عند المسؤول الا ومعه عقد بتزويد الشركة بمائة من هذه التراجم بقيمة جنيهن للترجمة الواحدة .

ونجحت الفكرة فلم يعد بوسعه ان يعمل وحده فاستأجر عددا من الكتاب يجمعون له التراجم وكان يدفع لهم جنيها واحدا عن كل ترجمة ، نصف ما كان يتقاضاه . ولم يلبث ان استقال من عمله في مكتب التلغراف ، وخصص جهوده لاعمال الكتابة والنشر وكان يعمل بصدق وحرارة .

وعندما بلغ السادسة والعشرين من عمره توجه الى فلادلفيا ليرأس تحرير مجلة «المرأة والبيت» وبلغ وهو في السادسة والخمسين من عمره أوج مجده حين اغلق مكتبه للمرة الاخيرة وقال : لقد انتهيت .

قيل له ان العمل في الحفر على شواهد القبور خطر عليه فتركه والتحق بفرقة الطيران فحقق من البطولات ما لا يخطر على بال ..

ادي ريكن بيكر

هذه قصة رجل عاش كما يبدو محصنا ضد الموت ، رجل تحدى المهالك وظل يداعب الموت في اخطر المواقف مدة ربع قرن من الزمن .. اشترك في مائتي مسابقة للسيارات يندفع بالسيارة في اقصى سرعتها حتى ليخيل للرائي ان السيارة تطير في الهواء من شدة السرعة ، وفي ايام الحرب العالمية عام ١٩١٨ اسقط ستا وعشرين طائرة المانية كان يهاجمها في الجو تحت وابل من رصاص الرشاشات التي كانت تفتحها عليه طائرات الاعداء فكان الرصاص يمر من بين يديه ومن خلفه على قيد شعرة من جسمه ورغم كل ذلك كان يخرج من المعركة دون ان يحدث له اقل خدش في جسمه .. نعم هذه هي القصة الواقعية للقومندان الطيار رئيس اشهر فرقة طيران في الحرب العالمية الاولى القومندان « ادى ريكن بيكر » :

« اشتغلت عقب الحرب العالمية الاولى مديرا لمكتب الطف رجل عرفته في حياتي كان هذا الرجل هو السير روس سيمث الاسترالي المشهور من رواد الطيران الاول واول طيار طاف حول نصف الكرة الارضية بطائرته » وكان الشبه كبيرا بين الرجلين ادي ريكن بيكر والسير روس فقد كان كلاهما من اشهر رجال الحرب العالمية الاولى الذين اثبتوا بطولات خالدة في الحروب الجوية في الوقت الذي كان فيه الطيران لا يزال بدائيا . كان كلاهما هاديء الطبع رطب الحديث بعيدا جدا في مظهره واخلاقه عما يتصوره الانسان في رجل الحرب الذي اعتاد ان يجلس خلف المدفع الرشاش يرسل من الجو اسباب الفناء على الارض .

كان ادي ريكن بيكر حتى الثانية عشرة من عمره فتى همجيا حاد الطبع لا يعرف النظام يترأس عصابة من ابناء الجيران يقذفون انوار الشوارع بالاحجار ويحدثون المشاكل مع الناس .

وكان الفتى لا يزال سادرا في غيه عندما وقعت الكارثة التي هزت كيانه وحولته في لحظة واحدة من فتى طائش الى رجل مسئول فقد توفى والده واصبح المسئول الوحيد عن الاسرة ــ هكذا عبر هو عن نفسه في هذه الفترة من حياته ــ وفي اليوم الذي دفن اباه قرر ان يحمل العبء بكل عزم وشجاعة فترك المدرسة والتحق بالعمل في احدى معامل الزجاج بمرتب بنسين ونصف بنس في الساعة وعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم وكان يسير سبعة اميال يوميا الى المعمل صباحا ومثلها مساء ليوفر خمس بنسات اجرة الترام .

لقد صمم الفتى ان يسير قدما وان يستهين بكل عقبة تقف امامه وضاق ذرعا بالعمل الرتيب في معمل الزجاج فتركه محتقرا له وتاقت نفسه الى عمل مبدع خلاق فاختار ان يكون فنانا يسرح باحلامه وخيالاته في الواح فنية يضفي عليها الخطوط والالوان فبدأ يدرس الرسم في مدرسة ليلية وتحصل على وظيفة للنحت على الرخام في محل يصنع شواهد القبور ، ولا يزال الشاهد الذي نحته بيده لقبر والده باقيا حتى الآن على القبر تذكارا لهذه الفترة من حياته ، غير انه قيل له ان العمل في نحت الرخام مضر بالصحة . وقال بيكر : لا اريد ان اموت شابا ! فتركت عمل النحت لأفتش عن عمل اسلم ..

وكان عمره اربعة عشر عاما عندما وقف على الرصيف في صباح مشرق كان له اثر حسن في مستقبل حياته وركب اولى سيارة رآها في حياته ذلك الاختراع السحري الذي بهره وهو يراه لاول مرة يسير في شوارع كولومبس فيها دوي يرسل من ماتوره العجيب النغمات العجيبة وقد دارت مع دورة عجلاته عجلات القدر بالنسبة لحياة بيكر فتغير مجرى حياته منذ ذلك الصباح تغيرا تاما ، وقبل ان يتم الخامسة عشر من عمره تحصل على عمل في مرأب « قراش » وتعلم القيادة عندما كان يطلب اليه تقديم السيارات وتأخيرها حسب طلب العمل .

واستهواه العمل في المرأب فلم يلبث ان بنى في فناء داره محلا خاصا وجمع فيه العدد والمعدات اللازمة وشرع يحاول وضع تصميم لسيارة خاصه به .

وما ان سمع ان مصنعا للسيارات افتتح في كولومبس حتى هرع اليه يلتمس عملا وبعد ان تردد عليه ثماني عشرة مرة تمشيا مع روتين : « راجعنا في الاسبوع الآتي » ضاق ذرعا وذهب في هياج رأسا الى صاحب العمل الذي ادهشه دخول الفتى عليه في هذه الصورة وقال الفتى : اسمع يا سيدي جئتك بنبأ قد لا تدري عنه شيئا ، ان ارض المصنع في غاية القذارة اني مستعد ان اعمل من الغد في تنظيفه وشحذ العدد والقيام بمهمة المراسلات ، وسأله المدير عن الراتب الذي يطلبه لمثل هذا العمل فاجاب بان الراتب لا يهم كثيرا .. فكل الذي كان يسعى اليه الفتى فرصة البدء في العمل وقد حصل عليها .

واشترك في قسم الميكانيكا في احدى مدارس المراسلات وبذلك اعد نفسه لكل الفرص التي اتيحت له فيما بعد ، ومنذ ذلك التاريخ اطرد تقدمه السريع : عامل فرئيس للعمال ، فمساعد مهندس ، فمهندس مسئول ، ثم رئيس للمبيعات ، ثم مدير الفرع .

وغلا الدم في جسمه من جديد وتاقت نفسه للمغامرات والاندفاع بسرعة نحو المجد واستهوته فيما استهواه صيحات الاعجاب واستقبالات الابتهاج الجارف التي كان يرددها الجمهور للفائزين في سباق السيارات فهيأ نفسه لتلك المغامرات المثيرة وقد كان يعلم انه حاد الطبع سريع الانفعال فعالج الحدة واستمر يرسم ابتسامة صناعية على شفتيه حتى تغلب على حدة طبعه واصبحت الابتسامة التي كانت صناعية ابتسامة طبيعية على شفتيه واشتهر بها .. كان يعرف ان تفادى مخاطر سباق السيارات المفاجئة المهلكة يحتاج الى اعصاب من حديد فهجر التدخين والشراب وجعل يدلف الى فراشه في الساعة الثامنة ، وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره اصبح بيكر من اشد المغامرين في سباق السيارات وقد يكون من المفارقات العجيبة ان تعرف انه اشترك في اكبر مسابقات للسيارات وقطع بها الاف الاميال خلال الثلاثين سنة الماضية ، فعل كل ذلك ولم يكن يحمل رخصة قيادة وما زال كذلك حتى هذا التاريخ .

وكان لا يؤمن بشعارات الحظ السعيد وقد اعتاد اصدقاؤه ان يهدوا له هذه الشعارات مثل ارجل الارنب وصور مصغرة من حدوة الحصان وتمثال الافيال التي تعارف الامريكان

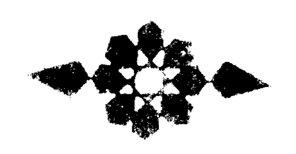
عليها بانها مجلبة للحظ ، وكان يوما مسافرا في احدى القطارات فجمع من تلك الهدايا وفتح نافذة القطار ورمى بها في مفاوز كنساس .

وعندما دخلت امريكا الحرب العالمية الاولى كان ريكن المع رجل في قيادة السيارات في امريكا فعين رئيسا عاما لفرق السيارات في الجيش ولم يلبث ان احتقر هذا العمل فقد اصبح عملا عاديا بالنسبة لطبيعته المغامرة فتركه واقتحم ميدان الطيران .

وفي غضون ثمانية عشر شهرا كان اسمه الاول بين ابطال الجو في الحروب الجوية ونال عددا من اكبر الاوسمة من الدول الثلاث الكبرى .

اذا كنت من هواة قراءة كتب المغامرات فما عليك الا ان تزور احدى المكتبات وتطلب « كتاب القتال في الجو » الذي الفه ادي ريكن بيكر فستجده محشوا بمواقف البطولة والمغامرات والخروج من المآزق الخطيرة في احلك الظروف ، انه يحوي فصولا مثيرة في تاريخ الطيران الحربي .

كان يلتقط العنب من تحت الكروم يعيش عليه ليستطيع ان يوفر اجرة سكنه فاصبح اليوم يكسب في كل ثانية جنيها .



وليم شكسبير

كان اثر عقد زواج شكسبير في نفسه اثر الرصاصة تنطلق من فوهة البندقية فتصيب الهدف !!

لم يكن احد يعيره اي اهتمام في حياته وحتى بعد مضي مدة سنة على وفاته لم يكن قد عرفه العالم تماما ، ومع ذلك كتبت عنه مئات المقالات واثارت تلك المقالات عددا من التعليقات لم تثر مثلها عن حياة اي كاتب من كتاب ذلك العصر افنى حياته بين القرطاس والقلم حتى لقد اصبح آلاف من الناس يقصدون انجلترا ليزوروا البلد الذي ولد فيه هذا الاديب وانا نفسي زرت مرة البلد الذي ولد ونشأ فيه شكسبير عام ١٩٥١ وكان يحلو لي ان اجوب تلك الضواحي مبتدئا من ستارت فورد ومنتهيا بسلاترى واطئا باقدامي المواطن والحقول التي كان يجوبها شكسبير بتلهف عندما كان شابا ريفيا غرا وكان يقوده غرامه وتحثه رجلاه الى موعد الغرام الذي كان يعز عليه فوات فرصة مع حبيبة القلب «انا هاتواي» ..

ولم يكن يدور بخلد وليم شكسبير في ذلك الوقت ان اسمه سوف يدوي في هذا العالم وان ادبه سوف يبني مجد الفكر الادبي ويخلد في صفحات الاداب العالمية بالفخر والاعتزاز .

ومن حسن الحظ ايضا انه لم يكن ليتخيل ان غرامه الاول الملتهب سينتهي الى الحزن والالم ثم الى سنين متواصلة من الحسرة والندم ..

فليس من شك ان خيبة امل شكسبير في زواجه كان الحدث الذي هزه بعنف وحول مجرى حياته الى مجهود ادبي جبار .

نعم انه احب انا هاتواي حبا جنونيا ولكن هذا الحب لم يلبث بعد ان اخذ فورته ان خبا واحس شكسبير بانجذابه نحو فتاة اخرى ..

عندما علمت انا هاتواي بعزمه على تركها والزواج بفتاة اخرى جن جنونها وفي يأس قاتل راحت تقتحم بيوت جيرانها في البلدة لتقص عليهم قصتها وهي تبكي وتشرح في استحياء الاسباب التي توجب على شكسبير ان يتزوجها .

واثارت قصتها شهامة جيرانها واستيقظت في نفوس هؤلاء الناس العزة والكرامة واغضبتهم تلك الحيدة الخلقية من الفتى فاندفعوا في حماس واصرار نحو المدينة والزموا شكسبير ان يصلح غلطه ويتزوج بفتاته انا هاتواي .

كان عروس شكسبير تكبره بثماني سنوات وكان هذا الزواج من بدايته زواجا بائسا وقصة مضحكة وكان شكسبير في مواقفه على المسرح ينصح دائما بعدم الزواج من فتاة اكبر سنا .

ومن المؤكد انه لم يعش مع زوجته سوى فترة قصيرة وامضى سني حياته في لندن بعيدا عنها وكان لا يزور عائلته سوى مرة واحدة في العام ..

ان سترافور ـ مدينة شكسبير ـ في عصرنا هذا مدينة من اجمل مدن انجلترا اكواخ جميلة مسقفة بالقش وحدائق انيقة وشوارع متعرجة في شكل هندسي بديع .

اما في العصر الذي كان يعيش فيها شكسبير فكانت بلدة قذرة يخيم عليها الفقر وتغزوها الامراض ، لم تكن بها مجار وكانت الخنازير تسير في شوارعها تلتهم الفضلات وتلوث الشوارع ـ ووالد شكسبير ـ وكان من الرجال الرسميين ـ جوزي مرة بغرامة لانه كان يحتفظ امام داره بفضلات الاسطبل .

اننا هنا في امريكا نظن ان اسلافنا قد عاشوا اياما شديدة قاسية ولكن الحقيقة ان نصف سكان ستراد فور في عصر شكسبير كانوا يعيشون على الاحسان وكانوا اميين ، ولم يكن في عائلة شكسبير من يقرأ او يكتب لا ابوه ولا امه ولا جده ولا جدته وحتى ولا احفادهم .

ان الرجل الذي اختاره القدر ليبني مجد انجلترا الادبي اضطر الى ترك المدرسة ليعمل وهو في الثالثة عشرة من عمره كان والده فلاحا وصانع قفازات وكان على شكسبير ان يقص شعر الاغنام ويحلب الابقار ويخض الزبد ويساعد في دبغ الجلود وتنعيمها .

لكنه عندما توفى كان يعتبر من اثرياء عصره فقد جمع بعد سنين قليلة من وصوله الى لندن مبلغا كبيرا من عمله كممثل واشترى اسهما في اكثر من مسرح واقتنى العقار واقرض المال بالفوائد الكبيرة وكان يقدر دخله بثلاثمائة جنيه في العام وكانت الثلاثمائة جنيه في ذلك الوقت تساوي اضعاف قيمتها الآن وعندما بلغ شكسبير الخامسة والاربعين من عمره كان يقدر دخله بعشرين الف دولار في العام .

وانه لتأخذك الدهشة عندما تعلم المقدار الذي وصى به شكسبير لزوجته من ثروته الكبيرة هذه ـ انه لم يوص لها حتى ولو بسنت واحد وكل الذي وصى لها به سرير نومه المستعمل ولم تكن هذه التوصية الا حاشية كتبت بين سطور الوصية بعد تمام انجاز كتابتها .

ان كتب شكسبير لم توزع في صورة كتب الا بعد وفاته بسبع سنوات ويمكنك الآن اذا كنت من عشاق ادب شكسبير ان تتحصل على نسخة من الطبعة الاولى من كتب شكسبير في نيويورك بحوالي ربع مليون دولار .

ومن المؤكد ان شكسبير لم يتحصل في حياته على جزء من مثل هذا المبلغ عند عرضه لافضل رواياته مثل هملت او احلام ليالي الصيف .

وقد سألت الدكتور نانتي بام الشخص الذي عني بمخلفات شكسبير الادبية وكتب عنه عدة بحوث ـ سألته عما اذا كان قد ثبت من التحقيقات التاريخية وجود شخصية شكسبير فأجاب : ان شخصية شكسبير شخصية ثابتة في تاريخ انجلترا ثبوت شخصية الرئيس لنكولن في تاريخ امريكا .

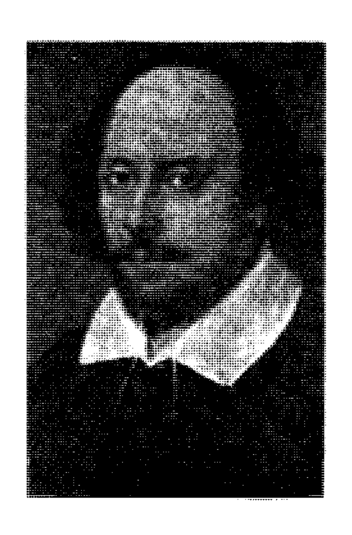
ومع ذلك فان هناك كثيرا من الناس يعتقدون ان شخصية شكسبير شخصية خرافية وان كثيرا من الكتب التي طبعت باسمه كتبها كتاب آخرون ونسبوها اليه .

وعندما زرت بلدة شكسبير كثيرا ما كنت اقف على قبر شكسبير اتأمل الابيات الشعرية المنحوتة على شاهد القبر .

ايها الرفيق الطيب بربك ترفق ، فلا تنبش تراب هذا القبر ، غفر الله لك ، لا تحرك هذه الأحجار ، واللعنة على كل من يحاول تحريك عظامي من موضعها ..

ان قبر شكسبير يقع في بقعة امام المنبر في كنيسة القرية الصغيرة ..

هل كان اختيار هذه البقعة المميزة لقبر هذا الاديب الانكليزي الكبير تكريما واجلالا لمكانته الادبية المرموقة وتقديرا لادبه الحي الذي لا زال بجدته رغم مر القرون ؟! .. كلا ! فان الاديب الذي اختاره القدر ليكون نجما ساطعا في سماء الادب الانكليزي لم يمنح هذا المقام ليدفن فيه لمكانته الادبية الخالدة بل لانه كان ساعد في اقراض المال لمشروعات بلده ، ولولا تلك اللمحة في حياته لكان قبر هذا الاديب الكبير ضائعا اليوم بين القبور الكثيرة المجهولة ؟!



بيربونت مورجن

لقد لاحقوه بالبنادق والقنابل فلم يفلحوا ومضى هو قدما ونجح

ترى من يستحق ان يوصف بانه اقوى رجل من رجالات عصره ؟

ان البت في هذا الحكم يتفاوت بالطبع بتفاوت الافكار والميول غير ان الحقيقة التي لا جدال فيها ان اقوى رجل في دنيا المال هو بيربونت مورجن ! .. دكتاتور (ول ستريت) اعظم شارع في العالم لاسواق الاسهم والسندات .

وفي غير دائرة عمله فان هذا الرجل يكاد يكون غير معروف تقريبا وليس من المبالغة ان يقال عنه انه رجل الغموض . كان يجفل من الشهرة ، اما كرهه لنشر صوره فكان كرها يبلغ درجة الاشمئزاز ، وكان عندما يغضب يصل في تصرفاته الى أقصى حدود البلادة . كان في حديثه جريئا وصريحا حتى قيل عنه انه الامريكاني الوحيد الذي لا يقيم للدبلوماسية وزنا . كان طوله ستة أقدام ويزن مائتي رطل ، ويتحلى بشجاعة عديمة النظير ، لا يعرف الخوف تقريبا . ومن امثلة شجاعته انه هجم عليه مرة مجنون في غرفة مكتبه يحمل بندقية صوبها عليه ووضع يده على الزناد ، وكان من الممكن ان ينسل مورجن من باب الخلفي بالقرب من مجلسه ، ولكنه لم يفعل بل تقدم بكل جرأة نحو المجنون فاطلق الرصاص عليه في الحال فاصيب مورجن ولكنه رغم اصابته تقدم نحو الرجل وانتزع البندقية من يده ثم همد ووقع على الارض فاقد الوعي وحمل الى المستشفى حالا ولم يكن بينه وبين الموت المحقق الا تخلف الرصاصة عدة سنتيمترات من المقتل .

وشددت الحراسة بعد هذا على مكتب المستر مورجن فاصبح من المستحيل ان يقترب احد من مكتب ملك الذهب العنيد في «ول ستريت» تلك القلعة المحصنة التي كانوا يسمونها (الحصن) .

ويحرص الحراس بتوجيه نظر السواح والزائرين لهذا الحصن في الوقت الحاضر الى الشقوق والتصدع الباقي حتى الآن اثر ذلك الحادث المروع الذي وَقع عام ١٩١٦ والذي اودى بحياة اربعين شخصا واصاب باضرار جسيمة مائة آخرين واتلف ما يساوي اربعمائة الف جنيه استرليني .

وقع ذلك الحادث المشئوم بالضبط بعد دقيقة واحدة من بعد الظهر حين كان مئات من الموظفين والعمال ينصرفون من اعمالهم من المكاتب العديدة الواقعة حول بناية مكتب ملك الذهب وهم في غاية المرح والسعادة ولم تلفت نظر احدهم تلك العربة القديمة المشدودة على حصان عجوز هزيل تقف امام بناية مورجن . وفجأة لمع شعاع كاد يعمي الابصار ثم اعقبه انفجار عظيم حطم وألحق اضرارا بجميع العمارات الضخمة في تلك العربة المشدودة على ذلك الحصان العجوز الهزيل فمسحت ما صادفها في ذلك الشارع وألقت الرعب والفزع في نفوس

الحشود المزدحمة من المارة وتصدعت الاف النوافذ وانتثرت قطع صغيرة في الفضاء ودوى صوت ألواح الزجاج وهي تنهار على الرصيف ، واشتعلت النيران في العمارات الضخمة ذات الاثنى عشر طابقا ، وتناثرت من النوافذ الارجل والايدي وحتى الرؤوس وارتمت على بعد ثلاثين قدما من الارصفة وكان المصابون من الناس ممن فقد يدا او رجلا يترنحون والدم يجري من جروحهم يصرخون من الفزع ويسيرون خطوات ليرتموا بعدها يلفظون أنفاسهم الاخيرة . وازداد الهلع والفزع حينما تجمعت بضجيجها وولولتها سيارات الاطفاء وسيارات الاسعاف وتضاعف تخبط الناس واندفاعهم .

وبعد ان استقر الحال وهدأت الفوضى كان كل ما استطاع المحققون ان يتحصلوا عليه من بقايا الحصان والعربة التي كانت تحمل تلك القنبلة هو قطعة من عجلة العربة وحدوتين من حدوات الحصان وبعض المسامير والصواميل ، غير ان الشخص الذي كان مقصودا في هذا الهجوم لم يكن موجودا هناك في ذلك الوقت ، بل كان مسافرا الى أوروبا ، وقد صمم بعد ان علم بالامر ان يكتشف أولئك الجناة الانذال مهما كلفه الامر ومهما بذل من مال فخصص جائزة مقدارها عشرة الاف من الجنيهات لمن يدل على الفاعلين واستعمل البوليس والفتوات والخدمات السرية والبوليس المدني في أعظم حملة عرفت في التاريخ في البحث والتنقيب في العالم ، ووجهت حملات البحث في جميع انحاء الكرة الارضية وروقبت جميع السفن الداخلة والخارجة في جميع الموانيء ، وبثت العيون والجواسيس في جميع المدن الكبيرة للبحث والتحري ، وصرفت ميزانية دولة في هذا السبيل ، غير ان كل هذه المصاريف وهذه الجهود باءت بالفشل ولم تثمر سوى الخيبة ، ومضى ثلاثون عاما وما زال السر الغامض غامضا حتى الآن .

واتخذت بعد ذلك اجراءات مشددة لحراسة مكاتب مورجن فخصص بوليسا مسلحا يقف ساهرا طوال الليل امام المكاتب وقويت سقوف المبنى بالحديد الصلب لتمنع البناية من الانهيار فيما لو حاول احد القاء قنبلة عليها من احدى ناطحات السحاب المقامة حواليها ، وفي داخل البناية القوية المتواضعة يمتد في احدى الغرف السرية صفان من المكاتب احدهما خلف الآخر وكأنها مقاعد تلاميذ في احدى غرف صفوف المدارس ويعمل على المكاتب ثمانية عشر رجلا من شركاء مورجن ومن خلف هذه المكاتب جلس مورجن رئيس المكتب تماما كما يجلس استاذ الصف اثناء الامتحان وهو يراقب التلاميذ .

وليس هناك مصرف اهلي آخر في تاريخ العالم خدم المشروعات الوطنية وشارك في انعاشها مثل مصرف مورجن واكتسب الثقة والاعتبار ، كما انقذ مصرف ابناء (روث) في اوروبا من حملات نابليون ، فان مصرف مورجن صنع ـ دون ان يستطيع غيره من المصارف الخاصة ـ انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ففي عام ١٩١٥ هيأ هذا المصرف اكبر مقدار من العملة الصعبة كان الحلفاء يحلمون بها ، فقد قطعت السفن البحار تحمل مائة مليون جنيه لتعزيز القوى الحربية واصبح مصرف مورجن وكيلا للمشتريات في الولايات المتحدة لجميع جيوش الحلفاء فكان يؤمن لهم السلاح واللوازم بالمليون تلو المليون وفي احد الشهور

بعثوا من المال بما زاد مجموعه على ما كان متداولا في الاحوال العادية في عموم العالم في ذلك الشهر .

وقد قضى مورجن شطرا من حياته في موطنه لندن وقضى مثله في نيويورك .

وفي حياة والده كان رئيسا للفرع الانكليزي لشركة مورجن وعندما عاد الى « ول استريت » ادخل عادة شرب الشاي بعد العصر ـ العادة الانكليزية المعروفة ـ وقبل وفاته في عام ١٩٤٣ بنى قصرا في ميدان كروس وانر وجهزه بأكمل الاثاث والخدم ليبقى على استعداد دائم لاستقباله حتى ولو بعد غيبة شهور وليجد عشاءه وفراشه معدين كما لو كان يعيش في القصر باستمرار .

كان مورجن عضوا في اسقفية الكنيسة الامريكية ومع ذلك كان يراسل باستمرار بابا روما وعندما زار الفاتيكان جلس مع البابا يتباحثان عدة ساعات .. أتدري في ماذا كان يدور حديثهما ؟! لقد كانا يتباحثان في المخطوطات النادرة ولغات القرون الوسطى في اقليم مصر !

وفي مكتبات المستر مورجن توجد نوادر المخطوطات منها ما هو مخطوط قبل خمسمائة عام قبل ان يكتشف كولومبس امريكا . ويوجد في المكتبة ايضا مؤلفات شكسبير بخط يده ونسخة نادرة من التوراة تقدر قيمتها بعشرة الاف جنيه استرليني .

والمستر مورجن كان معروفا بدراسته الواسعة لادب شكسبير ودراسته للتوراة وكان تستهويه ايضا القصص البوليسية الجيدة فيجلس الساعات لقراءتها كما نفعل انا وانت . وكان كوالده الذي اشتهر بنظرته الدقيقة في تقدير الفنون ومعرفة الاصيل ونقد الزائف منها فصرف الملايين التي لا تحصى على الالواح الفنية والتماثيل والنقوش والخزف والمجوهرات .

وعندما بدا له بيع بعض الالواح الفنية التي جمعها والتي لا تقدر بثمن اسرعت الجرائد الى نشر ذلك الخبر في أولى صفحاتها تلفت نظر الهواة الى تلك الكنوز الثمينة .

وكان من عادته في عيد الكريسماس ان يقيم في مسائه حفلة في غاية الروعة في مكتبته الخاصة يحضرها جميع افراد العائلة صغيرهم وكبيرهم والخواص من الاصدقاء ليستمعوا الى قصة المسيح تقرأ من المخطوط الاصلي الذي كتبه « ديكن » بخط يده .

ورغم ثرائه الفاحش فان كثيرا من تساليه كانت بسيطة جدا ، فمثلا كان يستهويه ان يلبس قبعة وجاكتة قديمة ويسير تحت وابل المطر ويتلقى قطراتها على صفحات وجهه .

كان يحب زوجته الى حد الجنون ، وعندما توفيت عام ١٩٢٥ امر بان تبقى غرفتها الخاصة كما هي دون تغيير . لقد عانت زوجته كثيرا من المرض المسمى بمرض النوم ، ولم تستطع ملايين مورجن ان تنقذ المرأة التي احبها وجن بها .

وكانت زوجته مغرمة بحب الزهور ، فانتسبت الى جمعية هواية البساتين التي تفرض على اعضائها ان ينشئوا بساتينهم بأيديهم وكان مورجن ، وهو احد اغنياء العالم المعدودين يلبس ثياب العمل ويحمل المعزقة ينظف الحشيش ويشذب اشجار العنب في البستان الذي انشأته زوجته بيدها ، وكان في حياتها أعز ما تملك .

☆

جاك لندن

(المتشرد الذي اجتاز الامتحان الثانوي في ثلاثة اشهر وألف واحدا وخمسين كتابا في ثمان عشرة سنة) ، كان يتغفل مأموري قطارات الشحن ويندس بين البضائع ليتنقل من قرية الى قرية ويطوف على الابواب بابا فبابا يلتمس لقمة العيش .

قبض عليه البوليس بتهمة التشرد وحوكم وحكم عليه بالاعمال الشاقة مدة ثلاثين يوما في اصلاحية السجون فكان كل صباح يأخذ معوله ويمضي في كسر الصخور ولم يقدم له طوال هذه المدة طعاما سوى الخبز والماء .

وبعد ست سنوات فقط ـ تصور ست سنوات ! من هذا التاريخ اصبح هذا المتشرد العاطل الذي كان يطرق الابواب التماسا للقمة العيش ، اصبح موضع اهتمام الناس في الساحل الغربي وكانت النخبة من رجالات المجتمع الراقي في كاليفورنيا تتسابق الى التقرب اليه والاحتفاء به ويقابل اينما حل بترحاب وتأهيل من الادباء والنقاد ورؤساء التحرير باعتباره من ألمع رجالات الادب في عصره .

لم يلتحق بالمدارس الثانوية الا بعد التاسعة عشر من عمره وتوفى وهو في الاربعين وخلف ثروة أدبية هائلة .. واحدا وخمسين مؤلفا .

اعرفت من هو ؟

انه الاديب الذائع الصيت « جاك لندن » مؤلف « نداء المتوحشين » .

عندما كتب جاك لندن روايته « نداء المتوحشين » عام ١٩٣٠ اصبح في يوم وليلة من أشهر الكتاب وأصبح رؤساء التحرير يتزاحمون عليه ليفوزوا بسبق الحصول على انتاجه .

ولكن هذا العمل الذي اصاب به مرمى نجاحه الاول لم يعد عليه بالكسب المادي الا قليلا فقد ربح منه الناشرون ومن بعدهم المخرجون في هوليود ملايين الدولارات اما هو فقد باع حقوق النشر بألفي دولار فقط .

« اذا اردت ان تؤلف كتابا فأهم ما تحتاج اليه هو أن تكون لديك صور مختزنة عما تريد ان تكتب عنه » هذه القاعدة التي اتخذها اساسا لكتاباته هي سر نجاح جاك لندن المدهش في جميع مؤلفاته فقد اختزن في نفسه عشرات الآلاف من الصور والظلال المختلفة الاشكال والالوان في المدة القصيرة المضطربة التي عاشها فقد مارس شتى الاعمال وزاول شتى المهن فاشتغل بحارا وزاول القرصنة وعمل في مناجم الذهب واشترك في صيد عجول البحر في اقصى الشمال وجاب اكثر من نصف الكرة الارضية هائما على وجهه متشردا . وكثيرا ما كان يطوي أيامه على الجوع وينام في الحدائق العامة وفي طيات اكوام التبن وصناديق العربات وينام بعض الاحيان على الارض الصلبة تحت السماء فاذا صحا وجد نفسه غارقا في بركة من الماء . وقد اصابه الاضمحلال مرة فراح في نوم عميق وهو مدسوس بين القضبان تحت عربة من

عربات قطار الشحن ، وقبض عليه مئات المرات واودع في سجون امريكا . وفي جولاته المتعددة حول العالم دفع الى السجن في المكسيك ومنشوريا واليابان وكوريا .

اتسم طابع حياته في طفولته بالفقر المدقع والكد والجهد وعاش عيشة انطلاق مع عصابة اختارت منطقة عربدتها على طول ساحل خليج سان فرانسيسكو ، وكان عندما تذكر امامه سيرة المدارس والتعليم يرفع صوته مقهقها ويمعن في الانهماك في لعبة « الهوكي » التي كان يهواها .

وفي جولة من جولاته الطائشة كانت نقطة التحول ، فقد قادته رجلاه الى مكتبة من المكتبات العامة ووقع في يده كتاب « روبنسن كروزو » وافتتن بقراءته الى حد انه لم يشعر بحاجته الى الطعام وقد دخل المكتبة وهو في طريقه لتناول طعام العشاء وعاد في اليوم الثاني الى المكتبة وانهمك في مطالعة الكتب لقد انفتحت امامه آفاقا جديدة وعاش في دنيا مليئة بالعجائب والغرائب كدنيا بغداد في قصص الف ليلة وليلة ومنذ ذلك اليوم وغلته لا ترتوي من مطالعة الكتب فكان يلتهم كل ما يقع تحت يده من الكتب لا يفرق بين الكتب الادبية والعلمية والثقافية وكتب المذاهب وعندما بلغ التاسعة عشر من عمر عزم ان يريح جسده من اللف والدوران وان يستغل قواه العقلية . فقد تعب من التشرد وتعقب البوليس وماموري قطارات السكة الحديدية الذين كانوا يضربونه على رأسه بفوانيسهم الحمر زاجرين مؤنبين .

وفي سن التاسعة عشر دخل احدى مدارس اكلوهاما الثانوية في كاليفورنيا ، وانكب على الدراسة ليلا ونهارا لم يتم غير ساعات قليلة .

وحقق الامر المدهش فقد كرس مجهوده وحشد المعلومات التي كان يدرسها الطلاب في أربع سنوات في ثلاث اشهر ، وفاز في الامتحان !

وانخرط في سلك طلاب كلية كاليفورنيا وبروح الطموح التي ملأت جوانب نفسه في أن يصبح كاتبا كبيرا راح يدرس كتب الأدب لكبار الكتاب ويعيد قراءتها مرات ومرات . ثم بدأ الانتاج بدأ بقوة ووفرة فكان يكتب في اليوم الواحد خمسة آلاف كلمة بمعدل رواية كاملة خلال عشرين يوما .

وبعث مرة ثلاثين رواية لمختلف الصحف في وقت واحد ولكنها مالبثت ان اعيدت اليه جميعها فلم يكن قد نضج بعد .

وبعد لأى نالت روايته « عاصفة على شواطىء اليابان » الجائزة الاولى في سباق أقيم في سان فرانسسكو وكانت الجائزة اثنين وعشرين دولارا فقط وكانت صدمة شديدة فقد عجز عن تسديد اجرة الغرفة التي كان يسكنها !

كان ذلك في عام ١٨٩٦ وفي هذا العام عاشت امريكا في قلق وعاش ابناؤها عيشة ابطال الروايات في القصص الخالية فقد اكتشف الذهب في مقاطعة كلونديك .. وانتشرت

برقيات الاغراء في جميع انحاء القارة فهزت النفوس وجرفتها فترك أصحاب الاعمال اعمالهم وهرب الجنود من الجيش وهجر الزراع مزارعهم واغلق التجار متاجرهم وتحركت مواكبهم نحو مناجم الذهب وكانت جموعهم تسير كالسيل المنهمر يغذون السير يتسابقون على كنوز الذهب تحت أرض الجنوب !

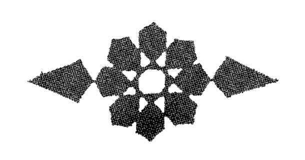
وكان جاك لندن ضمن هذه الجموع وعاش أشد ايام محنته يمني نفسه بسبائك الذهب في أرض الذهب في كلونديك . وتحمل في هذه الايام شدائد واخطارا لا تخطر على بال فقد كان الغلاء شديدا والبرد قارسا والدرهم عزيز وكان ينام على الارض في جو درجة حرارته ٦٤ تحت الصفر ثم ماذا ؟ لقد عاد من كلونديك خائبا لا يملك في جيبه درهما واحدا .

واشتغل بعد ذلك في اي عمل صادفه مهما كان نوع العمل ، اشتغل في غسل الاطباق ومسح البلاط والاحواض والمعامل .. ومالبث ان ضاق ذرعا بالعمل فصمم ذات يوم ان يترك العمل الجسماني الى غير رجعة وان يخصص كل وقته للادب ولم يكن في جيبه في ذاك الوقت سوى دولارين .

كان ذلك في عام ١٨٩٨ وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ كان قد نشر ست روايات ومائة وخمسا وعشرين قصة قصيرة واصبح اشهر عالم في الادب تتحدث عنه امريكا كلها .

وفي عام ١٩١٩ توفى جاك لندن بعد ثمانية عشر سنة من اشتغاله بالتأليف وكان يؤلف في المتوسط ثلاث روايات في السنة الى جانب عدد كبير من القصص القصيرة وكان وارده الشهري ضعف وارد رئيس الولايات المتحدة .

ولا تزال كتبه مرغوبة في أوربا وتعد من أكثر الكتب انتشارا في العالم من كتب أي أديب امريكي آخر .. روايته « نداء المتوحشين » التي لم يكسب منها سوى الفي دولار ترجمت الى عشرات اللغات وبيع منها اكثر من مليون ونصف مليون نسخة وهي اعظم رواية امريكية قرأت في انحاء العالم .



اندرو كارنيجي

« الرجل الذي صنع عددا من اصحاب الملايين لم يستطع احد من الرجال ان يصنع مثلهم » ..

عندما جاء المخاض والدة اندرو كارنيجي لم يستطع ابوه او حتى احد من اقاربه ان يحضر لها دكتورا او ممرضة لاستقبال الطفل القادم فقد كانوا من الفقر بحيث لا يستطيعون دفع اجرة الطبيب او الممرضة .

وعندما بدأ حياته العملية بدأها باجر يومي قدره سنتان ومع ذلك فقد جمع ثروة قدرت بأربعمائة مليون دولار .

وقد زرت مرة المسكن الذي ولد فيه اندرو كارنيجي في مدينة دنفر ملين باسكوتلاندا فوجدته يحتوي على غرفتين فقط احداهما سفلية كان يستعملها ابوه لعمله كحائك واخرى علوية صغيرة مظلمة كانت العائلة تستعملها للطبخ والاكل والنوم .

وعندما هاجر والده الى امريكا اتخذ له عربة يدوية وبدأ عمله كبائع متجول يسير بعربته من باب لباب يعرض بضاعته القليلة من الالبسة والقمصان وعملت امه كغسالة ، وفي خرز الاحذية في مصنع لصناعة الاحذية .

ولم يكن اندرو كارنيجي يملك سوى قميص واحد كانت امه تغسله وتكويه له كل ليلة عندما يأوي الى فراشه وكانت تعمل بمعدل ست عشرة ساعة في اليوم .

كان اندرو كارنيجي يحب امه حبا جنونيا حتى انه عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره اخذ على نفسه عهدا ان لا يتزوج مادامت امه على قيد الحياة خشية ان تعكر الزوجة صفو حياة امه وتكون سببا لبعده عنها وحافظ على عهده ولم يتزوج الا بعد وفاة والدته وبعد ثلاثين عاما من ذلك التاريخ فكان عمره عندما تزوج اثنين وستين عاما .

وعندما كان صغيرا كان يكرر القول على والدته فيقول « سأصبح يوما ما غنيا يا اماه وسيكون لك خدم وحشم ولباس من حرير وعربة فاخرة » .

وكان يقول دائما انه ورث ذكاءه من امه وان محبتها التي يحتفظ بها في طيات قلبه هي نبراسه في كل اعماله .

وكان اثر الصدمة على نفسه شديدا عندما توفت والدته حتى انه لم يستطع ان يلفظ اسمها مدة خمس عشرة سنة فان مجرد ذكر اسمها كان يسبب له حزنا اليما وقد دفع مرة مبلغا كبيرا من المال لفك حجز سيدة لمجرد انها كانت تشبه امه .

كان يعرف اندرو كارنيجي بملك الصلب رغم انه لم يكن يعرف عن صناعة الصلب الشيء الكثير وكان عنده المئات بل الآلاف من خبراء الصلب الذين يخدمون باخلاص فقد كان

يعرف كيف يستخدم الناس ويستغل كفاءاتهم وهذا كان سر نجاحه في جمع الملايين . وقد ظهر استعداده (لبلف) الناس واستخدامهم منذ كان صغيرا فقد تحصل مرة على ارنبة مع صغارها فاسس لها جحرا مناسبا ، وما لبث ان احتار كيف يطعمهم فلمعت في ذهنه فكرة ونفذها . دعا اولاد الحارة واطلعهم على ارنبته واولادها ثم قال « تعرفون يا اولاد » اني عزمت ان اسمي كل ارنبه على شرف اسم الولد الذي يسعى لاحضار الحشيش والبرسيم لها » وهكذا تسابق الاولاد لاحضار الطعام للارانب ونجحت الفكرة .

وبعد سنوات من هذا التاريخ استعمل كارنيجي نفس الطريقة السيكلوجية في حياته العملية وعلى سبيل المثال : كانت سكة حديد بنسيلوانيا مجالا واسعا لتصريف بضاعته من الحديد ، وكان مدير سكة حديد بنسيلوانيا في ذلك التاريخ السيد ادجار توماس ، فلم يتردد كارنيجي وبنى معملا كبيرا للصلب في بنسبورج وسماه على شرف المستر ادجار توماس « معمل الصلب والحديد لخدمة مشروعات المستر ادجار توماس »

وكان طبيعيا ان يسر السيد ادجار بذلك وان لا يحتاج الى دعاية اكثر ليأمر بشراء كل ما تتطلبه سكة حديد بنسيلوانيا من الحديد والصلب من المعمل الذي يحمل اسمه .

اول عمل اشتغل فيه كارنيجي كان مراسلا في احدى ادارات التلغراف باجرة يومية قدرها خمسون سنتا وكانت تلك اجرة مغرية بالنسبة لشخص مثله فقد كان غريبا في البلدة . وخوفا من ان يفقد مركزه لعدم معرفته مواضع البلدة . كان يجوب البلدة ويحفظ عناوين البيوت التجارية والمراكز الصناعية وكل ما يمت الى عمله بصلة وبعد ان استقر في العمل طمح ان يكون مأمورا تلغرافيا فبدأ يأخذ دروسا ليلية في التلغراف ويبكر صباحا الى المكتب ينتهز فرصة عدم حضور المأمور ويتمرن عمليا على آلة التلغراف .

وفي صباح احد الايام حيث بكر الى المركز للتمرين ، كانت اسلاك البرق تهتز تحمل اخبارا هامة وكان المأمور في فلادلفيا يطلب بالحاح مأمور بتسبورج ولم يكن في ذلك الوقت اي مأمور في المركز فلم يكن من كارنيجي الا ان اخذ موضعه في مركز المأمور واستقبل الرسالة وسلمها في الحال وكان هذا الحادث كافيا لترقيته وتعيينه مأمورا لاسلكيا بمرتب مضاعف !

واسست سكة حديد بنسيلوانيا مركزا تلغرافيا خاصا بها ولفت نظرها نشاط كارنيجي وسهره الدائم فعينته مأمورا لمركزها الخاص ثم سكرتيرا خاصا بقسم الاشراف .

وفجأة حدث في احد الايام ما غير مجرى حياته وقاده الى طريق الثروة والغنى ، فقد جلس الى جانبه في احدى عربات القطار احد المخترعين واطلعه على نموذج جديد لعربات النوم من اختراع ذلك المخترع .

وكانت عربات النوم في تلك الايام مصممة على طريقة بدائية فكانت اسرة النوم مثبتة بمسامير على جوانب عربات الشحن وكان هذا الاختراع الجديد يشبه كثيرا عربات البولمان في

عصرنا الحاضر . وابصر كارنيجي بفطرته الاسكوتلاندية المدى البعيد الذي يحققه هذا الاختراع فقد قدر ان هذا الاختراع سيكون له مجال واسع في مستقبل السكك الحديدية التي سيعم انتشارها وتصبح وسيلة هامة للنقل في امريكا فلم يتردد في ان يقترض مبلغا كبيرا من البنك واشترى اسهما لصالح الاختراع .. ونجحت هذه الشركة نجاحا كبيرا وعندما بلغ كارنيجي الخامسة والعشرين من عمره كان ربحه العادي من اسهم هذه الشركة خمسة آلاف دولار سنويا

واحترق مرة احد جسور السكك الحديدية المقامة من الخشب وتعطلت الحركة اياما ، وكان كارنيجي في ذلك الوقت في قسم الاشراف في سكة حديد بنسيلوانيا فتنبأ ان الجسور الخشبية سيحكم عليها بالزوال الى الابد بعد هذا الحادث وتحقق لديه ان المستقبل سيكون للجسور الحديدية فاقترض مبلغا من البنك واسس شركة لبناء الجسور الحديدية وكان الاقبال على هذه الشركة اقبالا كبيرا لم يكن يحلم به .

لقد اصبح ابن الحائك هذا لا يلمس شيئا الا ويتحول الى ذهب ! وارتفع صيته واتسعت شهرته وعرف بالظرف واللطف . كان الحظ معه دائما الحظ بكل ما فيه من الغرائب والعجائب . اشترك مرة هو وبعض اصدقائه في شراء مزرعة وسط حقول الزيت في بنسيلوانيا باربعين الف دولار ولم تمض سنة حتى كان ربحهم منها مليونا من الدولارات .

وفي الوقت الذي بلغ فيه هذا الاسكتلندي (الملحاح) السابعة والعشرين من عمره كان دخله الف دولار في الاسبوع الواحد ولم يكن دخله قبل خمس عشرة سنة سوى سنتين في اليوم !

في عام ١٨٩٢ كان الرئيس لينكن يحكم في البيت الابيض وكانت الحرب الاهلية في اقصى حدتها وارتفعت الاسعار ووقعت اعظم الاحداث وبدأت الحدود تتقلص الى الداخل وهاج الناس مندفعين الى اقصى الغرب واخذت اجراءات مد السكك الحديدية تتم بسرعة واجهاد وخططت المدن الجديدة ووقف الامريكان يتطاحنون على عتبة عصر جديد .

وفي غمار هذا التطاحن والاندفاع المدمر كانت معامل الصلب والحديد التابعة لكارنيجي ترسل دخانها في عمل مستمر ليل نهار وارتفع الانتاج وظل يستمر في الارتفاع فجمع كارنيجي ثروة لم يحلم بها شخص مفرد في تاريخ البشرية .

كل هذا ولم يكن كارنيجي يجهد نفسه بالعمل وكان يمضي نصف وقته في التسلية واللهو وكان يقول انه قد جمع حوله من المساعدين من كانوا يعرفون طبيعة العمل اكثر مما يعرف وكان يقف دائما وراءهم يحثهم ليجمعوا له الملايين .

لقد كان اسكوتلانديا ولم يكن في شحه اسكوتلانديا صميما فكان يسمح لشركائه في العمل ان يقاسموه ارباحه فساعد في تكوين عدد من ارباب الملايين منهم لم يستطع احد من الاحياء ان يصنع مثلهم .

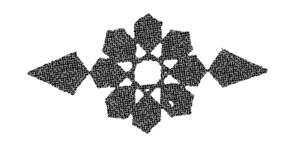
لم يدرس كارنيجي في حياته سوى اربع سنوات ورغم ذلك الف كتبا كثيرة فكتب عن رحلاته والف في التراجم والاقتصاد وكتب مقالات متفرقة فبلغ عدد ما الف ثمانية كتب وتبرع بستين مليونا من الدولارات للمكاتب العامة وثمانية وتسعين مليونا لنشر التعليم ..

كان يحفظ من الشعر مقدارا كبيرا وكان يفضل لبعض الشعراء ويحفظ كل شعرهم وكان يسرد من الذاكرة جميع قصص شكسبير بكل تفاصيلها ورغم انه لم يكن عضوا في كنيسة فقد تبرع لها بمبالغ كبيرة .

لقد تبرع بما يبلغ مجموعه ثلاثمائة وخمسة وستين مليونا من الدولارات ومعنى هذا انه كان يتبرع بمليون دولار في اليوم الواحد لمدة سنة .

وقد قامت ضجة كبيرة في الصحف وتعددت الآراء في تحديد الجهات التي كان كارنيجي يتبرع لها وقدمت الصحف جوائز لمن يدلها على الجهات الحقيقية التي كان كارنيجي يجود عليها بكنوزه الذهبية .

فقد اعلن كارنيجي قبل وفاته انه من العار ان يموت وفي حيازته اية ثروة !



آل وندل

الدار التي كثر الكلام عنها في نيويورك تقع في طرف ميدان الشارع تسعة وثلاثين ، وهذه الدار لمدة عشرين عاما كانت تسمى (الدار الغامضة) وقد نسجت حول ما يجري في داخل الجدار المبني بالطوب حول هذه العمارة قصص بوليسية ومقالات ومسرحيات وفصول سينمائية ايضا ، وكان يمر امام بابها المنتصب لعدة سنوات خمسون الف شخص يوميا فلم يلحظ واحد منهم ولو عن طريق المصادفة اي علامة للحياة خلف شبابيكها المغلقة ، ولو قدر لك ان تركب خط البلدة المار بالميدان الخامس لكان من الممكن ان تلحظ ان دار (آل وندل) الدار الوحيدة في العالم التي بها فناء قيمته مائتا الف جنيه خصص ليكون ملعبا للكلاب من نوع « بودل »

كان آل وندل من اغنى الاسر في نيويورك وكانت تقدر قيمة املاكهم بعشرين مليونا من الجنيهات ومع ذلك فانهم كانوا يعيشون ملتصقين بالماضي اشد الالتصاق وتتكون عائلة وندل من اخ عازب واخوات عوانس يعشن في دار بنيت في العصر الذي كان فيه ابراهام لينكن لا يزال محاميا قرويا ناشئا غير معروف ، في ولاية الينويس . وقد مررت بهذه الدار عندما هدمت اخيرا ورأيت العمال يحملون انقاض حمامات الزنك والمغاطس المنحوتة من الرخام التي كانت تستعمل في عصر العبيد ، وكان آل وندل يستخدمون الغاز للاضاءة لأنهم كانوا يعتبرون انه اسلم للنظر من ضوء الكهرباء ولم يستعملوا اللاسلكي ولا المخترعات الكهربائية ولا المصاعد ولا السيارات ، والآلة الوحيدة من المخترعات الحديثة التي استعملت في هذه الدار هي التلفون ولم تركب في الدار الا قبل يومين من وفاة آخر فرد من عائلة وندل لتسهيل اتصال الممرضة التي كانت ترعى المريض بالدكتور المعالج .

والثمن المقدر لدار آل وندل هو الف وخمسمائة جنيه ورغم ذلك فان محاميهم كانوا يوجهون نظرهم الى ان السكنى في هذه الدار تكلفهم مائتي جنيه في اليوم وذلك هو الواقع فقيمة الارض التي تحيط بالدار ثمانمائة الف جنيه تقريبا واذا اضيفت الفوائد على ذلك المقدار مع اجور التثمين والضرائب فان المبلغ يصل الى اربعمائة جنيه يوميا .

ورغم كل هذا الغنى فان آل وندل كانوا يعيشون في ظلام الماضي ، فجون جونيل وندل توفى عام ١٩١٤ وحتى ذلك التاريخ كانت جميع ملابسه تفصل على نموذج بذلة كان قد اشتراها في نهاية الحرب الاهلية عام ١٨٦٥ وكانت جميع الملابس محفوظة في نفس صندوق الملابس الذي اشتراه قبل اربعين عاما وجميعها مفصلة على نموذج واحد في وقت واحد ، وكان من عادته ان لا يلبس قماشا مصبوغا صبغا صناعيا فاذا رغب في ان يفصل بذلة سوداء كان يوصي على الصوف من مصنع خاص في اسكتلانده الذي كان يجيء له الصوف الاسود المجزوز من الخرفان السود خصيصاً له ، وكان عندما يدعو اصدقاء الى حفلة طعام يكتب رقاعها باللاتينية .

كان يعتقد ان اسباب جميع الامراض انما تدخل الجسم عن طريق بواطن الارجل فلذلك كان يلبس احذية سميكة النعل تعمل خاصة له لتقيه شر جراثيم الارض .

كان جون جونبل وندل يعد في عصره من كبار الملاك ، (وقد نمت ثروته بعناده على البقاء كما هو على اراضيه بينما كانت مدينة نيويورك تكبر وتتسع من حوله .) .

وكان الاخوان وندل شديدي التعصب ضد المشروبات ، وقد رفضوا مرة ان يوقعوا عقد ايجار بمبلغ مائتي الف جنيه حتى اخذوا تعهدا بأن الغرفة التي تستعمل للاسعاف والصيدلية في العمارة لا تحتوي من الكحول اكثر من مقدار محدود بمكيال واحد . ومع ذلك فقد وجد ـ بعد وفاتهم ـ في سراديب الدار خمورا متنوعة قدرت قيمتها بالفين من الجنيهات وقد تبين انها خزنت دون ان تمسها يد مدة طويلة افسدت الكثير منها .

كان لجون جونبل وندل سبع اخوات وقد بذل كل جهده ان يمنعهن جميعا من الزواج فقد كان يخاف اذا تزوجن وانجبن ان تتبدد الثروة التي يملكونها وكان يقول لهن ان كل من جاء يطلب ايديهن انما يطمع في الثروة التي يمتلكونها وكان لا يجامل الخطاب حين يزورون اخواته لعرض الزواج فيطلب اليهم ان لا يعودوا لزيارة الدار مرة أخرى فلم يتزوج من اخواته الا واحدة وهي المسماه مس ربيكا ولم تتح لها فرصة الزواج الا بعد ان بلغت الستين من عمرها اما الاخريات فقد عشن عانسات حتى كبرن وذبلت نضارتهن وادركتهن المنايا .

ان قصة حياتهن المملوءة بالحزن والاسى تشرح لنا بوضوح المزية العظيمة التي تتميز بها ثروة الكفاف . والاخت جورجيانا كانت اقوى شخصية بين اخواتها فجاهدت ضد الحصار الذي فرضته عليها العائلة حتى انهارت اعصابها اخيرا واصيبت بمرض عقلي نقلت على اثره الى مستشفى الامراض العقلية وامضت فيه اثنين وعشرين عاما وعندما توفيت في عام ١٩٣٠ كان اكثر اصدقائها يقدر انها ماتت قبل ذلك بكثير . انها كانت تملك ثروة تقدر بمليون من الجنيهات ولكن هذه الثروة الضخمة لم تستطع ان تقدم لها لحظة من السعادة .

والاخت الاخرى جوزفين عاشت وحيدة في احد البيوت الريفية لآل وندل لا تجد من تركن اليه سوى عدد من الخدم الذين يحوطون بها ، والمنظر الادعى الى العطف والرحمة منظرها وهي تتخيل ان في الدار اطفالا يعيشون حولها فتناجيهم وتداعبهم في خيالها ، وكانت تتخيل في بعض الاحيان ان ضيوفا سيزورونها فتأمر باعداد السفرة في ستة اجزاء من الغرفة وعندما يباشر الخدم تقديم الطعام لكل قسم تتظاهر بانها تباشر بنفسها الضيوف حتى اذا تم اعداد الطعام في قسم تنتقل الى القسم الآخر لتقوم بنفس عملية المباشرة والاعداد لتشمل برعايتها جميع الضيوف بالترتيب .

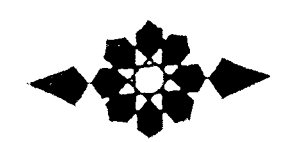
واختطفت المنية الاخوات وندل الواحدة تلو الاخرى وكلما رحلت واحدة منهن اغلقت غرفتها واغلقت الشبابيك فيها حتى لم يبق من الاخوات السبع سوى المس ايلا ولم يبق مفتوحا في الدار سوى غرفة نومها وغرفة طعامها في الطابق السفلي وغرفة كبيرة في الطابق

الاعلى حيث كانت الاخوات يتلقين دراستهن المحلية . وعاشت المس ايلا سنين عديدة في الدار الرهيبة الصمت المحتوية على اربعين غرفة جلهامهجور مع بعض من خدمها المسنين المخلصين وكلبها الفرنسي (توبي) وكان توبي ينام في غرفة سيدته على سرير وثير تماما كالسرير الوثير الذي كانت تنام عليه سيدته ، وكان يأكل طعامه المحتوى على قطع البسكوت المعمول خاصا به وشرائح اللحم في غرفة الطعام على طاولة لامعة من النحاس مغطاة بغطاء من المخمل .

وعندما توفيت المس ايلا اوصت بجميع ثروتها لكنيسة اعمال التبشير مع انها هي لم تكن من رواد الكنيسة الا نادرا . وماتت وهي تعتقد ان ليس لها في هذا العالم قريب من قريب او بعيد يمكن ان يكون له حق الارث في ثروة آل وندل الطائلة ، غير انه في خلال سنة بعد وفاتها ظهر نحو الفين وثلاثمائة شخص يدعون قرابتهم لآل وندل وقد كان نموهم يزداد بسرعة عجيبة في كل انحاء العالم تماما كسرعة نمو الحشائش في الحقول وقد ظهر في (تنسي) وحدها مائتان وتسعون شخصا كل يطالب بحصته في الارث المقدر بسبعة ملايين من الجنيهات .

وتلقت القنصلية الالمانية اربعمائة طلب من اربعمائة شخص من آل وندل في المانيا وقدمت طلبات من تشيكوسلوفاكيا كانت من الكثرة بحيث شغلت وزارة الخارجية الامريكية . كما ادعى شخصان بأنهما ابنان للمستر جون وندل كانا ثمرة لزواجين سريين له وحكم على احدهما بالسجن لتزويره وثيقة زواج وصك وصاية فقد ثبت ان جون وندل لم يكتب وصية ابدا . فقد قال : انا لا اكتب وصية لافتح مجالا لاي محام لاكتساب ثروة من املاكي .

ومن النكات اللطيفة ان ينقلب الوضع الذي أراده المستر جون وندل وعبر عنه في جملة مزاحية فقبل ان يستقر البت في مخلفات آل وندل ليس محاميا واحدا ولكن مائتان وخمسون محاميا جمعوا ثروة كبيرة في قضية ملايين آل وندل التي خلفوها .



الاخوين : مايـو
الدكتورين وليم وجاك

عاصفة هوجاء اكتسحت مدينة باكملها ودمرتها ، ومع ذلك فانها كانت سببا في تجنيب العالم ويلات الامراض العقلية التي انتشرت بصورة مريعة مفزعة .

ربما ان البشرية لم تكن لتحظى باكتشاف عظيم سجل انتصارا كبيرا في تاريخ الصحة والطب في هذا العالم ، لولا تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحت مدينة صغيرة في ولاية مينيسوتا بامريكا قبل نصف قرن تقريبا ــ والمدينة التي اكتسحتها العاصفة هي مدينة روجستر المشهورة اليوم بمدينة الدكتورين مايو اخوان اكبر واعظم جراحين في عصرنا الحاضر والاكتشاف العظيم الذي لا يزال الاخوان مايو يبحثان ويعملان لتضخيم الاستفادة منه هو عقار لشفاء الامراض العقلية . وهذا العقار يحقن في جسم المريض المصاب بضعف العقل او فقدان الوعي ــ فيحدث الامر المدهش تتغير حركة الدورة الدموية ويعود المريض الى الوعي .

وليدرك القارىء ماذا يعني هذا الاكتشاف الخطير لسكان هذا العالم اضع بين يديه هذه الحقائق ليستنتج بنفسه مدى خطر هذا المرض على البشر لو استمر يفتك بهم دون مقاومة تقف في وجهه .

ان عدد المصابين بالامراض العقلية في مستشفيات امريكا ضعف عدد المرضى بالامراض الاخرى مجتمعة ، والمعدل بين التلاميذ ، تلميذ من كل ستة عشر تلميذا لا بد ان يقضي جزءاً من حياته في مستشفى الامراض العقلية ، اما فرص الشفاء فهي واحد لكل عشرين ممن قضوا سبع سنوات من حياتهم في المستشفى ، وفي العشر سنوات الماضية تضاعف عدد المرضى تقريبا ولو استمرت هذه النسبة المفزعة لمدى قرن من الزمن لاصبح نصف السكان من نزلاء المستشفيات العقلية والنصف الآخر من دافعي الضرائب للعناية بهم .

والاخوان مايو اللذان ما زالا يوليان ابحاثهما ويبذلان جهدهما وحياتهما لمكافحة هذا المرض يعتبران اشهر جراحين في عالم اليوم ، يقصدهما طالبو المعرفة من الاطباء من لندن وباريس وبرلين وروما والكبتون وطوكيو ليتربعوا امامهما في احترام ليستفيدوا من علومهما .

ويتجه نحو روجستر في كل عام ستون الف مريض معظمهم يواجهون فرصتهم الاخيرة في الحياة يقصدون مستشفى مايو اخوان .

عندما هاجر الدكتور مايو الاب قبل سبعين سنة الى مدينة روجستر كان سكانها لا يزيدون على عشرين الفا وكان اول من عالج فيها الدكتور مايو بقرة مريضة وحصانا مريضا ، وعندما اشتعلت نار الحرب بين الهنود الحمر والبيض كان الدكتور مايو الاب يتناول بندقيته ويقتحم الميدان يدافع وينتصر وبعد المعركة يأخذ طريقه بين الاشلاء يضجع الموتى ويعالج

الجرحى . وعلى طول المدى اصبح مرضاه الذين كان يزورهم بانتظام ينتشرون في مساحة تقدر بخمسين ميلا بين المروج وكان الكثير منهم يسكنون في اكواخ بنيت من فروع الاشجار وطين المروج ولم يكن هؤلاء المرضى قادرين على دفع اجرة الطبيب ومع ذلك فان الدكتور العجوز الطيب كان في بعض الاحيان يسير الليل الطويل ليخفف آلام هؤلاء المرضى وفي احيان اخرى كان يقتحم زوابع الثلوج والضباب القاتم الذي لا يستطيع المرء من شدة قتامته ان يتبين يديه امامه في وضح النهار .

وقد خلف الدكتور مايو الاب ولدين هما الدكتور وليم والدكتور جارلس المشهوران الآن في جميع انحاء العالم بالاخوين مايو وقد بدءا حياتهما بالعمل في احدى الصيدليات المحلية يتعلمان تركيب الوصفات الطبية وتكوير الحبوب الطبية ثم التحقا بالمدرسة الطبية .

ووقعت الكارثة التي قدر ان يكون لها الاثر الاكبر في عالم الاكتشافات الطبية في هذا العصر ، وهذه الكارثة هي ذلك الاعصار الذي اكتسح المروج وكانه غضبة إلهية ، دمر وهدم وضرب كل شيء في طريقه . لقد هاجم الاعصار مدينة روجستر وضرب كل شيء فيها ، مئات من السكان قد جرحوا وعشرات منهم ماتوا .

واشتغل الدكاترة مايو اخوان والدكتور مايو الاب ، أياما كثيرة بين الاطلال يجبرون الكسور ويضمدون الجروح ويقومون باجراء العمليات الجراحية اللازمة . اثر هذا الجهد الانساني الكبير الذي قام به الدكاترة في نفوس اعضاء جمعية الراهبات « فرانسيس » فعرضت رئيستها عليهم بناء مستشفى شريطة ان يقوموا بالعمل فيه والاشراف عليه فوافقوا وافتتح المستشفى في عام ١٨٨٩ وكان الدكتور الاب قد بلغ حين ذلك السبعين من عمره ولم يسبق للابناء ان ادارا مستشفى او حتى عملا داخل حدوده وقد تحدثا يصفان حالتيهما في ذلك الوقت : اننا كنا اقل نصحا وتجربة وكان وضع عبء العمل وادارة المستشفى على عاتقينا اشبه ما يكون بوضع عبء وقيادة سفينة في عرض البحر على احد البحارة الذي وجد نفسه قد اصبح فجاة ربانا رغم انفه .

اما اليوم فان هذين الدكتورين الناضجين يعدان من اشهر دكاترة العالم الذين قهروا مرض السرطان العتيد ويعتقد كل من الاخوين في الآخر انه هو الاعظم وكلاهما اشهر وانظف دكتورين جراحين عرفهما العالم . انهما يمارسان عملهما بعلم يبلغ درجة الصحة والتوكيد ويقومان بالعمليات بخفة وسرعة ورقة ونعومة ، رقة وسرعة ونعومة ادهشت جراحي العالم وبهرتهم .

يبدآن العمل في المستشفى من الساعة السابعة صباحا ويقومان باجراء العمليات الجراحية مدة اربع ساعات كل يوم ينجزان فيها من خمس عشرة الى ثلاثين عملية في اليوم . ومضيا في ذلك سنوات متواليات والى جانب ذلك فهما لا يزالان يواليان ابحاثهما لاحراز تقدم اكبر ومع كل هذا فانهما يتحدثان دائما عن حاجتهما الى المزيد من العلم .

ان مدينة روجستر اليوم تعيش بكاملها في خدمة مستشفى الأخوين مايو فلم يصرح للترام ان يسير في شوارعها وتسير الأتوبيسات بهدوء وأحاديث البيع والشراء تدور في الاسواق بهمس ورقة .

ويعامل المرضى في هذا المستشفى بالرقة والمساواة التامة فالمعوزون ورؤساء البنوك والفلاحون ونجوم السينما ينتظر كل منهم دوره في غرفة الانتظار فاذا حل دور اي واحد منهم يجد من العناية والاهتمام ما ناله من قبله مهما كانت مكانته وكان غناه ويدفع الاغنياء اجرة العمليات حسب قدرتهم وكذلك الفقراء ولم يحدث ان منع مريض من دخول المستشفى لعدم قدرته على الدفع .

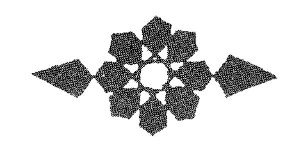
ان الثلث من اعمال الدكتور مايو اخوان اعمال خيرية وهم لم يرفعوا قضية ابدا على مريض تخلف عن الدفع ولم يحدث ان قدم مريض شكوى ضدهم وانهم لم يسمحوا لاحد من مرضاهم ان يستدين او يرهن عقاره ليدفع اجرة معالجته . انهما يقبلان ما يقدمه المريض من النقد الذي يستطيعه عند العلاج مهما كان مقداره ولا يكتبان عليه دينا يسدده في المستقبل لعدم وفاء وما يملكه عند العلاج ولا يشارطان المريض على العملية قبل اجرائها .

وحدث مرة ان رهن مريض عقاره لدفع اجرة عملية انقذت حياته وعندما علما بذلك فماذا كان الاجراء الذي اتخذاه ؟ لقد اعادا الشيك ومعه شيك اخر من عندهما ليسدد المريض الدين الذي تحمله اثناء مرضه .

انهما مثالان رائعان من المواطنين ولدا في مدينة صغيرة وارتفعا بجهدهما وعملهما واخلاصهما الى الاوج ولم يحسبا حسابا للمادة في جميع اعمالهما ، ومع ذلك فقد انصبت عليهما النقود في شكل ينبوع متفجر . انهما لم يسعيا يوما الى الشهرة ولكن سعت نحوهما حثيثا فهما اليوم اشهر جراحين في الولايات المتحدة .

ان كل ما يسعيان اليه في حياتهما ويصرفان نشاطهما فيه هو تخفيف ويلات البشرية .

وان الشعار المكتوب في اللوح الجميل الموضوع في اطار بديع على المكتب في غرفة انتظار المستشفى يوضح اسباب نجاحهما المستمر ، وهذه هي العبارة المخطوطة في ذلك اللوح : «اذا اكتسبت علما وخبرة تساعد بهما الناس وتسد حاجتهم فان اهل الحاجة سيشقون طريقهم اليك ولو كنت تسكن في وسط الصحراء فاحرص على ان تكون اداة نافعة يحتاجها الناس ولا تبخل بفضلك على الناس» .



جاك سيل

(لقد ربح ما يقرب من عشرة جنيهات على كل كلمة في كتاب واحد ألفه ثم ندم على تأليفه)

ذلك الكتاب هو كتاب « الخصوصيات » ، والمؤلف هو جاك سيل . وكتاب الخصوصيات يعتبر الكتاب الاول الذي كتبه جاك سيل ، والكتاب الوحيد لهذا المؤلف ايضا ، وكان المؤلف ضعيف الثقة في رواجه فلم يطبع سوى الفي نسخة منه في الطبعة الاولى ونفذت كلها على غير ما كان ينتظر في ستة اسابيع ولم يلبث ان انتشر في القارة الامريكية انتشار اللهب في الغابة التي لحقتها النار وقد بيعت منه نسخ اكثر مما بيع من كتاب (الارض الطيبة) ولا شك ان اي مؤلف مهما كان متواضعا سيملأ الغرور نفسه عندما تقرر الارقام ان ما بيع من نسخ كتابه اكثر مما بيع من (كتاب الارض الطيبة) ولكن جاك لم يمر بنفسه اي شيء حتى شبح مثل هذا الغرور ، بل ندم كثيرا على تأليف هذا الكتاب ، ندم لان الغايات السامية التي كان يرمي اليها في هذا الكتاب فهمت على عكس ما اراد من قبل كثير من الناس .

ومن جهة اخرى فقد كان فخورا بالنجاح الذي حققه ، وكان يرتبك عندما يقرظ الناس الكتاب في حضرته ويفضل ان لا يذكروا عنه شيئا امامه ، خصوصا اذا كان المقرظون من الفئة التي فهمت مغازى الكتاب فهما سطحيا وبتفكير عامي ، وقد بكت مرة ابنته بكاءا عنيفا لانها احست ان انتشار الكتاب كان فضيحة عائلية .

والمصادفة وحدها هي التي جعلت منه مؤلفا ، اذ الحقيقة انه كان ممثلا مشهورا ، وكان واحدا من ابرع الممثلين للادوار الخلقية دون تصنع او زيف ، والمصادفة ايضا هي التي جعلت منه ممثلا ، فقد كان ميكانيكا يعمل في احد معامل السكة الحديدية في مدينة اربانا في ولاية الينوس ، وكانت اخته الكبرى تهوى المسرح فسافرت الى شيكاغو لدراسة الفن المسرحي في احدى المدارس هناك وعندما جاءت الى بلدتها لقضاء عطلة عيد الميلاد اقامت حفلة مسرحية انتقدت فيها بطريقة هزلية ، العادات والتقاليد السيئة في بلدتها . وبعد انتهاء الحفلة قال لها جاك : اهذا كل ما ذهبت من اجله الى شيكاغو امثل ذلك دون ان ادخل المدرسة !

وتحدته اخته ان يفعل ، فنزل الى المسرح وقدم فصلا مضحكا قلد فيه موزع البرقيات في البلدة . وفي بضع دقائق جعل الجماهير يتدحرجون من كراسيهم من شدة الضحك ، وفي الاسبوع التالي جاءت الى البلدة فرقة تمثيلية لتقديم بعض التمثيليات ، وكان في الفرقة ممثل هزلي يقوم بادوار هزلية بين الفصل والاخر للترويح عن النظارة ..

وحدث ان مرض هذا الممثل . وسمع « جاك » عن ذلك فقدم طلبا للعمل في مكان الممثل الهزلي المريض ..

وشك مدير الفرقة في قدرته فعرض عليه « جاك » الادوار التي يستطيع ان يقوم بها بطريقة فعلية ، فقبل رئيس الفرقة ان يعمل جاك .

وكان هذا الاسبوع نقطة التحول في حياة جاك . الاضواء الكاشفة وبريق الشهرة ومئات المعجبين والهاتفين جذبوا جاك الى المسرح ، فلم يكن من الممكن ان يفكر في العودة الى العمل في معمل الميكانيك مرة اخرى ، فحمل حقيبة ملابسه واندفع الى شيكاغو وتحصل على عمل في احد المسارح ، واستأجر غرفة في سكن جماعي رخيص ، وبدأ يتمرن على اداء الادوار المرحة المضحكة . وكان يعتقد ان الشوارب الطويلة تظهره بمظهر مناسب للادوار التي يقوم بها ، ولم يتيسر له ان يعرف من اين يشتريها فاستعان بكمية من حشو مفرشة ومزجه بشعرات من ذيل الفرس وصنع لنفسه عددا من الشوارب المستعارة ، واستعملها مدة ثمانية اشهر ، الى ان اهتدى الى شوارب صناعية صنعت خصيصا للغرض الذي يريده ، وكان دخله بسيطا ، وكن كل درهم له قيمته الكبيرة عنده .. وليميت شهيته للطعام كان يمتص بعض انواع الحلوى الرخيصة حتى لا يأكل كثيرا فلا يستطيع ان يدفع ثمن ما اكل .

واصيب اخيرا بمرض في معدته ربما كان سببه الحلوى الرخيصة التي كان يمتصها ، وقد صرف كثيرا على العمليات التي اجريت له في المعدة واضطر الى ان يصحب معه طباخا خاصا يهيىء له طعامه اينما ذهب ، لانه لم يكن يستطيع ان يتناول طعاما في اي مطعم بسبب مرض معدته ، وكان يحمل معه صندوقا معمولا على هيئة خزانة يحمل فيه آلافا من المعدات التي كان يستعملها في تمثيله لادواره الهزلية . وقد كانت لديه مجموعة من اكبر المجموعات في العالم للمعدات الهزلية ، ورغم ذلك فانه لم يكن يستعمل الهزل الا على خشبة المسرح . وكان يبدو رزينا جادا في حياته العادية . وقد اشترك في ست روايات كوميدية موسيقية في برودواي . ولكنه مع ذلك كان يجهل الرقص والغناء جهلا تاما . وكان يعتبر اشهر عازف على الناي في الولايات المتحدة . ولكنه لم يستعمل الناي في الروايات التي مثل فيها ، وربح عشرة الاف جنيه في تمثيلياته عن باريس .. ومع ذلك فانه لم يكن قد رأى باريس في حياته ابدا ، وقد كان يلتزم لبس حذائه الخاص على المسرح مدة ستة عشر عاما . وقد كان هذا الحذاء اول حذاء لبسه عندما مثل دور الرجل العجوز ، وكان يعتقد ان هذا الحذاء يجلب له الحظ فكان يصر على ترقيعه كلما بلى ، ولا يستبدل غيره به .

وعندما كان يقوم بتمثيل رواياته في فلادلفيا وقع في غرام فتاة من مونتانا سحرته برقتها ولطفها وجمال خلقتها .

و « جاك » الذي لم يكن يبالي بالاف الاعين وهي ترنو اليه حين يقوم باداء ادواره على المسرح ـ تلعثم واصابته الرجفة عندما ذهب لفتاته ليخطبها فاستاذنها وانصرف الى غرفته في الفندق ، وهناك رفع سماعة هاتف وبثها غرامه وعرض عليها خطبته ، فقبلت وتزوجها وانجبا اربعة اطفال .

وبعد ان ربح كثيرا من كتابه « الخصوصيات » الف كتابا آخر اسماه « دارسو الحبوب يحطمون الصور على شاشة السينما » ولكن هذا الكتاب لم يجمع ما صرف على طبعه من المال .

هتي جرين

المرأة التي كانت تبيع جريدة الصباح مرة اخرى بعد قراءتها وتمضي الساعات في تبويب اكياس الخيش لتزيد في ثروتها المقدرة على الاقل ثلاثة عشر مليونا من الريالات

هتي جرين كانت في ايامها تعتبر اغنى امرأة في امريكا وعندما توفيت قدرت ثروتها في الاقل بمبلغ ١٣,٠٠٠,٠٠٠ بثلاثة عشر مليونا من الجنيهات واوصلها بعضهم الى عشرين مليونا ، ومع ذلك فان اية خادمة بسيطة كانت تلبس فستانا احسن مما كانت تلبسه هتي جرين وتأكل احسن مما كانت تأكل وتنام على فرش اوثر من فرشها . كان مدخولها جنيها واحدا في الدقيقة او ستين جنيها في الساعة ومن شدة حبها للمال ـ كانت تشتري جريدة الصباح لتقرأها ثم تبيعها مرة اخرى وفي ايام الشتاء كانت غالبا تلف نفسها بورق الجرائد القديمة لتقيها شر البرد ، كانت تملك عددا من الاسهم في شركات السكك الحديدية وكانت متعهدة لبيع الاقفال والبراميل واشياء اخرى لهذه الشركات ولكنها عندما كانت تسافر فيها لم تسمح لنفسها بالركوب في العربات المرفهة والمزودة بالاسرة للراحة والنوم فكانت تجلس طيلة الليل على مقعد الركاب العادي وتنام عليه .

واستضافت مرة اصدقاءها لحفلة عشاء وعينت لهم احد الفنادق الفخمة في بوسطن وقد استغرب كل المدعوين وانتظروا عشاء فخما ولبست السيدات منهن ثياب السهرة والرجال الثياب الخاصة بحفلات العشاء ، والذي حصل بعد ان تم عقد المدعوين ، ان قامت المضيفة وسارت بضيوفها خارج الفندق ومشت بهم مسافة طويلة الى مطعم متواضع وقدمت لهم وجبة لا تزيد قيمتها عن شلن واحد ، وعندما كانت تعيش في بوسطن كانت تأكل في مطعم متواضع لا تزيد قيمة الصحن الذي كانت تأكله من الخضراوات ، عن بنس ونصف بنس ، والفطيرة التي معه عن بن « جزء صغير من البنس » وكان دخلها في ذلك الوقت اكثر من اربعة بنسات في الثانية ويعني ذلك انها لتعادل بين مصرفها ودخلها عليها ان تأكل اربع فطائر في الثانية !

وعندما بلغت الثانية والسبعين من عمرها سألها مخبر صحفي عن سر احتفاظها بنشاطها وصحتها فاجابت بان وجبة طعامها تتكون من قطعة لحم من الورك وبعض البطاطس المحمرة وقدحا من الشاي ، وشنا من الحليب في صباح كل يوم ثم بعد ذلك تمضغ بصلا طوال اليوم لتقتل به الجراثيم الموجودة في قطعة اللحم وكمية الحليب ، ولم تذكر لسوء الحظ ما الذي كانت تمضغه لتقتل به الجراثيم الموجودة في البصل ! وفي احد ايام الصيف المحرق عام ١٨٩٣ زحفت « هتي جرين » الى داخل مستودع في الطابق الثاني من الدار التي ورثتها عن ابيها حين كانت شمس يوليو المحرقة تكاد تصهر سقف الطابق المصنوع من الحديد ، وتشتغل هتي جرين في ذلك الجو المحرق عدة ساعات ، وماذا كانت تشتغل ؟! كانت تبوب اكياس الخيش الابيض منه والملون الا ان قيمة الابيض في الاقة الواحدة تزيد نصف بني عن قيمة الملون ! وكانت

تقضي اكثر اوقاتها في مسالك (وول استريت) تتبع سير فوائدها وارباحها ، وكان من الخطورة بمكان ــ وهي تعرف ذلك ــ انها لو استأجرت شقة في نيويورك او حتى امتلكت قطعة من الاثاث في الولاية فان جامعي الضرائب سيلاحقونها ليأخذوا ضريبة تقدر بستة الاف جنيه استرليني سنويا ، فهي لتحتال عليهم وتراوغهم تنتقل على الدوام من غرفة رخيصة للايجار الى غرفة اخرى رخيصة فكان حتى اقرب اصدقائها لا يعرفون مقرا لها اكثر الاوقات ، وكانت تسكن تحت اسماء مستعارة وتلبس ثيابا مهلهلة وتحمل حقيبة قذرة حتى ان اصحاب الغرفة المستأجرة يشكون في قدرتها على الدفع فيطلبون الاجر مقدما .

وعندما تقدمت في السن حصلت حادثة مدهشة ! فقد اقنعها صديق لتصرف ستين جنيها للقيام بعملية تجميل وقد تعهد بها الطبيب ان كل دورة في العلاج ستكسبها الرجوع الى الشباب لمدة سنة ، وكانت تصر على عدم امضاء شيكات مسبقا فقد كانت تخشى ان يقلد امضاءها محتال ، فشيكاتها لا تمضى الا حين التسلم ، وكانت لا تمزق الظروف التي تصلها بالبريد وكانت تحرر رسائلها على الوجه الثاني من تلك الظروف وكان ذلك يوفر لها اعادة كتابة اسمها والامضاء عليها .

وقد قال لي صديق اشترك في تأليف كتاب اسمه « هتي جرين المرأة التي احبت النقود ! » قال لي ان هتي جرين اعتادت ان تحفظ رصيدا ضخما في البنك الاهلي في نيويورك وهكذا اتخذت من بناية البنك بيتا لها فكانت تحفظ حقائب امتعتها وحقائب ملابسها في بناية البنك وتترك الكراكب في احد مخازنه تحت الارض واحضرت مرة سريرا قديما مملوء بالبق واودعته في الطابق الثاني من بناء البنك وكانت كلما يعوزها السكن التي تريده ترمى امتعتها الى البنك ، ومع كل ذلك فقد كان لها قلب رحيم ومساعدات بشتى الوسائل وعلى سبيل المثال كان احد خدام البنك وهو رجل عجوز قضى عمره في مسح وتنظيف زجاج وابواب البنك واعمال المراسلة كان هذا العجوز قد فصل من عمله ، واسفت هتي جرين وحزنت لحاله وقضت اسبوعا كاملا من وقتها تفتش له عن عمل ولم تتركه حتى اشتغل ! توفيت هتي جرين في سن الواحدة والثمانين بمرض شلل مفاجىء اصابها ، ولم تأذن للممرضات اللاتي قمن بتمريضها في فترة مرضها القصير ان يرتدين ثياب الممرضات وطلبت ان يكن في لباس الخادمات العاملات ، لان المرأة العجوز لم ترد ان تعترف انها استخدمت قسما غير عادي من الناس ودفعت لهم اجرا كبيرا وهي في آخر مرحلة من مراحل حياتها فان ذلك ربما يجعلها تموت غير مطمئنة !

التفاصيل التي لم تستطع الافلام عرضها في حياة فارس البنغال (فرانسيس يـيست برون)

قبل ما يقرب من عشرين عاما كان يجلس امامي في داري شاب نحيل الجسم ، حاد النظرات ، كان يتحدث في سهولة وانطلاق بهرني بسحر حديثه فكنت استمع اليه مبهوتا دون ان اشعر بمرور الساعات ، كان يتحدث عن بلاد الف ليلة وليلة ، عن الشرق .

كان سنه في ذلك الحين تسعة وثلاثين عاما . ومنذ كان في التاسعة عشر تعرض للموت عدة مرات في عدة ميادين . وقد اسر في بغداد والقسطنطينية ، وحارب الترك في صحاري العراق المحرقة ، والالمان في اراضي فلاندر المليئة بالاوحال ، والف كتابا اسماه « السنون المخضبة بالدماء » ومع ذلك فقد وجدته « كلورنس » هادىء الطبع يميل الى التحدث عن الادب والفلسفة ويكره الحديث عن الحرب .

لم تكن حالة « يـيست برون » تساعده على طبع ونشر الاحداث التي مرت عليه اثناء خدمته العسكرية مدة اثنتين وعشرين سنة . وفي شبابه لم يكن يتصور ما خبأه له القدر من الحوادث والمفاجآت . ومع ذلك فقد قابلها كلها بصبر وثبات ورحابة صدر . وقد اكتسب صفة فلسفة التسليم للقدر من بلاد الشرق ، تلك الصفة التي امتاز بها الشرقيون ، عاشر الدراويش واصبح من حواريهم . درس على رجال الدين بحثا عن الاسرار ، لم يعش « يـيست برون » عيشة رتيبة واحدة كما يعيش احدنا ، ولكنه عاش في اشكال متغايرة متعددة ، وعندما كتب اخيرا قصة مغامراته المحمومة التي فصل فيها تلك المغامرات سمى كتابه : « حياة محارب في البنغال » فكانت انجح قصة مثيرة في عام ١٩٣٠ م ، واعظم فيلم انتجته هوليود ، وشغف به الناس في كل مكان ، ولكنه ككل فيلم انتجته هوليود لقصة حياة حقيقية انحرف كثيرا وبعد كل البعد عن الحقائق المثيرة التي عاشها « يـيست برون » .

كان عمر « فرانسيس يـيست برون » تسعة عشر عاما عندما لبس لاول مرة الزي الرسمي لفرقة الفرسان الملكية في البنغال ، بدلة جذابة المنظر ذات لونين : ازرق واصفر وعمامة بنفس اللون ، اعظم فرقة يعتز افرادها ويفاخرون باناقتهم وقوتهم وشدة بأسهم واعظم فرقة تعتز بها ملكة بريطانيا في اقاصي مستعمراتها . ينتقي افرادها انتقاءا ، وهي ألمع واقوى فرقة في الجيش البريطاني تهدد بها حكومة جلالتها كل من يتحرك او يرفع رأسه ، ومع ذلك لم يكن يدفع لهم شيئا يذكر ، عشرة جنيهات في الشهر وهم مكلفون بعلف افراسهم وتجهيز اسلحتهم ، ولم يكن افراد هذه الفرقة يذهبون الى الهند طلبا للمادة ، ولكن للغواية والمغامرة وطلبا للشهرة والمجد ، يذهبون الى الهند مندفعين بالعقائد التي حملت كتشنر وكوردن وسير فرانسيس دران وسير والتر ، الى الوصول الى اقصى حدود الارض .

كان افراد الفرقة يقومون في الساعة الخامسة صباحاً ويقومون بتمريناتهم العسكرية عدة ساعات ، حتى ترتفع الشمس وتحمى بندقياتهم فلا يستطيعون مسكها من شدة حرارتها ، وعندما تكون درجة الحرارة عالية في الظل كانوا يجدون متعتهم في لعبة كرة الخيل . انحلت اجسامهم ضربات الشمس وفتكت فيها حمى الملاريا .

واخبرني « ييست برون » بان اقسى مغامرة يقومون بها في الهند هي صيد الخنازير البرية بالرماح ، وطريقتها ان يجري الصياد في صحراء مليئة باشجار الشوك وراء الخنزير البري في مسالك صخرية حادة وليس لديه من السلاح سوى عصا من نبات « البومبو » مثبت في نهايتها رمح ، وليس في الحيوانات المفترسة اكثر شراسة من الخنزير البري المصاب فهو يزن ثلاثمائة رطل وشعره خشن كالشوك ، وهو مراوغ كالثعلب وشجاع كالاسد ، وسريع في العدو سرعة الفرس الاصيل ، والدخول معه في معركة بعد اصابته معناه الموت المحقق .

وطلبت من « ييست برون » ان يحدثني عن اخطر موقف في حياته : فقال : حدث ذلك في احد الايام عندما خرج لصيد الخنزير البري بالرمح وكان معه رجاله حينما اثاروا خنزيرا بريا كبيرا كان يحتمي بين اشجار الشوك وانزعج الحيوان وجرى بكل قوته في المسالك القوية مكشرا عن انيابه الكبيرة ، فبدت تلمع في وهج الشمس واقتفى اثره « ييست برون » وعندما اقترب من الخنزير وغرز فيه رمحه تعرقلت فرسه فانطرحت على الارض فوق الخنزير وانطرح ييست فوقهما وشكلوا كوما متشابك الارجل يعرقل بعضه بعضا : « ييست » مشتبك في قوائم فرسه التي كان يرفس بها يحاول التخلص ، والخنزير البري وقد آلمه الرمح المغروز في جسمه يحاول التخلص من الرمح والدفاع عن نفسه ، ولهثت الفرس ووقفت على قدميها وتخلص الخنزير من الرمح وقفز « ييست » على قدميه والقى بنفسه على شجرة من الشوك محتميا بها وبقى هناك حتى وصول رجاله فانقذوه . وكان قد فقد اسنانه وانفك عظم ابهامه وتجرح كل جسمه وفي كل موقع منه ومات الخنزير متأثرا بجروحه والوحيد الذي لم يصب بأذى كانت الفرس فوقف يرعى بكل هدوء وعدم اهتمام .

ولعل اغرب ما مر به في مغامراته في الشرق تلك الفترة التي عاشها متنكرا في زي امرأة .

فعندما كان يحارب في العراق وقع اسيرا لدى حكومة الاتراك ، واخذ مع الاسرى الى معسكر استنبول ، واستطاع ان يهرب من معسكر الاسرى ، ولكنه لم يستطع الخروج من المدينة فقد كانت السلطات التركية تبحث عنه بكل اهتمام ، وكان اهتمامهم في البحث عن ضابط بريطاني اعطوا اوصافه ولم يتطرق الى اذهانهم الشك ابدا في المربية الالمانية التي اعتادت ان تقابل اميرا روسيا في احد المقاهي ، وقد كان الامير الروسي مراقبا ايضا ، ولكن عواطف الاتراك الرقيقة لم تشأ ان تعكر صفو الامير وهو يغازل المربية ، وهذا وضع لا علاقة له بالسياسة ، فكان « ييست » عندما يحضر الى المقهى لمقابلة الامير في ثيابه التنكرية لمربية المانية

على رأسه قبعة عريضة وعلى وجهه برقع خفيف وحول كتفيه فرو من جلد الثعلب وفي يديه قفاز ناعم يقف الامير على قدميه وبكل احترام يأخذ يد المربية الالمانية ويضع عليها قبلة حارة .

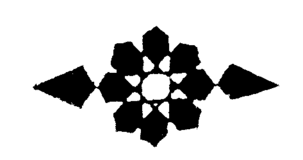
ويعجب هذا المنظر الرومانتيكي ، البوليس السري التركي المراقبون للامير فيضحكون منه ويهزون اكتافهم استلطافا ، وهكذا وبفضل رقة عواطف البوليس التركي اصبح من حق الامير المراقب ان يعيش عيشة عاطفية ، ولم يطق ان يستمر في التنكر في دور « مودموزيل جوزيفين » ، لان ذلك التنكر لم يعطه فرصة لمغادرة المدينة ، فتنكر مرة اخرى في زي ميكانيكي هنغاري عاطل عن العمل ، فربى شارب ولبس بذلة عمالية وقبعة مفلطحة ومنظارا عريض الاطار وقميصا مبقعا وحذاءا من المطاط وظهر كأنه احد ممثلي الكوميديا ، ومع ذلك فان الاتراك لم يشكوا في انه ميكانيكي متعطل عن العمل .

ولم يطل به العهد في هذا التنكر فقد قبض عليه اخيرا واودع المعسكر مرة اخرى وشددت عليه الحراسة .

واستطاع مرة اخرى ان يهرب بعد ان تنكر في زي الاسرى اليونان الذين كان يسمح لهم بالتجول في حديقة المعسكر .

وقد سألته عن ابشع منظر وقع عليه نظره اثناء اشتراكه في الحروب ،

فاجاب بانه عندما كان اسير حرب عند الاتراك اجبر على السير على قدميه مائتي ميل الى معسكر الاسرى ومر في طريقه على بلدة كان اثر الحرب فيها قاسيا حيث اصبحت خالية من السكان تماما . فقد عمل جنود الاتراك على تقتيل وتشريد جميع سكان ارمينيا وقراها ، فكانت تسودها رهبة الموت وسكونه ولم يقع نظره الا على بعض الكلاب يتسكعون في الشوارع والازقة الصامتة المحاطة بالافق الرهيب .. فكان لذلك ابشع اثر في نفسه على قساوة الانسان ضد الانسان .



ولســن

« لقد واتته اعظم فرصة لتغيير مجرى التاريخ وتوطيد دعائم السلام ولكنه فشل لانه لم يستطيع ان يسوس معارضيه »

يحق لنا ان نتساءل اي نوع من الرجال كان الرئيس ولسن فقد وصف بانه من انبغ رجال زمانه ووصف ايضا بانه من افشل الناس ؟!

لقد تخيل السلام يرفرف على العالم بالوسيلة التي اقترحها ـ تكوين عصبة الامم ـ وفي محراب تخيلات تكوين هذه الهيئة كرس على حيويته وانفذ كل قواه .

وماذا حدث بعد كل هذا المجهود ؟ لقد مات ولسن محطما على محراب مبادىء مثله العليا .

عندما ابحر الرئيس ولسن عام ١٩١٩ م الى اوروبا كانت الجماهير تهتف باسمه وتدعوه المنقذ فقد خرجت اوروبا من الحرب دامية الجروح وما زال دماء ابنائها يقطر وعويل المترملات من نسائها يتردد ، واقام الفلاحون الجائعون الحفلات واوقدوا حول صوره الشموع ورفعوا اصواتهم بالدعاء ، والتهليل لداعية السلام .

لقد وقف العالم كله على قدميه ينتظر ان ينعم بالسلام الشامل على يديه .

وبعد ان امضى ثلاثة اشهر في اوروبا عاد الى وطنه كسير الفؤاد حزينا فقد فشل في توطيد دعائم السلام وابعد عنه كفاحه من اجل تثبيت مبادىء السلام الكثير من اصدقائه وخلق له الكثير من الاعداء ، لقد عجز ان يكبح جماح المطامع وان يأخذ للضعيف حقه من الاقوياء ..

ان المؤرخين يصورون الرئيس ولسن استاذا متفوقا مترفعا عن مواطنيه تنقصه الكياسة الاجتماعية ، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما ، فقد كان ولسن شديد التقدير لمواطنيه يبذل كل جهده لتقريبهم وتوحيد مقاصدهم ووسائلهم وغاياتهم ، وكان يتألم لما في طبيعته من خجل يبعده عن الناس ، وكان يقول : « وددت لو دفعت كل ما املك لابعد عن نفسي طبيعة الخجل والانكماش ، لقد جاهدت كثيرا لتغيير طبعي لكنني لم افلح » ومع ذلك فقد كانت تستخفه النشوة في بعض الاحيان فعندما كان استاذا في الجامعة قفز مرة الى ميدان كرة القدم وقاد اللعبة بين ابتهاج اللاعبين وسرورهم ، وكان مرة في (برمودا) فاستخفه منظر البحارة السود فاخذ زورقا واختلط بهم وجعل يتحدث معهم .

والرئيس ولسن هو الاستاذ الوحيد الذي جلس على كرسي الرئاسة في البيت الابيض ومع ذلك فانه لم يتعلم القراءة والكتابة الا بعد ان بلغ الثانية عشرة من عمره ، وكانت احب الكتب التي ينهمك مسترخيا في مطالعتها القصص البوليسية ولم تكن له عناية بالفنون وكان

يقول « لان تحتفظ بالمعدن الخام تستطيع ان تبيعه بما يسد الحاجة خير من ان تحتفظ به مزركشا »

هذا الاستاذ الذي امضى حياته بين الكتب وفي جو علمي بحت كان يفضل مشاهدة المسرحيات الهزلية على ان يقضي وقتا في مشاهدة روايات شكسبير وكان يعلل ذلك بانه لا يذهب الى المسرح ليتعلم ولكن ليتسلى وعندما كان يشغل مركز الرئاسة في البيت الابيض كان يذهب كل اسبوع تقريبا لمشاهدة التمثيل المختلط .

عاش ولسن اكثر ايام حياته فقيرا وعندما كان يشتغل مدرسا كان راتبه ضئيلا فكانت زوجته تضطر لان ترسم بعض الالواح لبيعها وسد نفقات البيت . ولما عين استاذا في الجامعة لم يكن يستطيع ان يجاري زملاءه في شراء الملابس الانيقة فنشأت عنده عادة عدم الاهتمام بالملابس ، فكان وهو رئيس للولايات المتحدة لا يهتم بمظهره كما كان يفعل الرئيس لينكون فقد الح عليه خادمه مرة ـ وهو بالبيت الابيض ـ ان يأمر بتجديد بطانة احدى بذلاته التي كانت تبدو غير لائقة فاجابه « ولسن » : لا تقلق فمازالت بذلتي صالحة للاستعمال سنة اخرى »

وكان ايضا لا يهتم بطعامه مثل الرئيس لينكن فهو ياكل كل ما يقدم له وكثيرا ما كان لا يدري نوع الطعام الذي قدم اليه ، ودخن مرة واحدة في حياته سيجارا ولكنه اصيب بالدوار قبل ان يتم تدخين السيجار .

وكان كل بذله وسخائه في شراء الكتب وكان يطوي تحت مظهره الذي ينم على البر وسعة الصدر طبيعة حادة سريعة الانفعال والتأثر وقال عنه اصدقاؤه المقربون انه اكثر حدة في طبيعته من الرئيس روزفلت . وكان شديد الوفاء والتقدير لزوجته فمن اول الاعمال التي قام بها عندما عين رئيسا للولايات المتحدة ان اشترى لزوجته طقما من الفرو الثمين وحينما توفيت بعد سنة من ذلك التاريخ لم يسمح بدفنها لمدة اثنتين وسبعين ساعة وامضى ثلاثة ايام وثلاث ليال وهو بجانب سريرها حزينا .

واشتهر ولسن بعلمه وسعة ثقافته ولكن ميله للغات كان ضعيفا . ولم تكن له صلة بكبار ادباء عصره ولم يكن يعتني بالعلوم الطبعية والفلسفية . حاول في مبدأ حياته ان يشتغل محاميا ففشل فلم يتح له ان يتولى الدفاع ولا عن قضية واحدة والشخص الوحيد الذي اتيحت له ادارة املاكه هو والدته .

وربما كان العيب الكبير في شخصية ولسن هي قصر نظره . كان طموحه في حياته منذ صغره ان يكون خطيبا مصقعا فكان يتمرن على الالقاء في غرفته ساعات طويلة ولاجل ان يعد نفسه اعدادا كاملا للخطابة كان يتبع جميع الوسائل التي كان يظن انها توصله الى غرضه حتى ولو كانت تلك الوسائل تبدو سخيفة بعض الاحيان وعلى سبيل المثال فقد كان يضع امامه على الحائط خريطة تمثل الحركات الخطابية المناسبة ، ولكنه اهمل الشيء المهم اهمل ان يتمرن كيف

يسوس الناس ! فقد عاش ايامه الاخيرة في سلسلة محزنة من تنكر الاصدقاء واصبح زعماء المجلس الاستشاري خصوما له وخذله اشد اصدقائه صلة به واخيرا اغضب الكثيرين من ابناء بلدته لانه الزمهم ان لا ينتخبوا غير اعضاء الحزب الديمقراطي . وعندما عارض المجلس الاستشاري اقتراحاته لقيام عصبة الامم اهمله واتصل رأسا بالجماهير يطلب تأييدها .

كان ولسن ضعيف البنية دائم التمرض ولكنه كان يهمل نصائح اطبائه . وهذا الاستاذ النابغة الذي كان يهز المحافل بخطبه الرنانة اصبح في الايام الاخيرة من رئاسته للولايات المتحدة منهوك القوى محطما وضعيفا حتى انه كان لا يستطيع ان يمسك القلم للتوقيع الا بمساعدة شخص آخر وعندما اعتزل منصب الرئاسة كانت داره في واشنطن مقصدا للزائرين يقصدونها من كل الجهات مستفسرين عن صحته داعين له وحينما لفظ انفاسه الاخيرة باتت الجموع تحتشد على الارصفة وامام داره تبكيه وتدعو له بالمغفرة .



لورانس تابيت

في عام ١٩٢٢ كان لورانس تابيت يعيش في ضاحية من ضواحي لوس انجلس يكافح بجهد لكسب لقمة العيش ، كان يغني في فرقة الكنيسة كل يوم احد ويكسب حسب التيسير في كل فترة واخرى جنيها من الغناء في حفلات الاعراس ، وقد امضى في المدرسة اعواما عديدة ولكنه لم يستطع ان يفوز ، كان له صديق يدعى روبرت يؤمن بقدرته قال له هذا الصديق ـ ان لك موهبة صوتية عظيمة ويجب ان تنتقل الى نيويورك لتدرس وكان هذا التشجيع المتواضع عاملا قويا ليكون نقطة التحول في حياة تابيت ، فأوجد في نفسه روح الامل واستدان مبلغ خمسمائة جنيه وتوجه نحو الشرق ، وتحدث الى نفسه ما الذي سيحدث لو قدر لي ان افشل ، حسنا لو حصل هذا فسأعود الى كاليفورنيا واعمل في شركة بيع سيارات النقل ! هذا كان تفكيره في عام ١٩٢٢ فما هو مقدار نصيبه من العمل اليوم في مكتب بيع سيارات النقل ؟ انه فوق ذلك بكثير ، انه يبيع انتاجه في مجموعات ضخمة في مدينة هوليود ومن المحتمل ان تكون قد رأيت ايها القارىء صورا عاطفية ذات اثر بالغ في اغانيه المعروضة على الشاشة وسمعت صوته العذب خلال الاثير ، ولعله يدهشك ان تعرف انه يأخذ ستين جنيها في الدقيقة او جنيها في الثانية ليغني لك .

في عام ١٩٢٢ كان لورانس تابيت في حالة من الفقر بحيث لا يستطيع ان يدفع اجر المسكن داخل البلدة فاستأجر مسكنا في الريف ومن حسن حظه ان سكنه كان يقع وسط كرم فكان يحصل على فرط العنب المتساقط من شجر الكرم ليعيش عليه مجانا وقال مرة انه كانت تمر عليه ايام لـم يجـد فيها شيئا يأكله غيـر العنب المتساقط ، وكانت اجـرة السكن في الشهر جنيهين وعشرة شلنات وهي على قلتها كان يعجز في بعض الاحيان عن دفعها من عمله كمغن وتراكمت عليه مرة اجرة عشرة شهور فاضطر للعمل في المزرعة يقطف العنب ويشذب اشجاره ليسدد الدين كانت اجرة البيانو الذي يعزف عليه جنيها في الشهر وكان لا يستطيع وضعه في الغرفة الامامية ، لان المسكن القديم الذي يسكنه كان يقع على منحدر فوق حافة تل وكانت الواجهة تستند على اعمدة خشبية عالية فكان يخاف ان ينزلق البيانو على الارض ويتدحرج بين اشجار الكرم حتى يصل الى سفح التل ، وعندما وصل الى نيويورك لم يكن في استطاعته ان يشترى تذكرة من الدرجة الدنيا للدخول في دار اوبرا متروبوليتان فكان يدفع عشرة شلنات ليستطيع ان يقف في موضع خلفي من الاوبرا الشامخة ليسمع القطع الخالدة لسكوني والحسناء ماري قارون .

وكان في تلك الايام يقترض من اصدقائه ليدفع اجرة الدراسة والغرفة التي يدرس فيها ، ومع ذلك وبعد عشر سنوات كان هو نفسه يتخطر باعتزاز على مسرح متروبولين الشامخ يثير اعجاب الجمهور المجنون ويتقبل عشرات الدعوات بالعودة الى الجمهور ليتقبل تحياته واعزازه على اغنياته التي امتازت بالتفرد .. واصبح صوته اشهر صوت عرف لمغن فنان في العالم .

في كل عام يفد على نيويورك مئات من الشباب الطامحين ومعهم مؤهلات صوتية صالحة وفي نفوسهم رغبة للشهرة والمجد والجاه والمال وكنت اعجب كيف يضل هؤلاء سبيلهم ويفشلون وسألت لورانس تايبت عنهم فقال : تسعة وتسعون من الالف او الاغلبية من هؤلاء لا يفشلون لان اصواتهم غير صالحة ولكن لعجزهم عن تطبيع اصواتهم مع امزجة الجمهور المهم يفشلون لنقص في كفاءتهم الاستعراضية ولنقص كفاءتهم في الاستيلاء على جمهورهم بجعله يحس بصدق التعبير وحسن الاداء .

عاش لورانس تايبت طفولته في الحقول في كاليفورنيا حيث كان والده من رعاة البقر يركب معها لحمايتها ويعمل في بناء اسوار حظائرها ويرعى نتاجها ويحارب عصابات السطو عليها ، وكان الرجل العجوز يحمل في حزامه مسدسا كبيراً زين مقبضه باللآلىء وكان مصوبا ماهرا قتل اثنين من عصابة رجال السطو على الماشية وهو الآن (شريف) ضاحية كرة في كاليفورنيا وفي بيته ترسانة منظمة للاسلحة ويحتفظ بكلب سلوقي ضخم له اذنان طويلتان في عينيه نظرة حزينة مربوط بسلسلة طويلة في فناء الدار . وعندما يحدث اي سطو على الماشية في المنطقة يدق جرس الهاتف في دار الشريف فيخطف الشريف تايبت بندقيته ويقود كلبه ويخف الى مكان الحادث ويترك الكلب يقتفي الاثر ويسير ـ رود ـ وهذا اسم الكلب العجوز وهو يعوي يقطع الحقل ويتسلل بين اشجار البساتين ويجري خلفه الشريف تايبت والمقود في يده يلوح بذراعه ويصيح هيا ! يا رود اقبض عليه حالا ، اقبض عليه حالا ، ولكن رود بدلا من ان يقبض على المجرم كان يصل بالشريف الى بقرة عجوز أو ذئب فلاة . وكان يخيل لتايبت الصغير ان العمل (كشريف) يبدو مثيرا ولامعا لذلك كان يطمح في طفولته ان يكون شريفا كأبيه وفجأة حصل ما لم يكن بالحسبان وقعت دراما محزنة فقد اصيب والده برصاصة وقتل في قتال مع « جم مكني » احد المشهورين في السطو على البنوك والمقاتلين الذين لا يخطئون الهدف في الناحية الغربية وكان لهذا الحادث اثره في تغيير خطط لورنس كلها ـ فقد كان والده متدينا شديد التمسك يقاوم بشدة التدخين والرقص ولعب الورق والحضور في المسارح وقد قال لي تايبت انه لولا ان والده قد قتل فانه لم يكن ليجسر ان يعمل كمغن وممثل ولا يزال تأثير تربية والده في نفسه حتى الآن فهو لا يدخن اكثر من سيجارة واحدة طوال العام وعندما يدخن يشعر بانه يقوم بعمل خاطىء جدا وان الشيطان يقف بجانبه في تلك الساعة يغريه ليحطمه وعندما كان غلاما في المدرسة الاعدادية لم تظهر عليه دلائل النجابة قط كانت والدته تدير بنسيونا ولم يكن عنده غير بذلة واحدة وكان البنطلون قصيرا جدا ولم يكن يستطع ان يقدم لفتاته التي كان يفضلها كأس ايس كريم صودا ، وكان رفقاؤه التلاميذ ينتهرونه ولا يلقون له بالا فعزم على ان يثبت شخصيته ويكتسب تمييزا ، فحاول ان يكون عضوا في نادي المدرسة فلم يمكنوه من ذلك وحاول ان يكون له نصيب في الالعاب فلم يعره اهتماما اي احد ، وعندما وقف هذا الغلام الذي قدر له يكون اشهر مغن في العالم انجبته كاليفورينا ـ ليغني مع

افراد جوقة المدرسة اصاب البرود جسمه واعترته الرعشة والذهول ، ولم تلمع في صوته لمعات العبقرية الا بعد ان تخطى الثانية والعشرين من عمره ، ويقول تايبت :

الموسيقى العظيمة هي التي تهز مشاعرك هزا وان قسما كبيرا من موسيقانا جيد وجيد جدا وقطعة (نهاية يوم) من اوسع الاغاني انتشارا وكلماتها من افضل ما كتب في الاغاني ولقد اقتنى نسخا منها خمسة ملايين من الناس . ويقول تايبت : ان تلك الاغنية المتواضعة هي اعظم الاغنيات وهو يعتقد ان اغنية (The Rha Pody Blue), (Oldmarivey) اجمل اغنية كتبها اكبر الكتاب الاحياء .

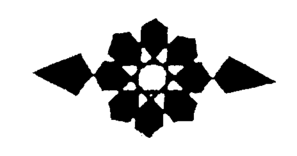


قيصر روسيا الكبير ..

عندما فكر بيتر قيصر روسيا الكبير عام ١٦٩٧ م في رفع مستوى الامة الروسية لتقف على قدم المساواة مع الامم الغربية اقتنع ان امته لا يمكن ان تصل الى هذا المستوى الرفيع مالم تنهل من مناهل العلوم والفنون التي سبقتها اليها امم الغرب . ورسم خطة قام هو بنفسه في تنفيذها فبدأ برحلة الى انكلترا والمانيا وهولندا ورفض في رحلته هذه ان يحاط بحاشيته او تقام له مراسم واختار ان يسافر في ثياب نجار من نجاري البواخر وبدأ يمارس جميع مراحل العمل كعامل متمرن .

وكان كلما نزل الى بلد تعرف بأصحاب المهن والاعمال الهندسية والميكانيكية ليكتشف اسرار مهنهم وقد اكسبته بشاشته وتودده وحسن معاملته محبة وتقدير الصناع واصحاب المهن فكان يغريهم على الهجرة الى روسيا لينشروا فنونهم وصنائعهم بين اهلها وهكذا اجتذب عددا كبيرا من كبار رجال الصناعات الغربية الى بلاده .

وعندما عاد الى روسيا مازال يختلط بهم ويعمل معهم كصانع متمرن في انواع الحرف . وعمل حدادا فصنع احد عشر قضيبا من الحديد ثم باعها كأي صانع محترف واشترى بثمنها زوج حذاء كان يعرضه على رجال حاشيته وزواره ويعتز به كأشرف كسب لاشرف انسان .



القبطان روبرت فولكن سكوت

لم اقرأ في حياتي قصة تتجلى فيها روعة الشجاعة وقوة الشخصية وتحمل قسوة الظروف مثل قصة القبطان روبرت فولكن سكوت ، الشخص الثاني الذي تمكن من الوصول الى القطب الجنوبي ، فان الصورة الرائعة التي قابل بها سكوت ورفيقيه الموت في متاهات رؤوس الجبال الثلجية لا تزال تحتفظ بسلطانها في السيطرة على النفوس والمشاعر .

ووصل خبر وفاة سكوت ورفقائه في تلك الاصقاع النائية الى انكلترا في ظهيرة يوم مشمس من شهر فبراير عام ١٩١٣ تفتحت فيها الازهار في حديقة (ريجنت) وصعقت انجلترا وعاشت في ذهول لم تعش مثله منذ وفاة ولسن العظيم .

وبعد اثنين وعشرين عاما من هذا التاريخ قررت انجلترا ان تحتفل بذكراه فأسست متحفا لآثار جهود مكتشفي القطب وهذا المتحف يعتبر المتحف الاول من نوعه في العالم ، وحضر افتتاح المتحف جميع الرواد والمكتشفون في العالم وقد نقشت على مدخل المتحف بالحروف اللاتينية هذه العبارة عن سكوت : « لقد حاول ان يكشف سر القطب الجنوبي فانكشف له سر الكون »

بدأ سكوت مغامرته المحزنة لاكتشاف القطب الجنوبي على السفينة « تارا » وبمجرد دخول السفينة في المياه الجليدية حاصرتها المشاكل ولازمها سوء الحظ فكانت الامواج الضخمة تهاجم هيكل السفينة وتكنس من فوقها كل الحمولة التي على سطحها واخذت مئات الاطنان من المياه طريقها بشدة الى الداخل وغطست المحركات في مستنقعات المياه ولمدة ايام طويلة كانت السفينة تترنح بين الامواج وتغالب بشجاعة غضبات الطبيعة القاسية .

غير ان المصاعب الحقيقة التي واجهت سكوت وكانت طالعا لسوء الحظ المستمر بدأت عندما بدأت قوى الحصانين « السيسي » تضمحل لهذين الحصانين اللذين اعدهما سكوت خصيصياً لهذه الرحلة وكان يؤمن بقوة عضلاتهما وقدرتهما على تحمل العواصف الثلجية ، في فدافد سيبيريا ، فقد ترنحا على بساط الثلوج الناعمة التي كانا ينزلقان عليها في كل خطوة مما ادى الى كسر ساقيهما ثم الى هلاكهما ، وكذلك كان امر الكلاب الثلجية التي ربيت تربية خاصة للسير على الثلوج فقد انغمست ارجلها في الشقوق الثلجية ولقيت حتفها بانقلابها وتزحلقها على حافات الثلوج المهلكة عندئذ سار سكوت ورفاقه الاربعة في الشوط الاخير من رحلتهم يسحبون مركبتهم الجليدية التي كانت تزن الف رطل وكانوا يتقدمون يوما بعد يوم في طريق ثلجية وعرة يسحبون انفسهم ويستنشقون بصعوبة بالغة الهواء الثلجي الذي كانت تغص به حلوقهم ولم يشك احد منهم شدة الصعوبات وعندما اقتربوا من نهاية سفرتهم المضنية التي لم يسبق لبشر مثلهم ان تحمل عناءها شعروا بانتصارهم الكبير .. انتصارهم على ارتياد القطب الجنوبي التي لم تطأه قدم منذ بدء الخليقة حيث الجمود المطلق لا حياة ولا حركة ولا حتى اثر للطيور الضالة .

وبعد مضى اربعة عشر يوما في صعود متوال وصلوا الى القطب ، وكان وصولهم فشلا ذريعا وخيبة امل قطعت نياط قلوبهم فقد وصل الى القمة رواد قبلهم ووجدوا علما نرويجيا يرفرف بعزة وشموخ فوق القمة يسجل الانتصار الاول للرائد الاول امندسن النرويجي .

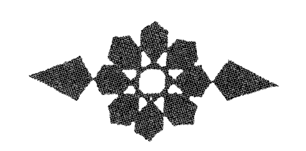
وادركوا ان الجهود التي بذلوها سنين عديدة في التحضير والشهور الطويلة التي تحملوا فيها المشاق قد ضاعت بسبق خمسة اسابيع قصيرة فقط وبقلوب مليئة بالخيبة اخذوا طريق عودتهم الى الوطن وكانت رحلة رجوعهم•بداية فاجعة محزنة فقد كست العواصف الثلجية الحادة وجوههم وشعور لحاهم بطبقة سميكة من الثلج فكانوا يترنحون ويسقطون بعد كل خطوة يخطونها وكانوا يتأثرون بعد كل سقطة بجرح جديد يقربهم خطوة الى الموت وتزحلق الضابط ايوان اقوى رجال الحملة واكثرهم تحملا وارتطمت رأسه على حافة ثلجية حادة فمات على الفور ووقع الكابتن « اوتاس » مريضا اذ تجمدت ساقه فلم يعد يستطيع المشي عليها الا بمشقة وقد حز في نفسه ان يتسبب في تأخير سير زملائه فضحى بنفسه ظنا منه ان تضحيته بنفسه قد تكون سببا في نجاة رفقائه الذين اصبح هو سببا في عرقلة سيرهم بسبب عدم قدرته على السير فأعلن في هدوء عندما جلسوا يستريحون : « سأتقدمكم ، ولا تجهدوا انفسكم في البحث عني » لقد تقدمهم فعلا الى عالم الخلود ، ولم يعثروا على جثته فقد غمرتها الثلوج وانك لتجد اليوم نصبا تذكاريا في الموضع الذي اختفى فيه كتبت عليه هذه العبارة : « هنا ادركت المنية بطلا شجاعا وانسانا كاملا »

واخذ سكوت ورفيقاه الباقيان يترنحان قدما نحو الهدف ولم يكن منظرهما يوحي بأنهما من البشر فقد كانت انوفهم واصابعهم وارجلهم هشة كالفشار من شدة البرد القارس .

وفي التاسع عشر من فبراير عام ١٩١٢ وبعد خمسين يوما من سيرهم من القطب اختاروا موضع الراحة الاخير وكان لديهم من الوقود ما يكفيهم لعمل كوبين من الشاي ومن الطعام ما يقيتهم لمدة يومين . لقد ظنوا انهم قد اجتازوا منطقة الخطر فلم يبق بينهم وبين المحطة الاخيرة لمستودع ارزاقهم سوى احد عشر ميلا . وقد ظنوا انهم يستطيعون الوصول اليها في محاولة شاقة اخيرة ، وفجأة اكتنفتهم الجائحة فهبت عواصف ثلجية حادة حفرت الاخاديد في الثلوج وكانت شديدة لا يستطيع ان يواجهها حي دون ان يسقط فاقداً للحياة وبقى سكوت ورفيقاه في حصار في ملجاهم مدة اثنى عشر يوما ولم تنقطع العواصف او تهدأ طيلة هذه المدة .. لقد تحملوا الجوع والم التعذيب ، لقد تحققت نهايتهم ، وكان هناك طريق سهل يجنبهم كل هذا الالم وهذا التعذيب لقد كانوا يحملون كمية كبيرة من المخدرات حملوها لتخفف الامهم في مثل هذه المواقف الحرجة والضرورة الحتمية وكان استعمال المخدر كفيلا بتسكين الامهم ونقلهم الى غيبوبة حلم لذيذ الى الابد ولكنهم تمردوا ولم تمتد ايديهم الى المخدر فقد صمموا ان يقابلوا الموت والالم بالشجاعة التقليدية التي اتصف بها قدماء الانجليز .

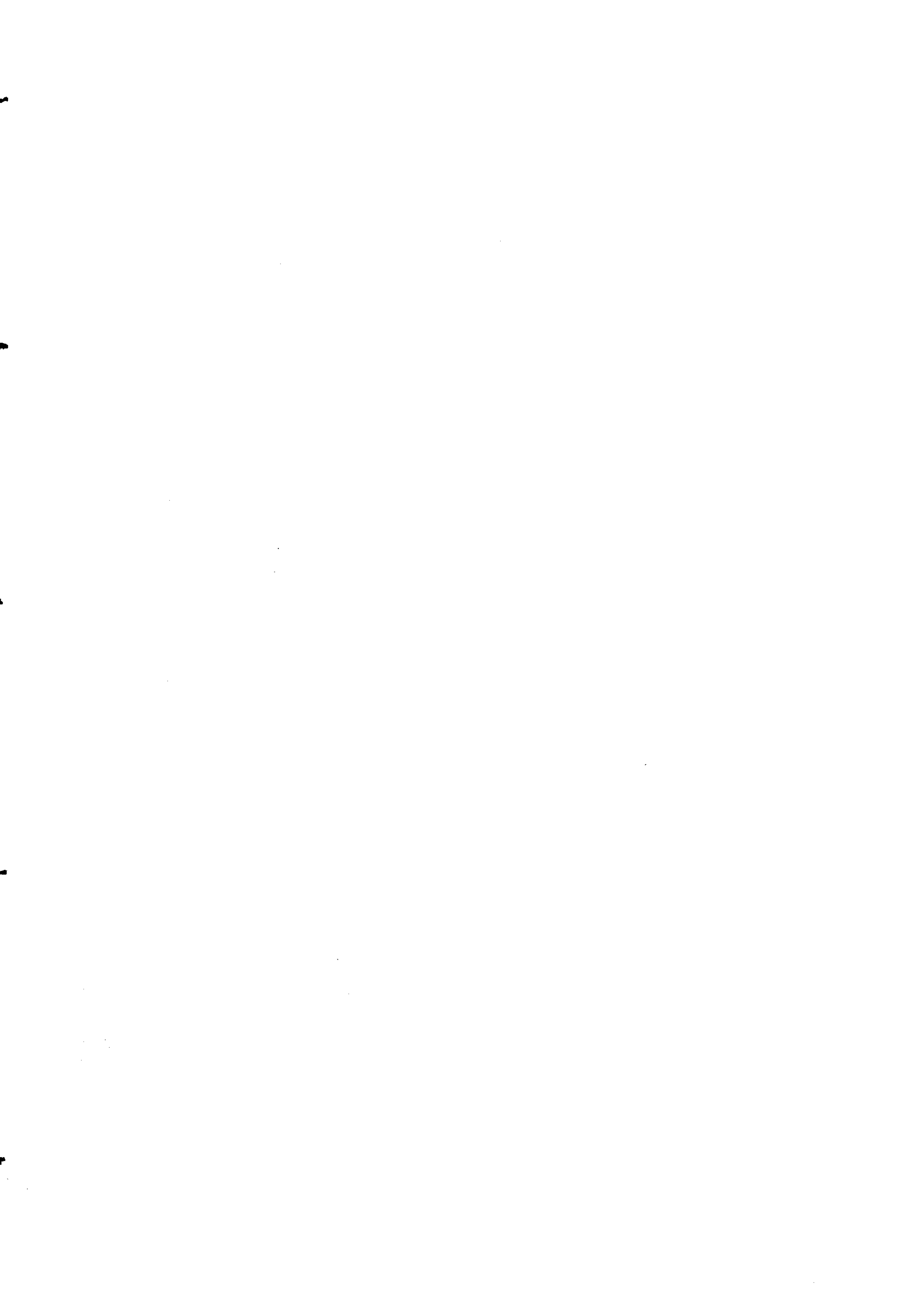
وفي الساعات الاخيرة كتب سكوت رسالة للسير جامس بيري يصف فيها نهايته . لقد كانوا في اشد حالات الجوع وكان الموت يقف على رؤوسهم ومع ذلك كتب « سكوت » يقول : « لعلك لا تجزع لو كنت تسمعنا ونحن نملأ خيمتنا بالاغاني المرحة »

واخيرا وبعد مرور ثمانية اشهر وفي يوم بزغت فيه شمس القطب الجنوبي على ثلوجه اللامعة عثرت بعثة استكشافية على جثثهم مغمورة في الثلوج ، ودفنوا حيث وجدوا ووضع على القبر لوح كتب عليه هذه الكلمة الجميلة : « قلوب شجاعة استسلمت للقدر ولكنها جاهدت بارادة عنيدة لتبحث ولتجد ولم تذعن ولم تتزحزح عن بلوغ غايتها » .



الفصل الثاني

الهروب من الحياة



واجبات المواطن أيام الحرب ..

هذا البحث يشمل كل مواطن يشعر بحق الوطن عليه فهو لا يخص جنسا دون آخر . عندما يدق ناقوس الخطر وتشتعل نار الحرب وتنشر الحكومة في الصحف والاذاعات حاجتها الماسة الى المتطوعين من ابناء الوطن وتتراكم الاعمال الحربية وتفتح ابوابها للمتطوعين الذين يتفانون في حب الوطن .

عندئذ ترى الناس قد انقسموا بطبيعة الحال الى فريقين فريق تتزاحم عليه الأعمال فلا يجد لنفسه فرصة يحك فيها رأسه وفريق يتزاحم ليقدم نفسه للعمل فلا يجد الطريق اليه ، والفريق الأول هو الذي نسميه بالنخبة المختارة والفريق الثاني هو بقية المواطنين الذين لم تسمح لهم الظروف للظهور على مسرح الحياة او اعتراف المسئولين بهم ليرتفعوا الى درجة النخبة الممتازة في نظر المسئولين فهذه النخبة ستجد ان الاعمال تتدحرج اليها لتتراكم على مكاتبها في مقادير يذهلون لضخامتها وحاجتها الى البت السريع والجهد الكبير الذي يمتص حيويتهم ويحطم اعصابهم في ساعات وساعات ، وينظر القسم الآخر أمامه فلا يجد عملا غير عادي يستحق ان يبذل مجهودا في انجازه . فيقول في تألم وأسف : ان هذا لعجيب ان الاعمال التي تتطلب الانجاز لكثيرة واني على استعداد لأقوم بنصيبي منها .
لماذا لا يتيحون لي فرصة العمل ؟ ثم يتأوه قائلا : كيف اقوم بواجبي في العمل وهم يصدونني عنه ولا يفسحون المجال امامي ـ ويشعر بالحسرة والالم والاهمال والظلم الذي يقع عليه .

وأقول انا ان مثل هذا التفسير صحيح لو كان المجتمع يشبه في شيء سنترال التليفون وأي مسئول يستطيع ان يجد الشخص المطلوب عندما يتصل بالمركز ويطلب النمرة ـ ولكن المجتمع لا يشبه في شيء ما سنترال التليفون فلذلك كان التفسير خاطئا . ويخطيء المواطنون لو ظنوا أن على المسئولين ان يسيروا في الشوارع غادين رائحين يدقون ابواب الناس ينادونهم للعمل المفتوح قائلين : تعال يا فلان فأنت الشخص المطلوب . ومهما كانت الاعمال الحربية حقيقة وتطلب سرعة الانجاز فان ٩٩/ من الذين يرغبون الفوز بهذا العمل وانجازه سيجدون ان عليهم ان يطرقوا ابوابا كثيرة ويتحملوا مشقات كبيرة ليعرفوا الطريق اولا الى هذا العمل وقد تكون هذه العقبات والمشقات أكبر من أن تحتمل وعندما يقفون على هذا العمل ويجدونه فلربما ـ احتاجوا الى مميزات كثيرة للحصول عليه .

وعندما يصل المواطن الى هذا الحد ولم يتحقق له الأمل في الحصول على العمل . العمل الذي يراه يتطلب سرعة الانجاز لانقاذ الوطن ، والذي يتلهف على القيام به قبل فوات الفرصة والذي جاهد حتى توصل اليه وقدم نفسه متطوعاً للقيام به ولكنه لم يسعد به ، ومرة اخرى يحس بالاهانة والكرب ويساءل لماذا كل هذا التعنت : اني لا اطلب حسنة بل لا اطلب أجرا لما

سأقدم من خدمات ؟! اني عندما قدمت خدماتي للمسئول رفع حاجبيه ونظر الي نظرة التشكك والارتياب وامطرني بالسؤال والجواب ، واجتزت امتحانا ليس أسوأ منه انه امتهان وتحطيم .

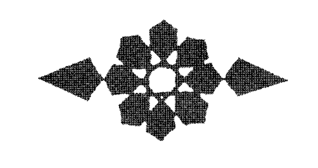
وأنا أقول ان كل هذا صحيح ولكني أسأل هل كان ينتظر هذا المواطن من المسئول ان ينفذ الى اعماق نفسه ليعرف مقدار استعداده واخلاصه ؟ ان الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هو التحدث الى المواطن عن طريق السؤال والجواب . فاذا حدث ذلك فإنما هو أمر طبيعي لا غرابة فيه ومن واجب المسئول ان يتحقق من صدق رغبتك في التطوع وان يعرف الى حد يمكنه ان يثق بك ، ولأسير معك خطوة أكبر فلو استقبلك المسئول بكل ترحاب ولم يبد أي تردد بل صرح لك انه قد وجد في شخصك المثل الأعلى الذي كان يترقبه وأكثر من ذلك ، التقطك كهبة نزلت من السماء وأسند اليك العمل حالا . قل لي ؟ إذا حصل هذا ألا تتولاك الدهشة ويدخل الشك والريب في نفسك من هذه المعاملة وتتسأل عن السر في كبرياء وغرور ؟!

ولو فرضنا ان هذا المسئول قد حضر اليك دون ان تذهب اليه ألا تسائل نفسك في هذه الحالة . ترى ماذا ؟ ما هي الاهداف الذي يرمي اليها هذا المسئول من حضوره الى ؟!

اني اقرر حتى ولو كان الجواب بالنفي ان موقف الشك والارتياب الذي يقفه طالب العمل بالحملقة فيه ووزنه ومضايقته بالسؤال والجواب هو نفس الموقف الذي سيقفه المسئول منك عندما يحضر اليك يسألك العمل في ميدان لا يجد غيرك له وربما كان موقفك منه أكثر كبرياء من موقفه منك !

وعندما يستجيب الانسان العادي للعرض ويرحب بالعمل المعروض فانه دائما يحتفظ في نفسه بحق الافضلية حتى ولو تفانى في اداء واجب العمل بكل طاقته وجهده وتراه دائما وفي كل مناسبة يصر على التمسك بالأفضلية لانه لم يكن طالبا بل كان مطلوباً فبقدر ما في الطبائع البشرية من معاني النبل فيها من معاني الانحطاط وقد تكون هذه الاخيرة في بعض الاحيان وسيلة لا بد من اللجوء اليها تدفع اليها غريزة الغرور أو الانتقام .

قاعدة ان المتاعب والمضايقات والتعرض لمواقف الشك والريبة جزء لازم من اعمال الحرب لكل متطوع صادق الاحساس لا يعرفه المسؤولون ــ كما ان الفداء والتضحية جزء لازم لاعمال الجندي الذي حمل السلاح في الميدان .



واجب المواطن أيام الحرب

انك عندما تثبت حرارة ايمانك وصدق وطنيتك بتمسكك، بعناد واصرار بعملك الحربي الذي تطوعت له ولم تستجب للاغراءات الكثيرة لتتحول الى عمل آخر اكثر تسلية واقل جهداً.

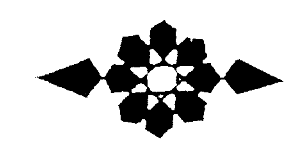
انك بهذا التمسك تقف على القمة في صفوف المواطنين الخالدين وتنفض عن نفسك الوهم الاخير الذي يستولي على كل مواطن متطوع ذلك الوهم الذي نسميه تقدير الخدمات والجهود والاخلاص في العمل.

ان معاني الوفاء والتقدير معان بعيدة التصور في اذهان الجمهور على ان هذه المعاني ليست هي احسن ما يطلبه العاملون المتطوعون في اعمال الحرب، فانك لن تجد في مثل هذا الظرف من لم يتطوع مثلك في عمل ما من اعمال الحرب وينتظر الوفاء مثل ما تنتظر.

وستجد ان المتخلفين الذين يمكنهم تقديم عبارات التقدير والوفاء قليلون جداً وستجد أنهم النفاية الذين لا قيمة لهم ولما يقولون وانك عندما تسمع بعض هؤلاء يتحدث عن الاعمال الحربية يداخلك الشك حتى في أهمية الاعمال التي يقوم بها العسكريون ورجال البحرية. ان احاديثهم ملأى بالنقد والتجريح وهم يتكلمون وكأنهم من رجال الاختصاص في فنون الحرب وأساليبه ويوجهون نقدهم لاذعا وشديدا لذلك فان أكبر أمل يؤمله المتطوع هو أن يتجنب اللوم.

ان أجل عمل في الاعمال الحربية هو تنظيم حركة التموين وتوزيعه وان المواطنين الذين يقومون بهذا العمل الجليل ليحمدون لانفسهم جهادها اذا استطاعوا ان ينفذوا بجلودهم في نهاية الشوط مهما اتصف عملهم بالدقة والنزاهة والاخلاص ومن هنا يجب ان نتلقن الدرس الكبير في انتظار الوفاء والتقدير.

قاعـدة : ان الوفاء والتقدير والمكافأة التي ينتظرها كل مواطن متطوع في الاعمال الحربية يتجسم في تحقيق السلام.



٢ ـ واجب المواطن أيام الحرب

ومرة اخرى فانك في حاجة الى ابعاد وهم جديد قد يستولى عليك فتظن ان في قدرتك ان تتطوع للعمل الحربي وتحتفظ مع ذلك بجميع المميزات في حياتك الخاصة ولن يكون لحياتك الجديدة أثر فيما كنت تقوم به من عمل في حياتك القديمة .

من المسلم به أن كل انسان يملك اربعاً وعشرين ساعة في يومه وأن كل واحد منا يشغل كل ساعة من هذه الاربع والعشرين ساعة . اننا لا يمكن ان ننكر ذلك بأي حال ولو ان البعض يشغل اكثر هذه الساعات في الكسل والاسترخاء دون الجد والعمل وبعضهم يشغلها في العبث واللهو ، وان هؤلاء سيجدون صعوبة كبيرة في التخلي عن ساعات لهوهم وعبثهم لاشغالها بالعمل الحربي الذي تطوعوا له فان التخلي عن ساعات اللهو والعبث اصعب كثيراً من التخلي عن الساعات المشغولة بالعمل المفيد . وانت عندما تدخل في حياتك عملا جديداً بالتطوع للعمل الحربي لا بد لك ان تتخلى عن بعض الاعمال التي كنت تشغل بها وقتك قبل ذلك .

انك اذا عودت نفسك على عمل مفيد في ساعات فراغك فستجد ان تغيير هذه العادة يتطلب جهداً ومشقة ؟ اما اذا كنت تقضي هذه الساعات في الكسل واللهو والعبث فستجد أن تغيير هذه العادة اكثر صعوبة وأشد وقعاً ، ولنضرب مثلا : فإذا كنت تقضي اوقات فراغك بعد الظهر في استقبال الاصدقاء وزياراتهم فانك ستجد صعوبة كبيرة في التخلي عن هذه العادة لتخصص هذا الوقت للعمل الحربي الذي تطوعت له اكثر مما لو كنت تشغل هذا الوقت في البحث والدرس لتنمية معلوماتك . لا يستطيع احد منا ان يقلل من أهمية الاهتمام بتوسيع المعلومات والتوجه للدراسة في اوقات الفراغ ، ولكن التخلي عن عادة الزيارة والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي للتفرغ للعمل التطوعي اكثر بطولة من التخلي عن عادة الدراسة والبحث لمثل هذا العمل .

ولصعوبة التخلي عن عادات الزيارات والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي يفكر بعض المتطوعين بأنه من الممكن الجمع بين عمل التطوع للعمل الحربي وبين الاستمتاع بالزيارة والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي ويصمم قائلا : انني استطيع الجمع بين الحالتين واحدد لكل منهما ساعة معينة .

واني اقول انك سوف لا تستطيع ذلك على اي حال فان روح العمل التطوعي لا تقبل المشاركة بل ان روح التضحية جزء لازم لاعمال التطوع الحربي فان لم يكن فيها تضحية فهي لا شيء والتضحية معناها ان تعطي ولا تأخذ ولا يمكن للمرء ان يعطي شيئاً وهو ما زال متمسكا به .

وانك لتجد بعض المخترعين الذين يوفقون الى اختراعات يكون لها نفع عام يبيعون اختراعاتهم لبعض الشركات ويقبضون الثمن ليتخلوا كليا عن الاختراع ثم اذا عم النفع

بالاختراع يحاولون ان يحصروا الفضل في ذلك لانفسهم ويعطونها صفة المحسن ويعيشون زمنا في هذا الخيال دون ان يكون لهم اي فضل في التضحية . هذا مثال مما يحضرني لبعض اولئك الذين يقبضون ثمن جهودهم من المجتمع ثم يتمسكون بصفة المحسنين ولكن هذا المثال وما جرى مجراه لا ينطبق على المتطوع للعمل الحربي بأي شكل من الاشكال .

قاعـــدة : اذا كان الكأس ملانا فانك لا تستطيع ان تصب فيه شيئاً مالم تسكب منه شيئاً وهكذا التطوع للعمل الحربي انك لا تستطيع القيام به اذا لم تضح في سبيله بشيء آخر عزيز عليك .

٣ ـ واجب المواطن أيام الحرب

ان الحياة سلسلة متصلة من الاوهام . فما كنت تعتقده حقيقة اليوم ـ لا يلبث ان يصبح وهما غداً ولا تلبث حقيقة الغد ان تصبح وهما بعد غد وهكذا كل يوم حقيقة جديدة تصبح وهما غداً .

وسيجد المتطوع المتلهف ان رغبته الصادقة واندفاعه المجنون للقيام بواجبه في هذا الظرف يؤخذ عليه دليلا للارتياب والشك في شخصه ويبتعد عنه العمل كما تبتعد الظبية الشرود عن الصياد في اعماق الصحراء ولا يلبث ان يصطدم بهذه الحقائق الجديدة حتى تواجهه حقائق اخرى تبدد ما سبقها من حقائق وتحيلها اوهاما .

فعندما تجتاز كل هذه العقبات وتظفر بالعمل ستجد انه ليس العمل الجدير بكل تضحياتك التي بذلتها للحصول عليه فقد كنت تنتظر عملا تستخدم فيه مواهبك وتفيد وطنك بجهدك وثقافتك وتجاربك عملا يتفق مع ميولك وأوقاتك التي ستخصصها لهذا العمل الاضافي ولكن العمل الذي وضعوه بين يديك اما ان يكون اقل من مستواك او هو أرفع من مؤهلاتك أو هو غير ملائم لمركزك الاجتماعي او لصحتك أو أي اعتبار آخر . انك تحتار كيف تعبر عما كنت تطلبه من جريك وراء التطوع للعمل الحربي واحتمالك جميع مشقات الحصول عليه واني سوف اخرجك من حيرتك فأتولى عنك التعبير . انك كنت تنتظر عملا ممتازا يظهرك في اجمل صورة عملا مسلياً ، عملا تظهر نتائجه السريعة بأقل جهد عملا تأخذ منه الحق ولا تعطيه اي حق عملا مهما لا يكلفك امتحانا خلقيا أو يضعك امام مسئولية خطيرة . هذا هو العمل الذي كنت تنتظر الحصول عليه ولكن العمل الذي تحصلت عليه هو ٩٩/ عمل ثقيل يسير على منوال واحد سخيف المظهر يستطيع اي احمق ان يقوم به ومع ذلك فهو مضن وشاق ويتطلب دقة لا يسعها خلقك ، وبعبارة مختصرة انه عمل غير مناسب .

قاعـــدة : ليس في الاعمال الحربية المطلوبة في مثل هذا الظرف اعمال مناسبة بل ولا جزء من الف جزء منها يكون مناسبا . عدم التناسب طابع لازم في الاغلب لعموم اعمال التطوع في ايام الحرب النزول بثقافتك الى الدرك الاسفل او الارتفاع بها الى اكثر من طاقتك جزء لازم من اعمال التطوع في ايام الحرب .

٤ ـ واجب المواطن أيام الحرب

وهناك وهم كبير يجب ابعاده عن اذهاننا ونحن نقوم بواجب التطوع للعمل الحربي ، وهم يبدو حقيقة مجسمة لأبسط العقليات ويجد كل متطوع نفسه من اول وهلة تحت تأثيره . هذا الوهم يتسلط عليك وانت تؤدي واجبك الحربي فتعتقد ان العمل الحربي باعتباره عملا مقدسا يجب ان يكون ذا تأثير سحري في تغيير طبيعة المواطن ومزاجه بحيث يجعله على استعداد تام لتقديم اكبر مجهود عند أي احساس بالحاجة مهما كانت الظروف والملابسات ، ان هذا هو المعقول وهو الواجب الذي يقرره كل مواطن عندما يتحدث عن اعمال التطوع ايام الحرب ولكنه يكون بعيداً جداً عن هذه العقيدة او عن هذا الوهم الذي كان يحسبه حقيقة واضحة عندما يكلف بالعمل ان جميع اعمال التطوع تتركز في جوهرها على نظام الهيئات والمجالس هذا النظام الذي يخرج بالاعمال من صفة الفردية الفجة الى صفة العمل الجماعي المفيد . هذا النظام الذي يعتبر من احدث النظم في تحقيق العدالة الاجتماعية وهو في نفس الوقت اخطر ما يكون عندما يطبق على مجتمع لم يبلغ المستوى العالي والمؤهلات المطلوبة لفهم معنى الحياة الجماعية الراقية .

ولو قدر لك ان تقبل في سلك المتطوعين للعمل الحربي فانك ستجد نفسك عضوا في احدى هذه المجالس او في فرع من فروعها هذه الفروع التي كثيرا ما تكون أكثر قوة وسلطة من أصولها واذا لم يقدر لك أن تكون عضوا في أصل أو فرع لاحدى هذه الهيئات فلا بد انك ستدعى الى احداها للاستنارة برأيك وعندئذ تعتبر ان الحظ قد اتاك اخيراً فقد اتيحت لك الفرصة لخدمة وطنك في مجال التأسيس والتشريع .

ولنفرض انك عضو في احدى هذه المجالس بمجرد اختيارك للعمل وحضرت الجلسة لتجد بين الاعضاء ثلاثة ممن سبق ان عرفتهم السيد « س » السيد « ي » والسيد « ز » فالسيد « س » شاب اناني غير مكترث يصل الى حد الوقاحة في تصرفاته والسيد « ي » كهل فضولي يتحشر في كل شيء ثرثار ضيق الافق والسيد « ز » إمعة خال من كل شيء .

وتدخل الجلسة لتجد هؤلاء الثلاثة قد اتخذوا اماكنهم في صدر القاعة وانتصبوا في جلساتهم كنجوم المجلس بينما جلس الاعضاء الآخرون في وضع لا يدل على شيء من الثقة بالنفس وربما شاقك هذا المنظر الجميل منظر الوجوه المتحفزة حول المائدة وكأنها هالة حول القمر وتشعر بالفخر والاعتزاز وتعتزم على ان تبذل كل جهدك واستعدادك مشتركا مع جهد واستعداد زملائك الذين لا تشك في انهم يشاركونك العزم والاستعداد حتى اذا مضت عليك في الجلسة خمس دقائق قدم السيد « س » رغم صغر سنه وقلة تجاربه اقتراحاً سخيفاً وتكلم ببرود وهو يضع كوعيه على المائدة وكفيه تحت ذقنه كما لو كان يلقي درساً على احفاده وليس في المجلس من هو أقل سنا من ابيه أو جده ويتكلم السيد « ي » ويطالب بعناد واصرار

بضرورة تغيير النظام الذي تدار به الجلسة ويكاد بجداله يضيع على المجلس فرصة العمل ويظل السيد « ز » صامتاً حتى اذا سأله الرئيس عن رأيه فتح فمه في تثاقل قائلا انه موافق على كل ما دار في الجلسة وانه يصوت على الرأيين فكلاهما مناسب !

وتضيق نفسك ويأخذك العجب وتسائل نفسك : أمن المعقول ان يسلك هؤلاء الناس هذا السلوك في انجاز الاعمال في هذا الظرف الدقيق وفي هذه الساعات الحرجة في تاريخ الوطن ، وفي الظرف التي يجب على كل مواطن ان يكون فيه اشد حساسية واكثر استعداداً للبذل وانكار الذات ماذا ؟ انهم لا يدركون اننا في حالة حرب ؟ ! ولا تجد في بقية الاعضاء من هو احسن حالا .

وتفسد عقيدتك في كل شيء اسمه جمعية او هيئة وتقول في نفسك : اني مع اعترافي بقصوري وقلة تجاربي وعدم مشاركتي فيما مضى في الاعمال العامة فاني استطيع أن اؤكد انه لو وافق المسئولون على حل هذه الهيئة ووضعوا جميع اعبائها على عاتقي لقمت بها وحدي خيراً مما يفعل هؤلاء .

ان هذه الهيئات في نظري وسيلة لضياع الوقت واشباع غرور الحمقى .

٥ ـ واجب المواطن أيام الحرب

وتستمر الجلسة ويصل السيد « ي » في نقاشه الى درجة لا تحتمل وتجد في نفسك رغبة ملحة لتتكلم ولكن الوقت يمر سريعاً ولم يبق منه الا دقائق يستغرقها السيد « ي » في نقاشه وسفسطته .

انك على استعداد لان تعمل وتعمل ليلا ونهاراً بكل جهدك وحيويتك ولكنك لم تفكر ابداً انك ستجد نفسك بين جماعة من هذا النوع يضيعون الوقت في الاخذ والرد ويملأون النفس بالملل والضيق وتجمع امرك وتصمم على رفع استقالتك من هذه الجمعية ، ولكني ارى ان لا تفعل فان مثل هذا التصرف غير سليم فان نصف الاعضاء على اقل تقدير يفكرون مثل تفكيرك تماماً وستجد اكثر من واحد منهم لا يحمل هذه الفكرة عن السيد « س » والسيد « ي » والسيد « ز » بل انه يحمل هذه الفكرة عنك انت نفسك بالذات !

وعندما تعلم ذلك وترى ان بعض الاعضاء رغم ضيقهم وقلقهم من تصرفات السيد « س » والسيد « ي » والسيد « ز » وسيادتك انت بالذات لم تفكر في احد منهم ان يتخلى عن واجبه في مثل هذا الظرف ، انك متى تعلم ذلك وتقارن بين موقفهم وموقفك تشعر بشيء من الخجل وتتأكد ان الناس هم الناس لا تتغير طبيعتهم حتى في ساعة الازمات خاصة اذا طال امد تلك الازمات ومن واجبك ان تشكر الفرصة التي اتيحت لك بالانضمام الى هذه الهيئة

فقد ادركت ان البلاد في حالة حرب وادركت ان طبيعة التكوين في هذا العالم هو اختلاف مشارب الناس ومآربهم وان اختلاف المشارب والمآرب لا تتغير حتى في ادق الظروف حتى في ايام الحرب .

ومن واجبك ان تتصور ماذا سيحدث اذا كان كل عضو في الهيئة قدم استقالته مثلك لانه تضايق من تصرفات السيد « س » السخيفة وتركوا جميعهم بهذه الطريقة الفرصة للسيد « س » يصول ويجول ويتحكم في مقررات الهيئة واعمالها .

قاعــدة : ان الاعمال الحربية تتطلب من المواطن المخلص الشجاعة الكافية والصبر الجميل للعمل مع السخفاء والأنانيين ممن تجمعهم به ضرورة العمل .

واذا قدر لك ان تجتاز كل هذه العقبات واصبحت متطوعاً ناجحاً فلا تفكر ان مشاركتك ومثابرتك قد وصلت بك الى الغاية التي تطلبها . لا فانك تصطدم في هذه الأثناء بشخصية اكثر سخافة وانانية من السيد « س » فان اقصى ما يستطيع ان يضايقك به السيد « س » هو ان يصوت ضد قرار صالح مركز قد يفقده صبغة الاغلبية : اما الشخصية التي ستصطدم بها اخيراً فهي الشخصية التي تميزت بالشذوذ وركزت مكانتها معتمدة على المرتزقة والمنافقين الذين لا يخلو اي مجتمع منهم ، ستصطدم بهذه الشخصية التي تستحوذ على كل عمل يقوم به الاكفاء وتنسبه لها وتنتهز كل فرصة لبناء مجدها وفخارها على اكتاف العاملين في صمت وتواضع وايمان .

وستصطدم ايضاً بشخصية اخرى هي شخصية اصحاب العقل الميكانيكي الرسمي . ان العقلية الميكانيكية الرسمية هي اسوأ عقبة في سبيل انجاز الاعمال وايقاف سيرها .

وربما اصطدمت الاعمال بك وانت نفسك عندما تصبح ذا مكانة في الهيئة وتتحول عقليتك الى عقلية ميكانيكية رسمية .

ولعلك بعد هذا تطلب مني تعريف العقلية الرسمية الميكانيكية . ان العقلية الرسمية الميكانيكية هي تلك العقلية المحدودة التي لا يتسع افقها لفهم روح النظام فالنظم عندما توضع انما توضع لتكون سياجاً لحفظ توازن المجتمع لا لتكون قيوداً يرسف المجتمع تحت اغلالها فلكل حالة مخرج ولكل مواطن مكانة ولكل مقام مقال .

وويل للمواطنين من العقلية الرسمية الميكانيكية .

قررت الأكثرية عدم دخول الحرب

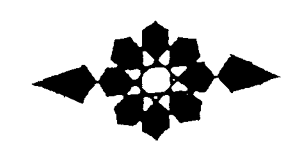
كان « كلايو » احد قواد الانكليز في الهند في حالة كرب وقلق فلم يكن يثق في اخلاص وشجاعة حلفائه . ولم يكن يستطيع مهما كانت ثقته بشجاعة جيشه وقدرته في الفنون الحربية ان يشتبك به مع جيش يتضاعف عنه في العدد عشرين مرة . وكان امامه نهر لا بد ان

يجتازه ، ومهما كان اجتياز النهر امراً سهلا فانه من المحقق ـ اذا جرت الامور على غير ما يرام .. فسوف لا يبقى جندى واحد من فرقته الصغيرة .

وفي هذا الموقف ولأول مرة في حياته احجم عن تحمل المسئولية وتردد ساعات في وضع قرار حاسم ، واخيراً عقد مجلساً حربياً لبحث الموضوع وقررت الأكثرية عدم الدخول في الحرب ووافق هو على قرار الاكثرية . ونرى بعد ذلك الجيوش الوحشية تسير خلف القائد تيمور فتقتحم الهضاب والسهول وتمزق اهلها شر تمزيق ونسمع ايضاً دوي طبول النصر تدق في جيوش كبار القواد : عاسطس وفردريك ونابليون وهي تسير ثملة على اجداث المغلوبين ثم نستعرض غرور وكبرياء وحماقات القوات الغاشمة للقواد الجهلة الطامعين الذين قهروا الانسانية بالقوة والعنف وشربوا نخب انتصاراتهم على قتل الحريات واغتصاب الحقوق وانتهاك الاحرار وتشريدهم .

وعندما نقف في احترام وخشوع لنقدر مقدار الدين الكبير في عنق البشرية لأولئك الابطال الذين شنوا حربهم الهادفة في وجوه الظلم والطغيان ووقفوا يصارعون في عناد واصرار لينتزعوا من ايدي هؤلاء الطغاة الحرية الشخصية لكل فرد وليعطوا الشعب حقه في الاشتراك في الحكم . وانتصروا اخيراً فدوى صوت الشعوب وظهرت الحكومات الديمقراطية تنشر العدالة والمساواة والاخاء بين البشر .

ان هؤلاء الاحرار الذين سقطوا في ميادين الشرف هم الذين افتدوا أرواحهم عن إيمان واخلاص ليمشي ابناؤهم في اكناف الحرية والاخاء فلهم من الانسانية جميعاً واجب التقدير والاحترام . في كل وقت وفي كل زمان ومكان .



أنا وأنـت

دعنا نقف لحظات معا : انا بجسدي المحسوس وروحي التي تسكنه ، وانت بروحك التي أشعر بها تحوم من حولي . ويتغلغل هذا الاحساس داخل كياني اكثر فاكثر حين اسافر عبر فكرك وبين سطور كلماتك التي اتابعها وانا اعدها للطبع في كتاب .

ايها الانسان الذي اصبح روحا تهيم في عالم الخلود .. يا والدي اعذر هذه الدموع الصامتة التي تنسال حين تتكثف الذكرى ، ومن خلالها تتولد احيانا بسمات واعود الى الاحساس بدفء حنانك ، وتهرب غربة النفس وتدخل السكينة والهدوء الى كياني .

ايها الرجل الذي كان يا «أبي» : احبك حبا يفوق حتى حقيقة الفراق ، واعلم ان سفرك الى عالم الخلود ما هو الا رحلة انتظار لنا ، فعسى ان يجمعني الله معك عنده . واني لعلى يقين بأن قلبك الذي كان ينبض بالمحبة والتسامح سوف يسأل لنا الله الرحمة كما سألها لنا في هذه الدنيا التي نعيشها .

هذه المطبوعة التي تحمل فكرك وعليها بعض من بصماتي هي كل ما وصل الى يدي ، واردت حفظها للاحفاد . فعسى ان اكون قد حققت امنية جاءت بعد سفرك الدائم . فإن كنت قد فعلت ؛ فاني احمد الله على ذلك .

وسلاما لك ولأمي ومغفرة ترحمكما كما ربيتماني صغيرة ، وغادرتماني راشدة .

حيــــاة

الفهـــرس

